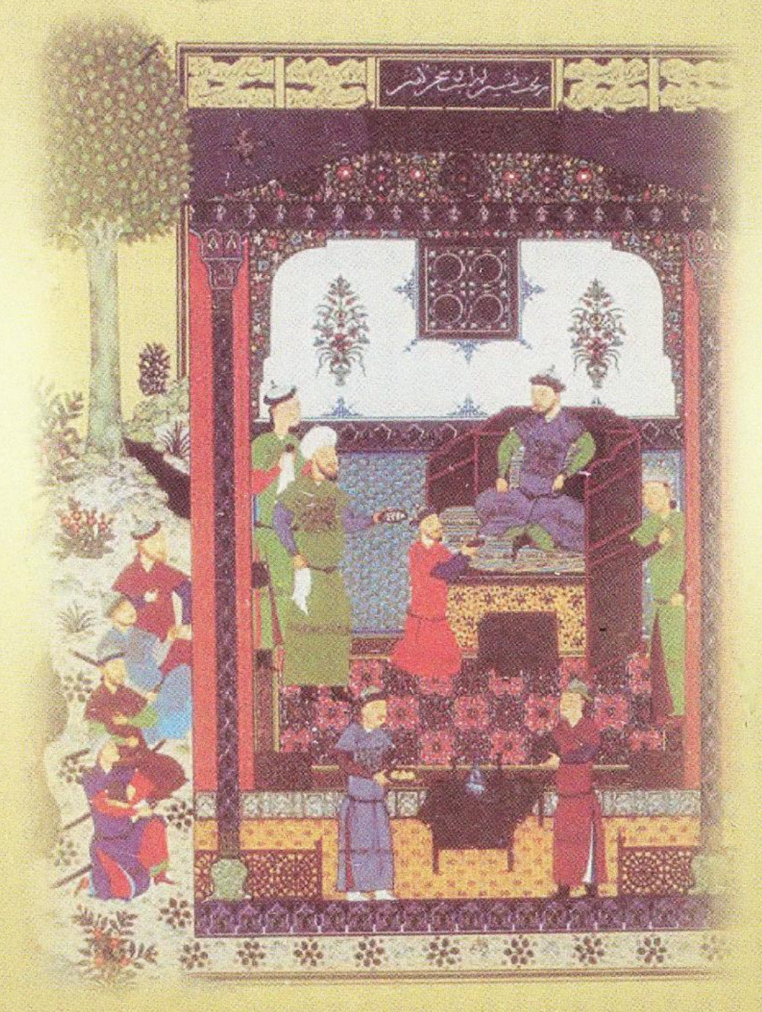
آلام سياوش

المجلس الأعلى للثقافة

المشروع القومي للترجمة



تأليف: إسماعيل فصيح

ترجمة: سليم حمدان

395

المشروع القومى للترجمة

آلام سياوش

(رواية)

تأليف : إسماعيل فصيح

ترجمة : سليم حمدان



٢٠٠٢

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٣٩٥
- آلام سياوش (رواية)
- اسماعيل فصيح
- سليم حمدان
- الطبعة الأولى

ترجمة كاملة لرواية (درد سياوش)

تأليف : اسماعيل فصيح

الصادرة عن : انتشارات صفي عليشاه

چاپ أول فردردين ١٣٦٤

المجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084 E. Mail : asfour @ onebox. com

آلام سـياوش (روايـة)

تأليـف : اسماعيل فصيح

ترجمة : سليم حمدان

مقدمة

سبق أن قدمنا ما يكفي للتعريف بإسماعيل فصيح في المقدمة التي وضعناها لترجمة روايته «قصة جاويد»(*) ، لذلك فلن نكرره هنا ، وإنما سنكتفي بالحديث على رؤيته وأسلوبه الروائي .

يمكن تقسيم حياة الكاتب الروائية الى أربع مراحل :

١ ـ تعالج المرحلة الأولى عصر الظلام الأول في التاريخ الإيراني ، وهو عنده يمتد منذ الفتح الإسلامي ـ وإن كان لا يصرّح بذلك ـ حتى سقوط دولة آل قاجار حوالي سنة ١٩٢٠ وقيام العهد القومي الإيراني الحديث ، ولو متعثراً ، ثم سقوطه هو الآخر . وهو قد خص رضا پهلوي ببعض الذكر الطيب في «قصة جاويد» ضمن توجهه هذا ، لكنه لم يمد هذا الذكر الطيب الى ابنه محمد رضا .

وقد كتب في ذلك أربع روايات هي : «الشراب الخام» (١٩٦٨) ، «القلب الأعمى» (١٩٧١) ، «قصة جاويد» (١٩٨٠) و«لماذا مات

(*) انظر مقدمة (قصة جاويد) ، التي صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة في مصر ، تحت الرقم ١٨٠ لسنة ٢٠٠٠ .

سياوش ؟ » ، التي أعاد طبعها ونشرها سنة ١٩٨٥ باسم « آلام سياوش » .

٢ ـ مرحلة تحاول التعايش مع الغزو العربي الجديد ، المتمثل في الثورة الإسلامية . فالكاتب يقبل الثورة نظرياً ، ذهنياً ، إلا أن ممارساتها تخيب آماله ، وربما تصدمه ، فيرتد للتعبير عن سخطه على ما حققته الثورة . وترد هذه الأفكار في أعمال هذه المرحلة ، وهي : « ثريا في إغماء »(*) (١٩٨٤) ، « شتاء ٦٢ »(**) (١٩٨٧) ، « البازي والأبوام » (١٩٨٩) و« قرار فروهر » (١٩٩٣) .

٣ ـ لما كانت الثورة فرضت نفسها حقيقة واقعة ، يحاول الكاتب التعايش معها ، فيهبط بعمله الفني الى مستوى منظومات مديح من أدب المناسبات ، يهبط فيها مستواه الفني ، فتضعف حبكة قصته ، ويتحدث بتعميمات فجة لا تثري وعي قارئه . ومن حسن حظه أنه لم يطل مكوثه في هذه المرحلة ، بل قصرها على روايتين هما « الشراب العتيق » (١٩٩٤) و« أسير الزمان » (١٩٩٤) .

٤ ـ في مرحلته الجديدة ، الرابعة ، أعلن الكاتب رفضه القاطع ، التام ، للثورة الإسلامية : مفاهيمَ وتطبيقات ، وحاول استذكار واستعادة الجوانب الأكثر إضاءة في الثورة الديمقراطية للشعب الإيراني ، التي انتصر جانب منها ، ليس هو الجانب الذي كان الشعب يتصوره . وقد تمثلت هذه المرحلة في روايات الكاتب الست الأخيرة : « العياذ بحافظ » (١٩٩٦) ، « قتيل الغرام » و« طست الدم » (١٩٩٧) ، و ـ خاصة ـ « تراجيديا/ كوميديا فارس » ، « العودة الى درخونگاه » و« اشتعلت

(*) صدرت تحت اسم « ثريا في غيبوبة » عن المجلس الأعلى للثقافة في مصر سنة ١٩٩٥ ، بترجمة وتقديم الدكتور : محمد علاء الدين منصور ومراجعة وتصدير الأستاذ الدكتور (المرحوم) إبراهيم الدسوقي شتا ، ضمن المشروع القومي للترجمة .

(**) أصدرها المجلس أيضاً ، باسم (شتاء ٨٤) ، بترجمة محمد علاء الدين منصور ، بوصفها العدد ١٩٥ لسنة ٢٠٠٠ في المشروع القومي للترجمة .

الشقائق» (١٩٩٨) .

ولعل مما له دلالة خاصة أن المرحلة الثالثة في انتاج فصيح لم تستغرق غير سنة واحدة ، بينما كرس سنة واحدة لثلاث روايات كبيرة الحجم نسبياً تعكس قناعات هذه المرحلة الجديدة .

*

يغلب على أعمال إسماعيل فصيح الطابع الموباساني : يدخل المسرح شخص ما (هو دائماً الشخص نفسه : جلال آريان) بطريقة ما : مدعواً ، من قبل أخته غالبا ومن قبل غيرها أحيانا ، أو بالمصادفة ، ليعالج مشكلة وقعت قبل مجيئه .

وعلى رغم تعقيد المشكلة الواقعة ، التي قد تذكّر بأجواء هيتشكوك في غموضها ، إلا أنه يستطيع حلّها ، أو فك رموزها في الأقل ، بأسلوب تذكرّنا مهارته بحذق هيركول بوارو .

*

ولغة إسماعيل فصيح بسيطة ، لا أثر فيها للنثر الفارسي البديع الذي نقرأه في آثار كلاسيكية إيرانية ، ولا للشعر الإيراني الخالد ، الغنائي منه والملحمي على السواء . وهي مختصرة ، سريعة ، يغلب عليها طابع سخرية محبب .

*

و«آلام سياوش» من كتابات مرحلته الأولى ، تمثل موقفه الفكري آنذاك خير تمثيل ، وفيها ـ كما سيلاحظ القارىء ـ محاولة لربط الشأن الخاص ، الفردي ، بالقضية العامة ، الاجتماعية والسياسية ، وكلاهما حدث في الماضي ، وتقع في خلفيتها أحداث الشاهنامة لتضفي جواً مأساوياً على الحدث الدرامي ، ولتذكرّنا بأن لا نكتفي بقراءة ظاهر النص . وإذا كان الكاتب يعيد بناء حادثة خاصة وقعت قبل أكثر من

عشرين عاماً عن زمن القصّ ـ لأن شخصاً له مصلحة فيها يقوم بتحرياته لكشف أسرارها ـ فإنه يفعل ذلك مع الحادث العام الذي وقعت الحادثة الخاصة معه ، أو في أثنائه ، وهو : إسقاط حكومة الدكتور محمد مصدق ، لأن الكاتب أراد ، فيما أرى ، أن يُسقط صفات مصدق على سياوش ، فأوحي لنا بالطبيعة السوداء للعملية التي أدت الى إسقاطه كما الجريمة التي أدت الى قتل سياوش .

إنها تحكي قصة مقتل سياوش ، على يد زوجته «الظاهرية» ، الشرعية ، ذات العلاقة الملتبسة به – فهي ابنة أخته غير اللح – وعلى يد عشيقها الذي أراد الزواج منها ولكنه جوبه برفض أهلها ، وخصوصاً أبيها ، القاطع ، والذي سبق أن أحبلها . لاشك أن سياوش كان يدري أن الجنين ، الذي ولد ، لم يكن ابنه ، فهو كان «طاهرا» ، حتى في علاقته بزوجته ، وقد رضي أن يكون زوجاً للمرأة وأبا للطفل ، ولكنه يرفض أن يطلق المرأة بعد ذلك ليستقل بها عشيقها ، رغم أنه لا علاقة جسدية له بها ، ويجري القتل – المؤامرة في الوقت نفسه الذي كان يجري فيه تنفيذ مؤامرة أخرى : مهاجمة بيت رئيس الوزراء الشرعي ، الدكتور مصدق .

وعدا عن الإشارات والتلميحات الى تطابق شخصيتي سياوش ومصدق ، المبثوثة في الرواية ، فمن الواضح أن اقتران إطاحة هذا بمقتل ذاك ، هو إشارة الكاتب الكبرى .

المترجم

كل شـخـوص ووقـائـع ومـواقع هـذا الكتـاب من صنع الخـيـال ، وأي تشابه بينها وبين أناس حقيقـيين أو أحداث حقيقية مجرد مصادفة محض .

إ . ف .

-١-

أوائل أُرديبهشت[١] سنة ١٣٥٥[٢] ، آبادان[٣] .

فجراً ، كانت الدنيا لا تزال مظلمة عندما أيقظني صوت الطيور البحرية من النوم . كان رأسي يؤلمني قليلاً ، ولكن ساقيّ ورسغ قدمي اليسرى ، الذي كان لا يزال داخل الجبيرة ، لم يكن فيها ألم ، وإنما كانت عديمة الإحساس ، منملة ، على نحو سيء . (كان لا بد أن آتي بمأثرة قبل جمعتين أو ثلاث فأحشر ساقيّ بين زورقين في نادي الزوارق ، عند المرسى) . كنت وحيداً ، وقد بقيت النافذة مفتوحة منذ الليل ، وأسمع من خلف النافذة صوت أغصان شجيرة الزهر إذ تصطفق بمشبك النافذة . ريح الفجر تنفث رائحة ضباب الشط الى داخل غرفة النوم الصغيرة ـ وكذلك رائحة الغاز والدخان والكبريت المنبعثة من مصفاة النفط ومعامل البتروكيمياويات .

على أية حال ، نهضت كي أغلق النافذة . كان فجر آبادان الأرديبهشتي رمادي اللون مخيماً على البستان رقم ٢٦٧ . كان البستان ساكناً . كانت جادة خرمشهر[٤] ساكنة . السماء ساكنة والدنيا هادئة لا مبالية.. وبين النسيم... النخيل الطويل وأشجار العرعر وشجيرات ورد الدفليَ الكبيرة نعسى ومغبرة جميعا . كانت تنتظر مطراً يتعين عليها الآن أن تنتظره خمسة شهور .

وراء الجروف ، من حافة الميناء ، يأتي صوت نفير بواخر كانت تروح وتجيء نحو خسرو آباد وفم الخليج من جانب رصيف التحميل المقابل للمصفاة . ولم يكن يسمع صوت غير صوت استحالة شعري الى اللون الرمادي .

فكرت أن أغلق النافذة ، فلربما نمت ساعة أو ساعتين أخريين ، ولكنني رأيت طائريْ البحر ينتظران أعلى الجدار .

كانا ، زعماً ، يخصّانني . يخصانني ويخصان الخليج الفارسي . أبيضين وصغيرين ، وقد خرج أحد قدمي كل واحد منهما ـ لا أدري على أثر أي نوع من المرض أو الآكلة أو الشيخوخة ـ عن الشكل الطبيعي . كانت قدماهما الناقصتان مثل غدتين بلون وردي رديء تتدليان تحت بدنيهما . كانا وحيدين أسوأ مني ، ضائعين وناشزين . كانا ذكراً وأنثى ـ أظن . لا بد أنهما كانا عاشقاً ومعشوقاً . أو مثلي ومثل فرنكيس : أخاً وأختاً . كائنين ما كانا ، فإنهما ـ ربيع هذا العام ـ يتسكعان فجراً ففجر ، عند حافة البحر والرصيف ، يجيئان مقابل نافذتي فيجلسان على قدمين شائهتين ويناديانني بالنشيج بين أنسام الفجر . ثم يقفز كل منهما بالدور ، ويطيران بأجنحة مفتوحة ، كما لو كانا يغوصان ، نحو الرف الخشبي الملاصق للنافذة الصغيرة .

تركت النافذة مفتوحة ودخلت المطبخ ، وفتحت علبة ساردين تافهة القيمة ، هي من طونة أسماك مصائد الجنوب ، وجلبتها فصببتها في صحن ملامين اندثر لونه موضوع على الحافة الآجرية الصغيرة للنافذة . صبرت العيون الجائعة أعلى الجدار حتى ابتعدتُ عن حافة النافذة . ثم جاءا ، بالدور الى إفطار الساردين في قصر جلال آريان . (عندما تحيا سنوات كالواق(٥) وحيدا ، يصير الاختلاط بطيور البحر أمراً يسيراً) .

ما زالت الساعة الخامسة والنصف ، ولهذا عدت فتمددت على الفراش . حدقت فيها ساكتا . كان ثمة في طيرانهما وسيرهما وقعُ ، وقعُ علمه إياهما البحر ، وكان وقعاً جيداً . كانا يقلعان من حافة الجدار

القريب لدار حضانة پروانه ، ويجيئان ، ينقران ، يأكلان ، ثم يعودان . كان لديهما نظام . تنسيق . فما لم ينه أحدهما طيرانه نحو معجون شركة المصائد ويعود ، ما كان الآخر ليطير . كان أحدهما يعطي الآخر مهلة ، كانا يؤمنان أحدهما بالآخر .

ذكّراني بثريا وخسرو .

كان مقرراً ـ كان مقرراً : بالماضي المطلق ـ أن تطير ابنة أختي ثريا وزوجها خسرو اليوم الى آبادان لقضاء بضعة أيام . أنا نفسي لم أستطع -بسبب ساقي المجبّرة إياها- أن أذهب الى العرس في طهران ، فتقرر أن يأتيا عندي في آبادان لقضاء شهر العسل ، ولكن...

في حدود منتصف ليلة أمس تلفنت لي فرنگيس من طهران وأخبرتني أن حفل عرس ثريا وخسرو تلخبط . يبدو أن طارئا سيئا وقع ، وتعقدت الأمور . لم تكن حال أختي على التلفون حسنة . طلبت مني أن أذهب ، إن استطعت ، الى طهران . فقلت إنني سأوصل نفسي بأول طيران : قالت : رجلك ، قلت : مع أن رجلي في الجبس إلا أنها لم تسقط من حيّز الانتفاع . بعد وفاة زوجها ، هذه أول مرة تمد فرنگيس يدها طلبا للعون . عرفت أن أمراً سيئا وقع . لدى شركة الطيران الوطنية طيران كل يوم في الساعة العاشرة الى طهران ، وكنت أعرف مسؤول الحركة في المطار ، وكان يدبر لي ، على الدوام ، محلاً .

كان قد مضى وقت طويل منذ أن رفع الفجر رأسه عالياً وفعل فعله . نظرت من سرير نومي الى طائري البحر اللذين تعاشقا فيما بينهما ومع طونة مصايد الجنوب . اتكأت على الوسادة ورفعت الكتاب الذي كنت بدأت به ليلة أمس وتركته منكفئاً مفتوحاً ، انشغلت به قليلاً .

كانت النسخة الانكليزية من رواية «الغريب» الصغيرة لألبر كامو ، وحالة راويها ومعنوياته أفضل بكثير من حالي ومعنوياتي ووضعي . إنها عن الحياة اليومية البسيطة لشخص جزائري يدعى مورسو ، الموظف الصغير في إحدى المؤسسات ، ولكن ليس في شركة

النفط الوطنية الإيرانية! منذ صفحات الكتاب الأولى كانت أم مورسو قد ماتت ، وبعد بضع صفحات دفنها ، ثم ذهب من نفس تلك الطريق فأقنع فتاة تطبع على الآلة الكاتبة بمرافقته ، فذهبا معاً للسباحة ثم لممارسة الحب . قلت إن حاله وأوضاعه خير مني! .

بقيت في سرير النوم أنظر مرة أخرى الى طائري البحر ومرة الى حياة مورسو ، حتى الساعة السابعة ، أو السابعة وخمس دقائق ، حين ارتفع صوت باب مؤخرة المطبخ . في هذه الساعة ، يأتي مطرود ـ من غرف ما وراء البستان ـ فيفتح باب المطبخ ، الذي ينفتح على الفناء ، بمفتاحه الخاص ، ويرفع أصوات الصحون والفناجين والملاعق والأشواك ـ إذ كان هذا هو أسلوب مطرود آل مطرود لإيقاضي مثلاً! إن لمطرود أسلوبا هو الآخر .

في حوالي الثامنة ، بعد عدة اتصالات تلفونية برئيس إدارتي وهذا وذاك ، وإحكام غلق حقيبتي اليدوية ، وعندما انطلقت والعصا في يدي بسيارة أجرة الشركة ، نوع آريا ، من المنطقة ٢٦٧ نحو المطار ، كان مطرود يدخن ونستون في البستان ويروي إسفلت ممشى البستان ماءاً بأنبوبة مطاطية . أودعت عنده المفتاح والبيت وكل شيء . وكان طائرا البحر الأتعس مني ، مكسورا الساقين اللذان أفطرا ، المذهولان الآن وكأنهما حائران فيما يتعلق ببقية عمل الدنيا اليوم ، يقفان مرتبكين ذاهلين أعلى الجدار .

من نافذة السيارة ألقيت عليهما نظرة . وقلت مع نفسي : كونا طفلين عاقلين . كونا طفلين عاقلين ، لا تأتيا عمل سوء حتى أرجع .

على النحو نفسه راحا يحدقان في هذا الاتجاه وذاك الاتجاه مبهوتين . كما لو كانا يقولان : إذهب ، وإذا ما قمنا بنصف أعمالك لأخرجونا حتى من فصيلة طيور البحر المدمرة .

بلغت مطار آبادان المدني حديث التأسيس وراء (دَيْري فارم) وأخذت تذكرة وركبت الطائرة في الوقت المناسب .

- ٢ -

كان الجو رديئاً ، والطيران سيئاً ، وكلما اقتربنا من طهران ازدادت رداءة الجو .

حاولت ـ بين اهتزازات الطائرة ـ أن أشغل نفسي بسيرة مورسو ولكنني لم أفلح . وكانت سيرة مورسو أسوأ من هذا الطيران ، كما لو كانت معلقة بحبل واهٍ بين الزمان والمكان والفراغ . كان قد دفن أمه وأنجز ما يتعلق بذلك ، ثم عاد الى الجزائر العاصمة ، الى شغله ، واشتغل في الإدارة كثيراً يوم الإثنين ، وذهب ظهراً مع شخص باسم إمانويل الى مقهى (سلست) حيث تناول الغداء ثم ذهب الى البيت لينام لأنه كان شرب كثيراً . ثم عاد مجدداً الى الإدارة للعمل ، وكان عند الغروب عائداً الى المنزل كي يعد لنفسه بطاطا مسلوقة ، حين أعلنت المضيفة أننا سنحط خلال دقائق على الأرض في مطار مهرآباد[٦] ، ورجت أن نشد الأحزمة ونطفيء السجائر . عندما هبطنا على مدرج مطار مهرآباد ، كانت طائرة (هما)[٧] النفاثة ٧٠٧ ، وكأنها سفينة نبي اللّه نوح المعرضة للطوفان إذ تعلقت تحت المطر والرعد والبرق ، فوق رأس قمة جبل أرارات ، على مقدمتها ، وتيبست هناك .

خارج مبنى المحطة ، تحت المطر ، أخذت سيارة أجرة وانطلقت من المطار نحو منزل فرنكيس ـ سيارة اجرة من سيارات خطوط المطار ، « مخصوصة لي » بأسلوب طهران الحديث ، وسائقها شاب من خارج العاصمة ، شعره طويل عمره ستة أشهر مجعد بالكهرباء ، يلبس قمصلة من الجين من صنع هونگ كونگ ، وطوق ساعة من ذهب ، حلو اللسان (عاجناً الفارسية بالإنكليزية) ، مع موسيقى من كاسيت معزوفات مبتذلة ، جلبني بسرعة وقيادة مُمْرِضة الى طهران وأوصلني الى شارع تكش أمام العمارة السكنية إياها .

في تلك السنة كانت فرنگيس تسكن مع ابنتها الوحيدة في شقة بثلاث غرف نوم في أوائل شارع تكش - قرب جادة شميران[٨] القديمة . كانت شقة فرنگيس في الطابق الثاني ، في مبنى من ثلاثة طوابق مستقلة كنت أعرفه . كنت قد اشتريت أنا نفسي الطابق الثالث قبل سنة أو سنتين ، فكان خالياً إلا من قليل من الأثاث ، كي أستفيد منه عندما أجيء الى طهران . كانت العمارة من إسمنت أسمر - مبنية على نمط إيراني وإيطالي مخلوط . كانت الأبواب والنوافذ كالأهلّة ، وتحوي منافذ وشرفات صغيرة ، وورودا وأصصاً وحبال غسيل . أما شقة فرنگيس فقد اشتراها الدكتور المرحوم قبل ست سنوات أو سبع من موته . في البداية ، كانوا قد أجّروا الشقة ، إلا أن أهل البيت - بعد موت الدكتور وانتهاء دراسة ثريا في فرنسا - يسكنونها الآن .

بين المطر والعاصفة نزلت من سيارة الأجرة . بمحض أن ضغطت زر الطابق الثاني صوت الفاتح الكهربائي فوراً . لا بد أن فرنگيس المنتظرة قد رأتني من وراء النافذة . صعدت السلالم بساقي المجبّسة والعصا والحقيبة ، ورأيت أختي عند رأس سلالم الطابق الثاني - مفتوحة الذراعين ، باكية العينين . فرنگيس!

احتضنت بدن أختي الرقيق الهش ، وقبلت شعرها طيّب الرائحة المزيّن . لقد كانت رائحة فرنگيس وقبلات فرنگيس رائعة على الدوام ، وملأى برائحة شراب الهموم العتيقة - رائحة بيت تحت أسواق بوذرجمهري[٩] وشاهپور[١٠] الصغيرة . اليوم ، في هذا اليوم الأرديبهشتي العاصف ذي السيول ، بالأخص ، كانت فرنگيس محطمة وقلقة . دخلنا الشقة وأحدنا يسأل الآخر عن الأحوال . وفهمت من خفوت صوتها أن ثريا لا بد أن تكون نائمة . سألت مازحاً :

- «ماذا جرى ؟ لم يتحقق وصال ليلى والمجنون ؟» . فهزت فرنگيس رأسها ، وقالت :

- «لا . والوضع سيء وخراب» . دخلنا .

ـ « كيف ساقك ؟ » .

ـ « مثل القمر » .

ـ « تعال اقعد » . سألتها :

ـ « كيف الحال ؟ماذا جرى للعرس ؟ من البداية كأس وعربدة ؟ » .

ـ « من البداية بسم اللّه وغلط » .

ـ « خسرو ليس موجوداً ؟ » .

ـ « لا ـ ليلة أمس ، بعد ذلك الحادث ، أوصَلَنا أنا وثريا الى البيت ، وذهب هو ، ولم يعد حتى الآن . أنا قلقة » .

ـ « عجيب » .

المطر يدق على الزجاج . من وراء نوافذ فرنگيس ، من هذا الارتفاع ، تكتسب عتمة الجو وكدورة العاصفة أبعاداً أوسع . وضعت الحقيبة والعصا في زاوية وسألت :

ـ « ثريا نائمة ؟ » . فقالت فرنگيس :

ـ « مغمى عليها ، فاقدة الوعي » .

ـ أ......أ ؟ » .

طوقت بيدي خصر أختي ، وعانقتها الآن كما أشتهي ، ربتّ عليها ودللتها ، ونثرت القبلات على رأسها وخدها . كان ذلك ضرورياً... ثم سألت :

ـ « ماذا يا فري[11] ؟ ماذا جرى ؟ » .

ـ « من ليلة الأمس حتى الآن مغمى عليها . تكاد تكون فاقدة الوعي . ذاهلة » .

ـ « من يمكنه أن يكون مذهولاً في هذا الرعد والإعصار ؟ » .

ذهبنا على رؤوس الأصابع الى غرفة ثريا . كانت ثريا تحت البطانية بوجهها المنقبض عديم اللون ، وعلى جبهتها منديل ندي . وقفت أتأملها بضع لحظات . كان كل غرفتها ، التي كان يمكن أن تصير مقصورة[١٢] عرسها ، مليئاً بورد منبوذ .

نظرت فرنگيس اليّ . فقلت كالمهمهم :

- «دعيها تنام» .

خرجنا على مهل ، ردت فرنگيس الباب ولكنها لم تحكم إغلاقه . قالت :

- «ليلة أمس عندما عدنا الى البيت تدهور حالها ، سيء جداً . أية ليلة! أية ليلة! لقد جاء الدكتور راسخ مرتين... حقنها بإبرتين أو ثلاث ، وأعطاها دواءاً . كانت محمومة ولا تزال . وتقيأت مثل لا أدري ماذا . وصداع . وصدمة! ثم منذ الساعة الثالثة والنصف هي على هذه الحال فاقدة الوعي ونائمة . أية ليلة! أي عرس! تعال اقعد أجلب لك شيئاً تأكله فتطريّ حنجرتك......» فأخذت يدها وقلت :

-« لست جائعاً ، يا فري . اجلسي واشرحي لي كي أفهم ما جرى» . فقالت :

- «الصينية حاضرة ، رحت صدقة لك ، لن يستغرق الأمر أكثر من لحظة واحدة» .

خلقت صينية من داخل الثلاجة ، كان عليها خبز وجبن وخضروات وقليل من السمك و(كوكو خضروات)[١٣] ، مع زجاجة ألا أيها الساقي - من الأيام القديمة حين كنت أنا نفسي أشتريها . جلبت الصينية فوضعتها على المائدة ، وقالت :

- «هنيئاً ياجلال أنك لست هنا ، في هذه المدينة الرديئة ، قاسية القلب ، ميتة القلب» .

حدقت في عيني أختي . لا أذكر أنها أشتكت قط من الحياة ووضع الدنيا . كان قلبها مليئاً . قلت :

ـ «اجلسي» .

جلست على كرسي أمامي ، ظهرها الى النافذة ، وألصقت ساقيها أحدهما بالآخر ، ووضعت يديها العصبيتين المشبوكتين على ركبتيها . وحدّقت فيّ ، ثم هزت رأسها طويلاً . ثم ، وهي تراقب تناولي للغداء ، أشعلت سيجارة ، وسحبت منها نفسين أو ثلاثة . كانت تفكر من أين تبدأ . من وراء رأسها وعنقها وشعرها الكستنائي ، كان يتبدى منظر بعيد كسيح مكشوف من شمال طهران تحت العاصفة ـ بجداول الشوارع الجديدة والمباني الحديثة ، الفولاذية والخرسانية ، تضغط مثل غول الدنيا الحديثة على أفق جنوب طهران المنقبض بالدخان والضباب ـ وعلى رأس فرنگيس أيضاً اليوم ، فيما يبدو . قلت :

ـ «إبدأي . كل ما في قلبك المقبوض ، يا فري ، قوليه» .

ولكن فرنگيس تتفحصني فقط لمدة أخرى الآن . وقالت :

ـ «يا جلال ، الى متى تريد أن تبقى هناك بمفردك ؟» . كانت لا تحدق بي بمحبة فقط ، وإنما تتفحصني بدقة أيضاً .

قلت ، وفي زاوية فمي لقمة خبز وجبن وخضروات :

ـ «تحدثي عن ثريا» . فقالت :

ـ «يا جلال ، أنت هناك وحيد دائماً وأنا غير مطمئنة» . فقلت :

ـ «تصادقت مؤخراً مع طائرين بحريين مكسوري الساقين» . فاستلّت من صدرها آهة :

ـ « لا تقل طائرين بحريين مكسوري الساقين... قلبي ينقبض» . فقلت :

ـ « يأتيان اليَ كل صباح ، يغازلانني ـ تعالي اسألي من مطرود » . فقالت :

ـ « باللّه عليك لا تترك نفسك وحيداً ، يا جلال . أنت وهذا المطرود . وحيد في ذلك البيت ، في تلك المدينة البعيدة ، ومهموم . خذ لك امرأة جيدة » .

ـ « صرت أحمق بمفردي ، ولكن ليس الى ذلك الحد! » . لا تزال تحدق بي :

ـ « ما الوحدة ؟ مُرة » .

ـ « تحدثي عن ثريا » .

ما يزال وجهها يابساً مليئاً بالغضون .

مرة أخرى تنهدت ، وقالت :

ـ « لقد عشت تسعا وثلاثين ، بل أربعين ، سنة ، ولكنني لم أشهد طوال عمري مثل حادثة ليلة أمس . لا أذكر شيئاً بهذا الشؤم والسوء . أو إنني لم أسمع . لم أقرأ مثله في كتاب . وأرجو ألا يتكرر لأي شاب ، لأي مخلوق » .

ـ « قلت إن حادثاً وقع اثناء حفل العرس ؟ » .

ـ « في مستهل الحفل » .

ـ « أي حادث ؟ » .

ـ « لو أنني لم أره بعينيَ هاتين ـ اللتين ليصبهما العمى ـ لما صدقت . وحتى الآن لا أستطيع أن أصدق ، أو أن أفهم ما وقع » .

انتظرت .

ـ « أُوضح من البداية » . رفعت الزجاجة ، تقاوت مع رأسها ، أدارته فاتحة . قلت :

ـ «حدثيني منذ أول الغرام . ألا أيها الساقي» . وأخذت الزجاجة . فتحتها وصببت لنفسي مقدار عقلتي أصبع ، وسألتها :

ـ «أعرف أنك لا تشربين ، أم أنك تشربين اليوم ؟» . لم تجبني أصلاً .

شربت ، ودفعت فرنگيس الأواني الموجودة داخل الصينية مقربة إياها مني أكثر . قالت :

ـ «خسرو نفسه فتى جيد ، جيد جداً . أنت نفسك رأيته كم مرة . خريج جامعة ، يحمل درجة الدكتوراه . وله عمل جيد في مؤسسة الميزانية . حفيد السناتور الدكتور إيمان . أول ما رأى ثري(١٤) في وزارة الثقافة والفنون في مكتب عملها ، تعرفا على بعضهما هناك ، كم يحب أحدهما الآخر . كم هما متفقان أحدهما مع الآخر . وفوق كل هذا فخسرو إيراني ذو تعصب وذو شخصية ـ يفخر بكونه إيرانياً . عنده نوع من الطباع والصفات المستقيمة والرجولية . إنه لظلم محض أن يقع حادث كهذا ، في ليلة عرس شاب كهذا ـ إذا ما تركنا ابنتي المسكينة البريئة...» . لزمت الصمت مدة ، ثم قالت :

ـ «... في الساعة العاشرة صباحاً أجروا مراسم العقد ، هنا . مكانك خال . لا زلت ترى الورد والمرآة والمصابيح(١٥) على الرفوف . جاؤوا صباح اليوم فرفعوا أطباق العقد . لم يكن ثمة في العقد غير عشرة أشخاص أو أحد عشر ، من الأهل فقط . من جانبنا ، لم يكن ثمة غيري وعم ثريا وعمتها والدكتور راسخ هذا ، صديق أبيها الروح بالروح . ومن جانب خسرو أيضاً كان ثمة أبوه العقيد وأمه فرخ خانم ، وأم فرخ وأختي فرخ . وكذلك اثنان من أصدقاء خسرو المقربين والصميميين جداً ، أحدهما عليرضا عباسي ذاك ، وهو فتى ممتاز ، هو الذي أنجز كل الأعمال . هؤلاء كل من كانوا . كانت ثريا فرحة . لم تستغرق مراسم العقد أكثر من ساعة أو اثنتين . جاء شيخ في الساعة العاشرة فحرر العقد . في العاشرة والنصف قرأ الشيخ الخطبة ، أمضيا العقد ، وكان

ثمة مصور فالتقط لهما صورة ، وصوّرا فيلماً . وراح الجميع يتحدثون ويسمعون ويضحكون لمدة ساعة . وضعوا بعض الأسطوانات . مكانك خال جداً . ومن أجل الغداء ذهبنا جميعاً في أربع سيارات أو خمس الى مطعم فندق سميراميس ، كان خسرو وعليرضا قد أوصيا مسبقاً ، فأعدوا لنا مائدة خاصة . جيد جداً . بسيط جداً . الخلاصة : من مراسم عقود هذه الأيام البسيطة الجيدة حسنة التنظيم » .

ـ « ماذا جرى للحفل ؟ » . فقالت فرنگيس :

ـ « الحفل! لم يكونوا يريدون أن يقيموا الحفل في بيتهم ـ يعني في بيت العقيد أبي خسرو . كما لم يكونوا يريدون ناديا أو فندقا أو ما أشبه . كان قلبهم يهوى شيئاً إيرانياً ، ولكن بسيطاً وتقليدياً . وقد فكر الشبان فيما بينهم كثيراً ، يعني ثريا وخسرو وأصدقاؤهما ، وتكلموا كثيراً ، وأخيراً صمموا أن يقيموا حفلا بسيطاً إيرانياً مثل حفلات العرس القديمة ، له ـ حسب قول عليرضا صديق خسرو ـ صفاء . وتم الاتفاق على إقامة الاحتفال في الحديقة مع جلب مطرب (على الحوض)[١٦] . صار علي رضا نفسه مسؤولا كل شيء . لأهله بيت كبير ، أدنى من ميدان شاهپور ، له ساحة وحديقة كبيرة ، فقام بجميع الأعمال . إنه يتحرق للقيام بمثل هذه الأعمال . الخلاصة : رتبوا الأمور على أربعة وعشرين قيراطاً . فرشوا كل الساحة بالسجاجيد . أعدوا الكراسي والموائد . فواكه ، حلوى ، مكسرات ، بالكامل . نصبوا تختاً على الحوض ، وأقاموا سلسلة مصابيح وورود ومصابيح هوائية[١٧] وحتى منقل نار وسذابا[١٨] ، كي يقام الحفل من الساعة الثامنة حتى الثانية عشرة . وفي المساء أيضاً ، خسرو بالند والمصطكي . . لماذا أصدع رأسك . كان كل شيء رائعاً . وكان من المتفق عليه بينه وبين ثريا أن يحجزا لهما غرفة في فندق سميراميس ، كانا يريدان أن يكونا لوحدهما . وفي اليوم التالي ، يعني اليوم ، كان مقرراً طبعاً أن ينطلقا فيأتيا عندك في آبادان » .

ـ « لطيف . ثم ؟ » .

«جلال ، هل تذكر في العيد عندما كنت هنا ، ماذا قلت لثريا ذات ليلة عن أبي خسرو ؟ » .

ـ «نعم . إن العقيد ، في الواقع ، ليس أبا خسرو الحقيقي» .

ـ «أبو خسرو توفي عندما كان خسرو في السنة الأولى من عمره . والعقيد هو الزوج الثاني لأم خسرو» . فقلت :

ـ «وقد تعجبت كثيراً . لأن خسرو والعقيد قريبان من أحدهما الآخر ويحب أحدهما الآخر كثيراً» .

ـ «جداً . إن خسرو والعقيد صميميان فيما بينهما ويحب أحدهما الآخر على نحو عجيب . لم أر في عمري أباً وابناً على هذا النحو في ما بينهما ، لكأن العقيد يعبد خسرو» . فسألت :

ـ «ما قصدك من هذا الكلام ، يا ثري ؟» . فقالت فرنگيس :

ـ «حادثة حفل عرس ليلة أمس كانت بخصوص نفس موضوع أبي خسرو... وبعد الحادثة أصيب العقيد بسكتة قلبية ، فسقط . لم تكن حاله علي ما يرام فنقلوه الى المستشفى . أما الآن فقد سمعت أن حاله سيئة جداً . في قسم العلاج المركز» .

صارت فرنگيس الآن أكثر عصبية وقلقاً . صوتها يرتجف . تركت كأسي على المائدة ، وأخذت يدها . قلت :

ـ «ما كان الحادث ، يا فري ؟» .

رطبت فرنگيس شفتيها اليابستين بأسلة لسانها ، واستلت آهة أخرى . ثم قالت :

ـ «كانت الساعة الثامنة والنصف ، التاسعة . كان الحفل قد بدأ منذ قليل . كان كل الضيوف قد وفدوا . وكانت العروس والعريس قد

جاءا منذ قليل أيضاً ، فجلسا في مكانيهما . وكان المطربون قد شرعوا للتو ، والراقصات يرقصن ـ وإذا بشاب له وضع المجانين ، يحمل حَمَلاً صغيراً ، يظهر فجأة وسط المجلس .

ـ «شاب ؟» .

ـ «في العشرين ، في الحادية أوالثانية والعشرين من عمره . نحيل أبله المظهر» .

ـ «من كان ؟» .

ـ «لم يعرف ذلك أحد في البدء... كان يلبس طاقم سترة وسروال أسود عريضاً مترهلاً ـ واضح أنه أكبر من حجمه برقمين أو ثلاثة ، وقميصاً أبيض وربطة عنق سوداء . تحت إبطه حَمَل أبيض جميل وبريء . قال للحارس عند الباب إنه قد جلب هدية للعريس... لم نفهم في البداية من هو . في الحقيقة ، ظن الضيوف في البدء أن هذا الشاب مع الحمل تحت إبطه جزء من التمثيلية الحوضية . كان مثل المجانين ناقصي العقل ، وقد لُقّن هذا العمل ، أو شحنوه ليؤديه . رفع يده ، وصاح بالمطربين والراقصات : «اسكتوا!» . وأمر الجميع : «توقفوا!»... فسكت الجميع . كانوا باهتين جميعاً . ثم صرخ : «آي... آي... أيها الناس! اسمعوا! جميعاً!» . وقد وقع هذا الحادث كله بسرعة وعلى نحو غير متوقع ، وكان الجميع ذاهلين ، بحيث أن أحداً لم ينهض فيصده . كنت جالسةأبعد من ثريا بكرسيين أو ثلاثة . نظرت الى العروس والعريس . كان يبدو أن خسرو قد عرف الفتى ، فقد نهض ليذهب نحوه . كما رأت فرخ خانم ، أم خسرو ، والعقيد ، أبو خسرو زعما ، المجنون من أطراف المجلس ، وعرفاه ، وكانا يتقدمان نحوه ، وإذا بالفتى يرفع الحمل ويصرخ : «دم! دم بريء! آي أيها الناس . دم هذا الحمل دم أخي البريء الذي قتلتموه!» . وطرح الحمل على تخت الحوض ، ثم مد يده الى جيب تحت إبطه فاستل سكيناً طويلة . في لمحة بصر انثنى ونحر عنق الحمل من الأذن الى الأذن . وكان يصرخ : «دم!

دم! دم!» . كان كل المجلس قد نهض الآن واندفع الى أمام . وحمل المجنون الآن جثة الحمل ، التي كان الدم يسيل منها مهراقاً ، وراح يديرها ويرش دمها على رؤوس وأوجه الجميع وملابسهم ، والأسوأ من الكل : على رأس ووجه العروس والعريس ، وأم العريس وأبيه ـ باختصار ، على الكل . كان بعضهم يفرون . وحاول بعضهم أن يصدوه . كان وضعاً باعثاً على الاشمئزاز قذراً مرعباً... كانت النساء يعولن . والرجال يتصايحون . غرق كل شيء في الدم : الملابس ، الرؤوس والوجوه ، السجاجيد ، الورد والحلوى والفواكه . حتى رؤوس ووجوه الراقصات والمطربين! أما لباس عرس ثريا الأبيض فقد تضمخ بالدم . والأسوأ من الجميع وجه خسرو ، فقد صار دماً كله! والمجنون يحدق في خسرو ، ويصرخ «دم! دم! دم!» . حتى أزبد فمه . الى أن انكب أخيراً خسرو وعليرضا والدكتور راسخ والباقون حول المجنون وأخذوه فنقلوه الى الخارج . ولم أفهم ، يبدو أنهم تركوه يذهب . ولكن حفل العرس صار مجلس عزاء دامياً . وظل المجنون يصرخ من وسط الزقاق : «إنكم تدفعون القصاص!» . فلا تسأل بعد عما جرى...» .

ـ ٣ ـ

بقينا أنا وفرنگيس لحظات صامتين ، يحدق أحدنا في وجه الآخر ، كما لو أن أياً منا لم يكن بمقدوره أن يصدق ما جرى على اللسان أبداً . وكان المطر يقرع النافذة . وفي مكان ما انفجر الرعد فهز الزجاج .

تنحنحت فرنگيس ، ثم أخذت منديلاً ورقياً فمسحت دموعها ونظفت أنفها ، واشعلت سيجارة جديدة ثم شرحت بقية ما جرى ، الذي لم يكن بالشيء الكثير . الفتى المجنون ، شهروز إيمان ، كان من عائلة أبي خسرو ـ عائلة الدكتور السناتور فخر الدين إيمان الكبيرة . كان واضحاً كالنهار أن شخصاً آخر ، أو أشخاصاً آخرين ـ حسب قول فرنگيس ـ قد حركه وأطلقه ، مع أنها لم تكن تدري من هو أو من هم .

لم تكن فرنكيس تعرف الكثير عن عائلة إيمان . وفي الحقيقة ، لم تكن تعرف الكثير جداً عن أبي خسرو وأمه .كانت ثريا مطلعة على أمور ، ولكن شباب اليوم يحتفظون بأكثر الأمور فيما بينهم . كان العقيد ديوان لقا وأم خسرو قد جاءا ـ في فترة الخطوبة ومقدمات العقد ـ مرة أو اثنتين بـ «موكب جليل ومرسيدس بنز وسائق خصوصي» الى بيت فرنكيس ، وأظهرا الكثير من المجاملات . ولكن أمثال هذه الزيارات لا تنطوي إلا على جوانب شكلية ومظاهر . سألت :

ـ «فري ، أين خسرو الآن ؟» .

ـ «أصل التعاسة هنا» .

ـ «ما معنى هذا ؟» .

ـ «لا نعرف . لقد ذهب منذ ليلة أمس حتى الآن . لا خبر عنه» . حدقت في عينيها ، وقلت :

ـ «ليس خسرو من نوع الناس الذي يترك ثريا في مثل هذا الوقت» . فهزت فرنكيس رأسها ، وقالت :

ـ «ليلة أمس بعد أن تخرب الحفل ، أوصلني خسرو مع ثريا بسيارته ـ سيارة (تريومف كورسي)الحمراء إياها ـ الى هنا ، ثم ذهب مرتبكاً» .

ـ «لم يقل الى أين ذاهب ؟» .

ـ «لا» .

ـ «لم يقل شيئاً ؟» .

ـ «لا أذكر... في ذلك الوضع!» .

ـ «لا بد أن بلاءاً قد أصابه» .

ـ «أنا أيضاً قلقة . لقد تلفنت لكل مكان أعرفه . لا أحد يعلم . أو

لا يقول أحد أين خسرو» .

- «حتى أمه لا تدري ؟» .

- «لا ، فعدة مرات لم يرد تلفونهم أصلاً . وذات مرة عندما ردّ قالت فرخ خانم لا ، إنها لا تدري . هي أيضاً قلقة . المسكينة» . فسألت :

- «ولم يشر خسرو نفسه الى أين سيذهب ؟ لم يقل لثريا ؟ لا بد أنه قال شيئاً ما» .

- «قال فقط لثريا إنه ذاهب لا أدري أين... عنده بعض الأعمال» .

- «أية أعمال ؟» .

- «يبدو أنه قال إنه ينبغي أن يفهم أموراً معينة عن أبيه . قال إنه لن يعود ما لم يفهم» .

أشعلت إحدى سجائر فرنگيس ، واسترخيت على الكرسي :

- «مثير للاهتمام» . فقالت فرنگيس :

- «عندما كان يغادر ، كان في عينيه عزم وإرادة عجيبين» . فسألتها :

- «كيف كان حاله ووضعه ؟» . فقالت فرنگيس :

- «منقلب ورديء جداً . عاصف... ولم تكن ثورته الروحية بسبب الفاجعة التي جرت في الحفل فقط . كما لو أن أموراً حول أبيه كانت في روحه ، وما تزال» . فسألت :

- «قلت إن المجنون قال ماذا ؟... ما جُمَلُه بالضبط ؟» . فقالت فرنگيس :

- «لا أذكر جمله بالضبط ، ولكنه قال هذا دم أخي البريء ـ الذي قتلتموه» .

- « وكلكم تدفعون القصاص ؟ » .

- « نعم . قال تدفعون القصاص » .

- « وماذا قلت عن نسبة هذا المجنون بخسرو ؟ » .

- « قالوا إنه أحد أعمام خسرو » .

- « إذن فيعني أنكم تدفعون القصاص عن دم أبي خسرو ؟ » .

-« طبعاً » .

- « كيف مات أبو خسرو ؟ » .

- « كان يسبح في النهر ، فغرق » .

- « قبل كم سنة ؟ » .

- « قبل اثنتين أو ثلاث وعشرين سنة » .

- « حقد بعير إيراني . ليس في إيران أي نزاع وحقد أسوأ من الحقد البعيري للأقارب والإخوة والأخوات وذراريهم » . فقالت فرنگيس :

- « قالوا إن شخصاً آخر قد حرك الفتى ليلة أمس فأطلقه » .

- « أمعلوم من هو ؟ » .

- « لا ندري » .

- « وحضرة العقيد ، زوج أم خسرو ، الآن في المستشفى ؟ » .

- « نعم . وحاله وخيمة » .

- « أية مستشفى ؟ » .

- « مستشفى رازي أو سينا . تلك القريبة من ميدان شاهپور » .

- « أعرفها » . واطفأت سيجارتي . ثم قلت :

ـ «الأفضل أن أذهب أولاً مباشرة الى المسيو العقيد» . كنت على معرفة بالعقيد ، فقد كان العقيد جاء الشتاء الماضي مع خسرو في سفرة الى آبادان . قالت فرنگيس :

ـ «أرجو ألا يموت . ألاّ يزداد الوضع سوءاً عما هو عليه» . رفعت كأسي وشربته ونهضت . قلت :

ـ «إذا جاء خسرو إلى هنا فاستبقيه حتى أعود . استبقيه بأية طريقة كانت . حتى إذا اضطررت للتظاهر بالإغماء والسكتة القلبية» . فقالت :

ـ «حسنا» . ثم أضافت : «كلْ شيئاً ، كل لقمة ياجلال . معدتك خالية» . فقلت :

ـ «لا تقلقي ، يا فري . سنعثر عليه» . عانقتها ، ألصقتها بي . فقالت :

ـ «حسناً ، كل لقمة!» .

أعددت لقمة خبز وسمك وخضروات ، ووضعتها في فمي . ثم غسلتها فأنزلتها . جاء صوت من غرفة ثريا ، لا صوت إنسان ، بل مثل صوت طائر سقط في بئر فراح يحدث ضجة . نهضنا أنا وفرنگيس وجئنا الى غرفة ثريا .

ـ ٤ ـ

كانت ثريا جالسة وسط السرير ، ويداها على صدغيها كما لو كانت تريد أن تمنع على عجل انفجار جمجمتها واندلاق دماغها الى الخارج . كانت عيناها مثل جرحين متيبسين استحال الماء والدم في حدقتيهما الى مستنقع . الى جانب سرير نومها تقوم منضدة صغيرة كان عليها مصباح نوم وكتاب وقدح وعدد من الأدوية ومواد متفرقة

أخرى . عندما رأتني عند عتبة الباب غص حلقها وصدرها ، ومدت ذراعيها . تقدمتُ ، واحتضنتها .

ـ «خالي!» .

كانت أربع جدران غرفة ثريا مغطاة من الأرض حتى السقف برفوف الكتب وعدد من اللوحات ـ بعضها من رسمها هي . (كانت ثريا قد أنهت دورة لدراسة الفنون الجميلة والرسم في فرنسا . وبعد انتهاء دراستها عادت الى إيران ، لأن فرنگيس ما كانت تريد لها أن تبتعد عن إيران . وفي إيران أعفيت ثريا من الخدمة العسكرية الإلزامية ـ في العصر البهلوي الثاني ـ بحكم القرعة ، وها هي تعمل منذ نحو سنة في وزارة الثقافة والفنون) .

أخذت علبة مناديل فرنگيس الورقية ، فسحبت منها منديلاً مددته نحوها . قلت لها :

ـ «هيا أبكي . يقولون إن الفتاة التي تبكي يصير صدرها كبيراً» . لم تضحك ، ولكنها رفعت أنفها على نحو مضحك الى أعلى . أخذت المنديل وتمخطت ، ثم قالت :

ـ «متأسفة» . سحبت منديلاً ورقياً آخر وأعطيتها إياه . أخذته فمسحت عينيها . سحبت آخر وقدمته لها . أخذته . ما تزال تذرف الدمع وتتمخط . سحبتُ آخر ، فاخذته . وسحبتُ آخر فأخذته . سحبت ثلاثة أخرى ، فأخذتها ضاحكة ، ثم سحبت اثنتين آخرين فلم تأخذهما . حدّقت بي . تركتُهما على تنورتها . سحبتُ آخر وطرحتُه على فراشها . وسحبتُ ثلاثة أخرى فنثرتُها في الأطراف ، ثم سحبت ثلاثة أخرى فطيّرتُها في الهواء . انفجرت ضاحكة أخيراً . قلت :

ـ «الآن أحسن» . وقالت فرنگيس :

ـ «كيف حالك يا ماما ؟» فقالت ثريا :

ـ «حية» ، ووضعت يدها على بطنها ، وشبكتهما . قالت فرنگيس :

ـ «جعلني اللّه قرباناً لك على هذه الشجاعة وقوة القلب» .

ـ «نعم ، حقاً!» . ثم سألت فوراً :

ـ «ألم يأت خبر من خسرو ؟» . فقالت فرنگيس :

ـ «لا ، بعد» . وقلت :

ـ «في هذه الأطراف . سيظهر» . فنظرت ثريا الى شكلي وقامتي والى وجودي كله . ثم قالت :

ـ «خالي الحبيب ، خالي» . فاحتضنتها وقبل أحدنا الآخر . قلت :

ـ «سنجده ، إنه ولد طيب......» . وسألت فرنگيس :

ـ «لم تعد معدتك وبطنك تلويناك ، ماما ؟» . فقالت ثريا :

ـ «ثمة پروميثيوس كان في مكان ما باليونان القديمة ، ثبتوه بالأوتاد بصخور الجبال فكان يأتي نسر كل يوم وينقر كبده فيأكله ولكن پروميثيوس كان يستعيد حياته مساء» . فقلت :

ـ «نعم كان ، وربما هو موجود حتى الآن . أتريدينه في شغل ما ؟» .

ـ «لا! لقد صار قلبي وكبدي قلب پروميثيوس وكبده» . فقلت :

ـ «بارك اللّه فيك يا ثري...... قلب وكبد داميين ، وشفة وفم ضاحكين» . فضحكت ضحكة مكتومة .

ـ « على عيني ، يا خالي . دامية القلب ضاحكة الشفة» .

ـ «صارت أكثر شاعرية» . فقالت فرنگيس :

ـ «معدتك خالية يا ماما . قليلاً ، كمية صغيرة» .

أغمضت ثريا عينيها . فتحت يديها فوق بطنها وضغطتها . إن جسم پروميثيوس[١٩] ، أو لا بد أنه جسم العجوز اپو ميثيوس[٢٠] ، أو كائناً من كان ، يعاني عذاباً . ولكن روحه كانت في نار أشد . سحبتُ كرسيَّ زينتها الى أمام ، أردتُ أن أجلس قريباً منها ، ولكن عينيها كانتا متعبتين وبالكاد تبقيهما مفتوحتين . عندما أخذت يدها ، كانت مثل سمكة ميتة بالضبط . أغمضت عينيها . حدقت فيها ، كانت تبدو وكأنها ستغيب عن الوعي مرة أخرى . من ثنية النافذة المطلة على الشرفة ، التي كانت مفتوحة ، كان يمكنني أن أرى الريح والمطر والفلك ينشطون والدنيا تدور لنفسها . من نافذة الطابق الأعلى كان يصل صوت راديو يذيع أخبار الساعة الثانية . استقبل الشاهنشاه آريامهر وصاحبة الجلالة إمبراطورة إيران أعضاء المكتب السياسي والهيأة التنفيذية لحزب إيران نوين[٢١] . وقد تشرف بالحضور في هذه المراسم السيد أمير عباس هويدا ، رئيس الوزراء ، أيضاً . ضمن تنقلات مفصلة وهامة تفضل الشاهنشاه بشرح أهداف الحزب مركزاً على أن إيران يجب أن تبقى حية . يجب أن يكون حزب إيران نوين عاكساً لمطالب شعب إيران الخالد أبداً . ثم انقطع الصوت ، إذ وضع أحدهم گوگوش[٢٢] . قلت لثريا :

ـ «أتريدين أن تنامي ، ياپروميثيوس ؟» . ففتحت عينيها ، وقالت :

ـ «لا ، أريد أن أثرثر» . مسّدتُ على شعرها ، وجلست قربها . قلت :

ـ «ألا يزال يمتلك اللحية والشاربين المعروفة ؟» .

ـ «من ؟» .

ـ «خسرو» . فابتسمت :

ـ «لقد ضحى باللحيةً من أجل العرس . أما الشارب فلا يزال

ملتصقاً في مكانه ، أو على الأقل كان ملتصقاً حتى ليلة أمس » . فقلت :

-« بارك اللّه » . ثم قلت :

- « قالت لي فري أية... فنون شاهدتم ليلة أمس » .

أدارت ثريا وجهها نحو النافذة . إن التذكير بالحادث يبعث في قلبها الحزن . ثم رفعت يديها عن بطنها ، وأدارت وجهها ، ورفعت يدها اليسرى . حدقتُ في خاتمها الماسي والحلقة التي في يدها ، أو أنها في الحقيقة أرتني إياهما . قالت :

- لقد وضع أحدهم ليلة أمس ، في هذه البلاد الجميلة ، خطة لتضميخ عرس خسرو بالدم... » .

لم يكن تركيبها للجمل وأداؤها الدراماتيكي لينسجمان مع الحال والجو ، ولكنه كان جيدا . قلت :

- « اللعنةعلى ذاته » .

- « وقد ضمخه بالدم! » . فسألتها :

- « من ؟ أتعرفين ؟ » .

ارتفع حاجباها الرفيعان الى أعلى ، وتدلت زاويتا شفتيها .

- « ألا تستطيعين أن تخمني ؟ » . فقالت :

- « لا بد أنه ، أو أنهم ، نفس من وضعوا ذلك الحمل تحت إبط مجنونهم شهروز ذاك وقذفوه » .

- « ما دور شهروز المجنون ؟ » .

- « إنه أحد أعمام خسرو... ولكنه كان ألعوبة . حركوه وقذفوه . إنه مختل العقل » .

- « من حركه وقذفه ؟ إذا فهمنا ذلك أمكننا أن نجد عن طريقه

خسرو » .

ـ « يقولون إن شخصاً قبيحاً جلب شهروز مع حمله ، بسيارة فولكس قراضة ، الى أمام البيت حيث أنزله ، ووقف هو في مكان ، ثم أركبه مرة أخرى وأعاده » .

ـ « ومن يمكن أن يكون هذا القبيح القميء ؟ » .

ـ « لا ندري» .

ـ « وشهروز المختل عم خسرو ؟ » .

ـ « شهروز ، الإبن المختل للدكتور السناتور السيد فخر الدين إيمان » .

ـ « لا بد من شاحنة لحمل اسمه »

ـ « أو تابوت! » .

ـ « الدكتور إيمان جد خسرو ؟ » .

ـ « وقد مضى زمن منذ أن أعطى عمره لزوجته الخانم منور السلطنة إيمان » .

ـ « هنيئاً للخانم منور السلطنة ؟ » .

أدارت ثريا وجهها ، كي لا أرى ابتسامتها المريرة .

ـ « إن شهروز ، في الحقيقة ، مريض عقلي ، يا خالي . متخلف عقلياً . لقد أعدوا له مكاناً في زاوية حديقة بيتهم الكبير جداً ، حجرة خشبية ، وهم يحتفظون به هناك... » .

ـ« ألم تريه قبل هذا ؟ » .

ـ « أخذني خسرو يوماً الى بيت جدته ، يعني جدته لأبيه ، الخانم منور السلطنة هذه . لقد زرتهم جميعاً . أبو خسرو وأمه لا يتزاوران مع

عائلة الدكتور إيمان ، إنهم على خلاف منذ أعوام ، فأم خسرو بعد موت زوجها الأول ـ الذي هو سياوش خان[٢٢] ، الإبن الأول للدكتور إيمان ـ لم تعد تذهب قط الى منزل الدكتور إيمان . وهي في الحقيقة لم تذهب الى هناك ، حتى عندما كانت زوجاً لسياوش خان ، ثمة نوع من الزعل والكدر القديم بينهم» .

ـ «بعد موت أبي خسرو الحقيقي» .

ـ «نعم ، بعد موت أبي خسرو» .

ـ «سياوش إيمان» .

ـ «إي ، سياوش إيمان» .

ـ «كيف مات ؟» . مرة أخرى نظرت ثريا الى خارج النافذة ، وقالت :

ـ «كان عندهم بستان أبعد من كَرَج[٢٤] . كان سياوش وأم خسرو في البدء هناك . ذات يوم يسبح سياوش بمفرده في نهر كرج ويقال إنه غرق . وجرفه الماء» .

ـ «جرفه الماء ؟» .

ـ «لم يعثروا على جثته» .

ـ «كم كان عمره ؟» .

ـ «أربع وعشرون ، خمس وعشرون سنة . لا أدري على وجه الدقة» .

ـ «إذن ، فكم كان عمر خسرو حينئذ ؟» .

ـ «عندما مات أبوه ، كان خسرو في السنة الأولى من عمره» .

ـ «ثم ؟» .

- « بعدئذ يبدو أن أم خسرو تتزوج العقيد ؟ أو الملازم أو أية رتبة كان ؟» .

- « صحيح » .

- « الملازم الأول عباس ديوان لقا ، العقيد حالياً » .

- « ماذا قلت إنه اسم أم خسرو ؟ » .

- « فَرُخ[٢٥] . وجميلة جداً أيضاً . تشبه شكل اليزابيث تايلور[٢٦] » .

- « هنيئاً لسياوش وهنيئاً للملازم عباس ديوان لقا » . فأخذت ثريا يدي ، وضغطتها ، إلا أنها لم تضحك ، قلت :

- « إروي لي أكثر...... » .

- « كان أبو سياوش ـ يعني الدكتور السناتور إيمان ، وأبو لي لي خانم أم فرخ ، أخوين بالتزاوج[٢٧] . أذكر أن أحدهما صار دكتورا ثم سناتوراً ، وبقي ذلك الآخر بقالاً تافهاً سكيراً . فأبدل السناتور اسمه أيضا . كان لقبه أولاً : وفا (فقد كانا ابنين لتاجر شيرازي اسمه سيد جمال وفا) الذي لا يزال لقب أم خسرو وخالاته . ولكنهن على شقاق فيما بينهن ولا يتزاورن » .

- « ولا بد أنهم لم يحضروا حفل العرس أيضاً » .

- « لا ، لقد جاؤوا جميعهم تقريباً . لم يمتنع عن المجيء إلا جد خسرو من جهة الأم ، إذ أنه طلق أم فرخ خانم فلم يعد بينهما تزاور . كما لم تأت إحدى أخوات فرخ خانم لأنها على زعل » .

- « كنت أقصد عائلة السناتور » .

- « لا ...... » ، وهزت ثريا رأسها :

- « من أولئك لم يأت أحد ـ بالطبع فيما عدا مجنونهم هذا! » .

تناولتُ يدها وربت عليها .

ـ « كان خسرو نفسه يذهب أحياناً الى بيت جدته ، زوجة السناتور إيمان ـ المسماة خانم منور السلطنة ـ ليقدم أدبه واحتراماته . وقد طلبت منه مرة فأخذني أيضاً معه » . قلت :

ـ « حسنا يا ثريا . لنعد الى أصل الموضوع ـ يعني خسرو . أيمكن أن يكون خسرو الآن هناك ؟ يعني أيمكن أن يكون ذهب الى بيت جدته ؟ » . فسكتت ، وراحت تفكر .

ـ « ربما يكون قد مر هناك ، ولكنني لا أظنه بقي هناك . إن خسرو يحب جدته تلك ، لي لي خانم ، أم فرخ خانم ، كثيراً . فلا بد أن يكون مرّ هناك أيضاً » . ومرة أخرى راحت تتأمل لحظات . لم أقطع حبل أفكارها . وبعد مدة قالت :

ـ « لأنني أعرف خسرو يمكنني أن أخمن ، الى حد ما ، أين ذهب الآن كالجرحى الهاربين » . فقلت :

ـ « أين ؟ » . قالت :

ـ « إن خسرو الآن في حالة روحية مأزومة مبهوتة حائرة... إنه الآن في هذه المدينة الجميلة يطرق هذا الباب ويقرع ذلك ، يزور أي انسان ، يأتي بيوت كل الأقارب والمعارف حتى يفهم المعنى الحقيقي والجذر الواقعي لحادث ليلة أمس في حفل العرس . يريد أن يعرف منشأ كلام شهروز... وما لم يفهم فهو لن يستقر . خسروهكذا ، أنا أعرفه » . كان صوتها هادئاً ، ولكن لهجتها مريرة . وقالت :

ـ « لقد ذهب خسرو كي يفهم ماذا كان شهروز المجنون ذاك يعني عندما قال : (هذا دم أخي الذي تدفعون عنه القصاص) » . فحدقت في عيني ثريا ، وقلت :

ـ « ما المسألة ؟ » .

ـ « لا أدري على وجه الدقة ، يا خالي » .

ـ « يبدو أن ثمة أمور... » .

ـ « القدر الذي أعرفه أن أبا خسرو كان بالنسبة له مهما جداً ، ولا يزال » .

ـ « يعني أن أباه الميت له هذه الأهمية بالنسبة له بحيث يترك عروسه في ليلة عرسه ويرحل ؟ يتركك ويذهب ؟ » . خفضت ثريا رأسها عدة مرات :

ـ « الأب الذي مات منذ ثلاث وعشرين سنة ؟ » . مرة أخرى خفضت رأسها عدة مرات .

ـ « على هذا ، فلا بد أن في الأمر شيئاً » .

أدارت رأسها مرة أخرى ، راحت تحدق في المطر ـ عبر النافذة ـ دون أن تراه . لم يعد المطر يقطر فقط ، وإنما كان كما لو أن سقف السماء نزلت الى أسفل فانفتحت بوابة خزينة(٢٨) الكائنات . ومرة أخرى انفجر رعد في مكان ما وهز دويّ سماوي قلب المدينة وكبدها .

التفتت ثريا ، وقالت :

ـ « خالي ، كانت لخسرو ، على الدوام ، أفكار غريبة عن أبيه الحقيقي . صحيح إنه كان يحب على الدوام العقيد ديوان لقا بوصفه أبا ، ويحترمه ، والعقيد أيضاً تذوب روحه من أجل خسرو . ولكن أبا خسرو الحقيقي ، منذ يوم مات ، ألقى ظلا مشؤوماً على روح خسرو . كان خسرو يظن أن موت أبيه وهو في الواحدة من عمره لم يكن فقط أسوأ الحوادث وإنما أسوأ الأمور توقيتاً أيضاً » .

ـ « سيئة وسيئة التوقيت من حيث ماذا ؟ » .

ـ « لا أدري . لقد سمعنا أن أبا خسرو ، يعني سياوش ، على خلاف كلام وإرادة عائلة أبيه يتزوج فرخ ، ابنة اخته بالتزاوج . وفي

الحقيقة إنه قبل زواجه من فرخ ، يترك عائلة أبيه أو أنهم يطردونه» .

- «ماذا نعرف أيضاً عن هذا السياوش ؟ يبدو مخلوقاً مثيراً للاهتمام» .

- «كان سياوش إيمان متمرداً وشاعراً في عصره - ولا بد أنه كان عبقرياً . لقد ترك سياوش إيمان في سن العشرين بيت أبيه ورفاهه ، وذهب أبعد من كرج ، ليعيش في خربة أو بستان يملكه أحد أقاربه ، ويروح فيصير زرادشتياً» .

- «يروح فيصير ماذا ؟» .

- «يصير زرادشتيا» . هرشت رأسي :

- «ابن الدكتور السيد فخر الدين إيمان يذهب فيصير زرادشتياً» .

- «نعم» .

- «تبارك الله» . لم تضحك ثريا ، إذ لم تعد عندها ضحكة . فقلت :

- «ثم يتزوج سراً من أليزابث تايلور» . ابتسمت ثريا ابتسامة باهتة ، وقالت :

- «نعم ، ثم يتزوج فرخ - سراً وعلى نحو بسيط فيما يبدو . يعيش سياوش وفرخ هناك مدة ويولد خسرو هناك . وبقوا هناك سنة في بستان كرج» .

- «كيف كانوا يُمرون معيشتهم» .

- «لا أدري . كان هذا قبل سنوات بعيدة بالطبع . سنوات واحد وثلاثين - إثنين وثلاثين[٢٩]» .

- «سنوات الدكتور مصدق» .

- «نعم . ولكن كانت لسياوش وفرخ ، فيما يبدو ، حياة بسيطة جداً ، حياة محبةٍ ودروشة . لا أدري . كانا وحيدين . كان سياوش يقرأ الشعر في الأمسيات ، ويكتب الشعر . ويقرأ من الكتب الزرادشتية . يقطّر لنفسه الشراب . وفي بعض الأحيان يختلط بأهالي كرج العاديين . كان سعيداً . وكان أحياناً يسكر مع الناس . كانت له دنياه» .

- «ويغرق في النهر ؟» .

- وفي صباح ذات يوم من أواخر شهر مرداد[٢٠] سنة اثنتين وثلاثين عندما ذهب بمفرده ليسبح في النهر ، يغرق . النهر في مؤخرة بستانهم» .

- « وقلت إن جثته...» .

- «لا يعثرون على جثة سياوش . لا أدري . قالوا إن الماء جرفها...» .

- « ولا يتم العثور عليها أبداً ؟» .

- «لا» .

حدقت في عيني ثريا . كما لو أن الجثة الميتة لسياوش إيمان - الذي تمرد في عائلة الدكتور سيد فخر الدين إيمان - تتمرغ في عيني ثريا . وسألتها :

- «ثري ، موضوع زرادشت وتحول سياوش الى الزرادشتية هذا ، أية أهمية كانت له بالنسبة لخسرو ؟» .

- «كبيرة» . ثم قالت : «انتظر يا خالي ، فسأريك شيئاً» .

مدت يدها فأخرجت من بين الكتب والأوراق القريبة من السرير دفتراً صغيراً قديم المظهر . وقالت :

ـ « كان هذا دفتر ملاحظات سياوش ، أبي خسرو الحقيقي ، في ذلك الصيف إياه الذي انتهى بموته . وقد وصل الدفتر فيما بعد الى خسرو . كان خسرو يعبده مثل قطعة جواهر من تركة الأعزّة الماضين . أعطانيه ، بوصفة أكبر وأعزّ رمز لحبه » .

ـ « ماهو ؟ » .

ـ « ملاحظات سياوش المتناثرة حول زرادشت » .

ـ « ظننتك تريدين أن تقولي حول الانقلاب ضد الدكتور مصدق » .

ـ « لا... أ ! لم يكن سياسياً في الظاهر . حول زرادشت وأمثال هذه الأمور » . أخذت الدفتر ، وقلت :

ـ « إن رأيته فيمكن لهذا أن يكون رسالة جيدة منك اليه » .

ـ « حسناً ، ولكن لا تضيعه يا خالي! » ، وضحكت .

ـ « لا ، اطمئني » .

ـ « إنه متصل بجذور روحه » .

وضعت الدفتر في جيبي على عجل ، قرينا لكتاب حياة مورسو . قالت :

ـ « إن سر وغموض روح خسرو حول أبيه يتعلق بهذه الأسباب والأحقاد بالذات أيضاً . والآن ها هو ذاك الكلام الذي قاله ليلة أمس ذاك المجنون شهروز! » . مرة أخرى تناولت يد ثريا ومسدتها في وسط يديّ . ،قلت :

ـ « ينبغي أن نعثر عليه ، ونساعده » .

ـ « بأسرع وقت! » .

ـ « لا تقلقي » .

- «أنا قلقة يا خالي» .

- «مم ؟ قلقة من شيء بالذات ؟» .

- «من الأوضاع التي هي على هذا النحو . ثمة شيء من رائحة كريهة ، نوع من فساد ، تحت جلد هذه الوضعية الرسمية والمختومة» .

- «ثمة دائماً» .

- «لا أدري» .

- «سنجده . سأجده» .

- «قلبي مضطرب» . وضعت يدي تحت ذقنها :

- «ثري ، قولي بصراحة : ما سبب اضطرابك ؟ أثمة شيء ينبغي أن أعرفه ؟» .

- «لا - لا أدري - فقط... لأن خسرو يكلف نفسه عناءاً شديداً كي يفهم حقاً وصدقاً حقيقة الأمور» .

- «وماذا بعد ؟» .

- «ربما يصيبه بلاء...» .

- «لا تقلقي ، سنعثر عليه» . فقالت ثريا :

- «لخسرو شخصية ولكنه أيضاً ، لست أدري كيف أقول ، خام وعديم التجربة . يمكن أن يذهب الى أي مكان . يمكن يتشاجر مع أي كان . وعندما يصير عصبياً ، يصير حساساً نارياً ، يصير غير قابل للتنبؤ...» .

عادت فرنگيس الى الغرفة - مع قليل من الحساء وقليل من الحليب على صينية . الأم المغذية . سألت ثريا :

- «أيمكنك أن تحدسي أين يمكن على وجه الدقة أن يكون خسرو

الآن ؟» . فهزت ثريا رأسها . ثم قالت :

ـ «لا بد أنه ذهب الى بيوت كل الأقارب والأصدقاء والمعارف القدامى» . وقالت فرنگيس :

ـ «منذ ليلة أمس حتى الآن كنا على اتصال تلفوني بأمه فرخ خانم فقط ـ يعني أنني أنا تلفنت عدة مرات . يبدو أن خسرو لم يذهب الى بيت أمه أيضاً . وليس في منزل جدته تلك ، لي لي خانم ، تلفون . وليس عندنا أي اتصال بجدته الأخرى ، جدته لأبيه . وقد أرسلنا بطاقة العرس لهم جميعاً ، ولكنهم لم يأتوا . بالطبع عدا ذلك!» . حدق أحدنا بالاخر . لم يبتسم أي منا . وسألت :

ـ «قلت إن خسرو في أية ساعة جلبكما الى هنا ؟» .

ـ «في العاشرة والنصف . وقع ذلك الحادث في التاسعة والنصف . بعد تزاحم كل الضيوف بلباسهم الدامي فيما بينهم ، وراح كل واحد ينظف الدم من طرف ، أعلن خسرو أن الحفل قد انتهى . ثم ركب سيارته وأركبني وثريا فجلبنا الى هنا وراح...» .

ـ «وقال إنه ذاهب كي يفهم أموراً بشأن أبيه ؟» .

مرة أخرى راحت ثريا تحدق عابسة في المطر ـ كما لو أنه كان يغسل عقد زواجها ويزيل آثاره ، إن العقد الذي لم يجف حبره بعد ها هو يمهر بختم «باطل» . وكنت أنا أفكر في أين يمكن أن يكون خسرو قد ذهب منذ الساعة الحادية عشرة من مساء أمس حتى الآن .

كانت ثريا تقرأ أفكاري ، فقالت :

ـ «يمكن أن يكون قد ذهب الى بيوت آلاف من الناس . لا بد أنه ذهب فشبك كل عائلتي أبيه وأمه ، ثار عليهم ، سألهم أسئلة معقدة ، وزاد عداءهم له» . تنهدتُ وقلبت الأمر على وجوهه ، ثم قلت :

ـ «ثمة طريقان : إما أن نجلس ثلاثتنا هنا ، نكسر اللب ، لا نفعل

شيئاً ، وننتظر حتى يعود هذا الطائر القدسي من سفره » ، فقالت فرنگيس :

ـ « جلال! » .

ـ « أو الطريق الثاني وهو : إنني إذ جئت الى طهران أقوم فاذهب لأفتش عن خسرو » . حدقتْ فيّ الاثنتان ، عابستين وساكنتين . فقلت :

ـ « ولكن خسرو ذهب يتعقب الحقيقة والصدق... ولنتذكر أن السيد زرادشت قبل ألفي سنة ونيفّ ذهب الى جبال وحدود هذه البلاد يتعقب الحقيقة والصدق ، وقد استغرقه ثلاثون عاماً حتى فهم ما حقيقة وصدق هذه البلاد الجميلة . وبعد ثلاثين عاماً ، عندما يكون خسرو قد فهم الحقيقة والصدق وعاد فجاء ـ إن جاء ـ فإنه لن يكون مفيداً لأحد . ولهذا فمن الأفضل أن أسرج جوادي وراء العريس ، وأرى أين يمكن الظفر به » . فقالت فرنگيس :

ـ « إذن دعني أحصل لك على سيارة أجرة تلفونية » .

ـ « لا ، أذهب بسيارتك . هل وضعها سالم ؟ » .

ـ « نعم ، ولكن... أتستطيع أن تقود ؟ » .

ـ « نعم ، ففي سيارتك تروس اوتوماتيكية ، وأنا فقط في رجلي اليسرى بعض الخدر . لهذا فلا أحتاج الى رجل للقابض[٣١] . نعم ، أستطيع » . فقالت فرنگيس :

ـ « ولكن أين ؟ إنك غريب ، فلا تعرف بالطبع عناوين كل هؤلاء الناس العجيبين... ؟ » . فقلت :

ـ « أبدأ من العقيد ، فأنا أعرفه » . فاستلت فرنگيس آهة :

ـ « بهذه الرجل في هذا المطر وهذه العاصفة ؟ » . فغمزت لها :

ـ « لا تخافي ، فلست كرة ثلج » . بدأت ثريا في النهوض عن فراشها . وسألتها أمها :

ـ « أين تقومين أنت بحالك هذه ؟ » .

ـ « ماذا لو أذهب أنا أيضاً مع خالي ؟ » .

ـ « لا! » .

ـ « نعم ، يا ماما » . وقلت أنا أيضاً :

ـ « الأفضل أن تبقي أنت هنا ، أيتها السيدة العروس . إذا ما جاء خسرو فهو يجب أن يراك هنا » .

ـ « ها ؟ » .

ـ « جديا ـ إبقي هنا » . وقالت فرنگيس أيضاً :

ـ « لا ، أنت إبقي ، يا ماما » .

ـ « أنا أعزف العقيد . وأعرف بيت الدكتور راسخ أيضاً . يمكن لهذا أيضاً أن يساعد » .

ـ « حسنا » .

أخذت عنوان أم خسرو أيضاً ، احتياطاً . وأخذت عنوان منزل منور السلطنة أيضاً . وسألت :

ـ « قلت إنهم نقلوا العقيد الى المستشفى القريب من ميدان شاهپور ؟ » . فقالت فرنگيس :

ـ « ثمة مستشفى رسمي قرب ميدان شاهپور ؟ أنت تعرفه ؟ » . فقلت :

ـ « مستشفى رازي . وأعرف المجلة ، يا أختاه! لا زالت الروح الحائرة للأرباب(٣٢) حسن ، يرحمه الله ، تهيم في أزقتها » .

لم تبتسم ، ولكنها هزت رأسها وأشعلت سيجارة جديدة .

- ٥ -

أخذت مفتاح پيكانِ[٢٣] فرنگيس ، خرجت فحركت شهاب انبعاث الصناعة الإيرانية الحديثة رباعية العجلات ، الذي كان واقفاً أمام المبنى عند حافة ساقية الشارع[٢٤] ، وانكببت نحو ميدان شاهبور . كان الزحام جميلاً بالطبع ، والهرج والمرج والتدافع وأصوات أبواق السيارات وهذر ملّتنا الصناعية النجيبة أجمل . وقرب المستشفى تحققت معجزة القرن فوجدت مكاناً للتوقف في مدخل شارع مهدي موش ، الذي لا يبعد كثيراً عن مستشفى رازي ، الى جانب بائع بنجر مطبوخ . وفي نفس اللحظة ظهر ماسح سيارات ـ أعرج يشبه مظهره اللصوص الحشاشين ـ تحت المطر حاملاً عَرجَه ودلوه ، فكلفته مجبراً بحراسة الپيكان . كان من المفارقات أن أذهب في يوم ملهوج من أيام طهران كهذا اليوم لرؤية عقيد انضباط الشرطة العامة للبلاد عباس ديوان لقا ، المهندس وأخصائي المرور ، النائم على فراش الموت .

قالوا إن ديوان لقا نقل من غرفة العلاج المركز الى غرفة خاصة . كان وراء الباب حارس له وجه وعينان منتفخة من الكحول . قدمت نفسي للسيد ، وسألت عن أحوال العقيد . فقال بدون اهتمام : «حال العقيد سيئة ، تفضل» . ولكنني تمكنت أخيراً من إقناعه بأن يسمح لي أن أرى العقيد بضع ثوان ، فثمة مسألة موت وحياة ابن العقيد وكنّته . قبل الحارس أخيراً ، على مضض .

من صوت انفتاح الباب وانغلاقه ، تحرك الهيكل الضخم جداً ، الممدد على فراش النوم تحت الملاءات البيض . رفع رأسه . كان قرب رأسه جهاز عرض خاص لتصوير القلب ، يشتغل ، وثمة نقطتان أو ثلاث مضيئة تشع عليه وتمضي لحالها . وكان أعلى جذعه تحت كيس

الأوكسجين ، وساعده مربوطا بابرة وأنبوبة مطاطية تسمح للدواء - مثل آخر قطرات ماء الحياة - أن يجري في عروق العقيد . كانت صفحة وجهه عديمة الحياة ، وبدت جمجمته الصلعاء الصغيرة - في نور النهار الغائم ومصباح السقف الخابي - مهزولة . وكان بدنه الضخم ينتأ مثل قمة شوهاء تحت البطانية والملاءات . وترتفع بطنه وتنخفض بالأنفاس البطيئة الضعيفة .

كما لو أن صوت باب الغرفة ، ودخولي ، قد بعث الرعب في وجهه . ولكنه لم يلتفت . لا بد أنه لم يكن يستطيع . سأل :

- «من ؟ ها ؟» . كان القلق والخوف منسوجين في حبال صوت حنجرته . قبل شهرين جاء هذا الرجل مع خسرو الى آبادان ونزل ضيفاً عليَّ .

تقدمت ، وذكرت اسمي وذكرته بنسبتي الى خسرو وثريا ، وسألت عن حاله . حدق العقيد ديوان لقا بي ، ثم خفض رأسه . دار ما يشبه كلمة آه» أو «آهان»[٢٥] في حنجرته . قلت له إن أختي أطلعتني تلفونياً على تفاصيل واقعه ليلة أمس وإنني قدمت لكي أقدم العون ، إن أمكن ، لثريا وخسرو . وسألته إن كان بمقدوره أن يخمن أين يمكن أن يكون خسرو ؟ فهز رأسه . لكنه قال :

- «حالك طيبة ، يا سيد آربان ؟» .

شكرته . لم تكن حاله حال شخص في سكرات الموت ، ولكن لا يمكن التنبؤ . كان شيء ما قد فجَر سدى ولحمة وجوده ، أو كان يفجره وسأل :

- «الرضيعة... والصبية ، كيف هما ؟» . فشكرته ، ثم سأل :

- «كم الساعة ؟» . فنظرت الى ساعتي ، وقلت :

- «الرابعة... بقيت ساعة أو ساعتين لوقت الزيارات» .

هز العقيد رأسه بمرارة ـ بما يعني أن قصده من السؤال لم يكن وقت الزيارة . وحاول أن ينظر الى وجهي ، ثم قال :

ـ «من المقرر أن ينقلوا العبد للّه... الليلة... الى مستشفى الملكة الأم ، مركز علاج القلب . ولكنني... أنا لن أخرج من هذا السرير اللعين حياً ، يا سيد آريان» .

ـ «ما هذا الكلام يا جناب العقيد ؟» . فقال :

ـ «أن المرء ليحس زمان موته» .

أردت أن أقول شيئاً ، ولكنه رفع يده الى أعلى ، وأغمض عينيه بألم . ومع أنني لم أكن أعرفه جيداً إلا أنني ، من الأسبوع الذي قضاه في آبادان ، وتعارفنا ، ارتحت اليه نوعا ما . بدا لي معجوناً إنسانياً عجيباً ومعقداً . لقد ربّى ولدا ، هو خسرو ـ لم يكن ابنه ـ لمدة اثنتين وعشرين أو ثلاث وعشرين سنة ، وأضفى عليه إيثاراً ومحبة فوق رابطة ومحبة أب بإبنه . لقد كانت له ملحمة عاطفية خاصة . قال :

ـ «يا سيد آريان... قبل أن أموت ، أتوسل اليك أن تعطي العبد للّه قولاً...» . فقلت محتاطاً :

ـ «أي قول ؟» . فقال :

ـ «أرجوك... اعطني قولك اولاً ، ثم أبيّن لك . لا يتوفر وقت كثير» .

وضع يده فوق قلبه . عرقت جبهته ، فابتلت حتى كاسة جمجمته . تذكرت مورسو في غريب كامو وحاله عندما ذهب الى المقبرة لتشييع أمه . بدا لي العقيد هنا وكأنه يذهب الى تشييع جنازته هو . السكتة ، أخافته بشكل سيء . لقد خسر روحه . ولا بد أنه كان محقاً إذ أنه في الخامسة والخمسين أو الستين من عمره . في الحقيقة ، كانت الدموع المتيبسة في عينيه المحتقنتين الحمراوين تثير الأسى . مد

يده الى أمام ، فأخذ يدي . كانت يده باردة ضعيفة ، مثل قطعة غضروف عديم الرمق تماماً . قال :

ـ «بضعة الأصباح تلك التي أزعجكم فيها العبد لله في بيتكم فتعرفت فيها على جنابكم العالي ، جعلتكم ترتبطون في ذهني بالرجولة والبساطة . يا سيد آريان ، اقطع لي عهداً...» ، وبقيت جملته ناقصة ، وانطبقت شفتاه ، وانطبق جفناه ، ومرت بضع لحظات في سكوت .

في خارج النافذة دوى رعد جديد . وصار صوت خرير انهمار المطر ، من فوق المزراب خلف النافذة ، أعلى . ومرة أخرى فتح العقيد ديوان لقا عينيه ، وقال :

ـ «اعط... العبد لله قولا ، أن تعثر على خسرو قبل أن تعود الى الجنوب . اقطع عهداً بأن تضع يده في يد ابنة أختك . فهما معقودان أحدهما للآخر ، وهما يحبان أحدهما الآخر . فليحالفهما التوفيق ، بالسعادة واليمن... إن خسرو فتى ذو شخصية وجدير بثرياكم . لقد ارتكبت في حياتي أخطاء كثيرة ، ولكنني ربيت هذا الولد بعز وفخر . . . اعط العبد لله قولا » .

حدقت في عينيه المظلمتين المريضتين ، وسألت :

ـ «أية أخطاء ؟» . فهز العقيد رأسه ، وقال :

ـ «احمل خسرو على أن ينسى مساويء عائلته الماضية . ليسعد فقط» . عندما سكت ، قلت :

ـ «على عيني... يا ليت في المقدور إملاء السعادة والتوفيق على أحد . على أية حال ، على عيني ـ فقد جئت الى طهران كي أساعد ، إن كان ذلك ممكناً» . قال :

ـ «قول . . . ، اعط قولا!» . فقلت ، راغباً أو مضطراً :

ـ «على عيني» . فمد يده نحوي ، وأعطيته يدي .

أخذ يدي في يده ، ضغطها وهصرها ملتمساً ، ثم قال :

- « قول رجل » .

- « على عيني » .

فتنهد تنهدة ارتياح . ورأيت الى وجهه ينطوي مثل كتاب عتيق .

كنت رأيت كثيرين على فراش الموت ، ولم يكن أي منهم خالياً من الألم واليأس والسراب الواهي . وهذا المحتضر كان كأنه ينطوي في صدره على ألم الدنيا والآخرة من أجل الطفل الذي لا يعود له . قال ، مغمض العينين ، وكأنه يكلم نفسه :

- « أظن . . . أظنه اليوم صباحاً ، قرب الفجر ، كان هنا » . فسألت :

- « خسرو ؟ » ، وخفض العقيد رأسه . فقلت :

- « كان هنا صباحاً ؟ ماذا قال ؟ ماذا أراد ؟ » .فاستل آهة :

- « ربما كنت أحلم . أو ربما كنت فاقد الوعي . ولكنني أظن خسرو كان هنا قرب الفجر يلقي أسئلة » .

- « أتذكر ما سأل ؟ » .

- « أنا... لم أكن واعياً تماماً . كان يسأل أسئلة . سأل عن حياته . سأل عن حياة أبيه . والحقيقة... آه . لم أكن واعياً . عجيب... كان عجيباً » .

- « ماذا كان يريد ؟ » . فهز العقيد رأسه :

- « الماضي ولّى » . فسألته :

- « يا جناب العقيد ، أي ماض يجب أن ينساه خسرو ؟ إذا فهمت ، فهذا سيساعد على توضيح هذه القضية » . ومرة أخرى هز العقيد رأسه ، وقال :

ـ «النفور... الحقد... الزعل...» ، فسألته :

ـ «نفور ممن وحقد على من ؟» .

ـ «ليس على أحد بالخصوص . ليس لخسرو نفور أو حقد من أحد أو على أحد بالذات . إن خسرو طاهر . النفور والحقد بيننا ، نحن عديمي العواطف ، الذين نكاد نكون مَبارد الروح للناس الحساسين الباحثين عن الحقيقة» . فسألته :

ـ «ما كان يريد خسرو ؟» .

ـ «يا سيد آريان ، إن خسرو أحد الناس الحساسين الباحثين عن الحقيقة ، للأسف» . ثم سكت . وقال فيما بعد :

ـ «قل له عن لساني ، التمس منه ، أن ينسى نفور وانتقام وضغينة أفراد عائلته وأن يغفر للجميع...» .

ـ «يعني أن يغفر لعائلة السناتور إيمان ؟» .

ـ «يعني أن يغفر للجميع . أن ينسى كل شيء . الكثير من الأمور» .

ـ «أية أمور ؟» .

نظر العقيد الى السقف ، الى نقطة وهمية ، وراح يهز رأسه . كما لو كان يدور هناك حول مركز دائرة بدايات تعاسات حياته . فقلت :

ـ «يا جناب العقيد . إنني أعتذر ، في الحقيقة ، عن مزاحمتي . ولكن قصدي هو الخير والخدمة . قالت ثريا إن رجلا أسود طويل القامة أبيض اللحية جلب شهروز هذا ليلة أمس الى حفل العرس . من كان هذا الرجل ؟» .

أدار العقيد ديوان لقا رأسه نحو الجدار . وراح يصك أسنانه . وببقية القوة التي كانت عنده رفع يده وأهوى بها ، متحسرا ، على

الملاءة . وقال :

- « كله تقصير هذا الرجل الدون ابن المحروق » . فسألت :

- « من هذا الرجل ؟ وأين هو ؟ » .

- « اسمه محمد كوه گرد . وهو قريبي ، من بعيد ، أيضاً ، من أهل بروجن وتلك الأطراف . كان في البداية يشتغل في بيت الدكتور إيمان بشيراز . تربى هناك . كان يمارس الخدمة في البيت وخدمة السادة » . فسألته :

- « لماذا أراد هذا الرجل أن يخرب عرس خسرو ؟ » .

أدار العقيد رأسه مرة أخرى . حدق من النافذة في العاصفة وصوت الرعد ، كما لو كانا يعاندانه . ثم قال :

- « ينبغي أن يفهم خسرو أن ضجة ليلة أمس في حفلة عرسه لا علاقة لها بماضي عائلته - بأي وجه من الوجوه! إن أصل دعوى ليلة أمس فقط وفقط تحت رأس حقد هذا الدُون ممد[٢٦] محروق الأب » .

- « أين هذا الشخص ؟ ألا يزال في بيت الدكتور إيمان ؟ » .

- « في بيته هو . بشهرآرا . وله قصة... فقد تشاجر هذا القواد مع أم خسرو بشأن معاملة على قطعة أرض ومال . كان في عقد بيع الأرض بعض الإشكالات . انتقل الأمر الى المحكمة . وكانت بينهما مرافعة في المحاكم دامت ثلاث سنوات . وحكمت المحكمة أخيراً لصالح أم خسرو . من هنا حمل قلب ابن المحروق هذا حقداً . كان يتصور أننا استفدنا من المحسوبية فنصبنا عليه . فجاء وخدع ابن منور السلطنة المجنون هذا ، وعبأه ، واستحمره ، وجاء به الى حفل عرس هذا الولد البريء فلخبطه... هذا كل ما هناك . إذا ما نهضت عن هذا السرير اللعين فسأمزق ابن حرملة[٢٧] عديم الشرف هذا وأرميه أمام كلاب بروجن » .
كان يرتجف ضعفاً وعصبية . فقلت :

- «هدوءاً يا جناب العقيد ، إهدأ . سينصلح الأمر . إنني أستأذن» .

هز العقيد رأسه ، وسكت قليلاً . كان يبدو أنه يتنصت على صوت الرعد والمطر ، الذي كان يضفي على سواد الوضع الحالي سمة أكثر عبوساً . ثم قال :

- «إبق ، ايها السيد المهندس» . فقلت :

- «لا أريد المزاحمة ، يا جناب العقيد . ولكن ثمة مسألة واحدة . ثمة أمر يبدو أنه شدّ اليه مخّ خسرو كالآكلة وجعله يتعقبها ، أمر يتعلق بموت والد خسرو الحقيقي . ماذا من حقائق بشأن أبي خسرو ؟ أثمة شيء يمكن أن أعرفه بخصوص سياوش إيمان يمكن أن يساعد خسرو ؟» .

عندما ذكرت في تلك الساعة ، بتلك الغرفة ، اسم سياوش إيمان ، أدار العقيد ديوان لقا رأسه نحوي . حدّق فيّ فاغراً . في قلب ليلة كالقار كان يبدو أن ضجيجاً مزّق فضاء الغرفة فجأة . استحال لون العقيد مثل الجص . انضمت عيناه . غمغم كلمات غير مفهومة . ولكنني لم أسمع كلماته بين الرعد الجديد الذي كان يهز زجاج النافذة الآن . رأيت فقط الموت يترسب على وجهه .

انفتح باب الغرفة ، دخل طبيب وممرضة . لم يسرّ الطبيب الشاب ذو اللحية التيسية من وجودي هناك . لكنه لم يقل شيئاً . تقدم ، وانشغل بفحص نبض العقيد وضغط دمه . كان وجهه منقبضاً ، ولكن ليس يائساً . وأشارت لي الممرضة ، النحيلة كبيرة الأنف - بيدها - آمرة أن أشرّف بالخروج .

خرجت من الغرفة . وأغلق الحارس منتفخ العينين الباب .

- ٦ -

كانت فتاة شابة تقف متكئة على الجدار في الممشى ، وراء باب غرفة العقيد المحتضر ، وفي يدها إضمامة ورد ملفوفة بورق معدني . كانت واقفة ، لا تفعل شيئاً ، كما لو أنها مترددة أتدخل أم لا تدخل ، أو ماذا تفعل أصلاً . كانت فتاة دقيقة الحجم في حدود الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين ، طويلة الوجه ، مضطربة ، شعرها قصير وكأنه مصبوغ ، لها عينان زرقاوان تميلان الى ما بين الخضرة والصفرة ، متوحشة قليلاً ، لها حالة الفتيات الوحيدات السوداويات : حفيدة البنت الاثيرة لـ (بوف كور)(٢٨) . وكانت ترتدي معطف مطر أرجوانياً ، وجزمتين سوداوين تصلان الى ما دون الركبتين .

نظرت اليَ إذ خرجت من غرفة العقيد ، وكانت تتساءل ولا بد من يكون هذا الطويل القامة ذو الشارب حامل العصا .

حييتها وقدمت نفسي ، وأخبرتها بنسبتي الى ثريا وخسرو «العريس الهارب» . كانت لها ابتسامة نظيفة واسعة . كانت رؤية ابتسامتها ، رائحة عطرها ، وجهها البهيج المزين ، دنيا غير دنيا عقيد الانضباط عباس ديوان لقا المعرضة للموت ، رغم حالة الاضطرار والتردد فيما بين ما أفعل وما لا أفعل المحفورة في أعماق عينيها . قلت :

- «لا بد أنك خالة العريس الهارب الشابة» . فقالت :

- «م عرفت ؟» ، وعرضت ابتسامتها مرة أخرى .

ذكرتنيَ بماري كاردونا ، عشيقة مورسو الضاربة على الآلة الكاتبة ، مع أن مورسو قابل ماري في حوض أثناء الاستحمام .

- «من عينيك . من حنكك الصغير الجميل الشبيه بحنك أمك . عندما جاء خسرو الى آبادان كان يحمل في حقيبته صوراً أراني

إياها» . فضحكت حفيدة بنت «بوف كور» ، وقالت :

ـ «لا...! مامي جميلة!» . فسألتها :

ـ «ألم تري خسرو اليوم ؟ إنني أبحث عن خسرو» .

ـ لا . مامي أيضاً كانت تنتظر أن يأتي خسرو الى بيتنا» .

ـ «أكان مقرراً أن يأتي الى بيتكم ؟» .

ـ «لا ، لم يكن مقرراً ـ ولكن خسرو كلما يكون غير مرتاح يأتي عند مامي ـ يعني جدته» .

ـ «ولم يأت اليوم ؟» .

ـ «لا . وجلست مامي تنتظره . وهي قلقة جداً أيضاً . وقلبها يغلي أيضاً من الوضع المجنون الحالي . بقيت هي في البيت وطلبت مني أن أجيء فأجلب قبضة الهاون هذه» ، وأشارت الى إضمامة الورد التي كانت بيدها ، ثم سألت :

ـ «كيف حاله ؟» . سررت ، قلت :

ـ خراب . تكلم معي قليلاً ثم غاب عن الوعي . جاء الدكتور والممرضة . أخرجني الدكتور . لا أظنه سيعود الى وعيه قريباً» .

أخذتُ إضمامة الورد إياها فأعطيتها للحارس منتفخ العينين ، الذي كان يقف بعيداً عنا ، كي يقوم باللازم . كانت الفتاة ما تزال مترددة ، لا تدري ما تفعل . قلت لها إن بمقدوري أن أوصلها للبيت إن كانت تريد ، فسيارة أختي في الخارج ، وأنا أرغب أن أتحدث الى أمها . وربما جاء خسرو أيضاً :

ـ «ها ؟» . قالت :

ـ «لا ، شكراً ، لماذا تتجشم العناء ؟» . فقلت :

ـ «تعالي . دعي المجاملات جانباً» . كنت قد ملت اليها ، مع أن

(أو ربما لأن) كل جملها تبدأ بكلمة : لا ـ وهي لا بد أن تكون أمارة الروح السلبية البائسة والباعثة على اليأس الكامنة تحت وجهها البهيج المزيَّن . وقلت :

ـ « كما أن العقيد ليس في حال يمكنه معها أن يرى أحداً أو يعرفه » . فقالت :

ـ « لا ، كان قصدي أنني لا أريد أن أسبب لك زحمة » . فقلت :

ـ « كنت أريد أن أتحدث الى أمك عن خسرو . والعنوان عندي . أما إذا كنت أنت معي فسأجد البيت على نحو أسهل في هذا الزحام . وسأنال سروراً أيضاً » . فنظرت الي وقالت :

ـ « إذن فأنت جلال خال ثريا الشهير ؟ » .

ـ « مثلا » .

ـ « الذي كان مقرراً أن يأتيا عندك في شهر عسلهما ، في آبادان » ؟ .

ـ « كان مقرراً . نعم » .

ـ « كيف آبادان ؟ وكيف حالك ؟ سمعت أن رجلك كسرت . وما تزال تتأبط... » ، فقلت :

ـ « آبادان جيدة ، وأنا أجود... فلنتركني ، أتشرّفين بالمجيء ؟ هذه وضعية متأزمة . ينبغي العون » .

كانت حفيدة « بوف كور » الأثيرة تقضم أحد أظافرها الآن ، أمسكت بكمّ معطفها المطري ، وقدتها الى باب الخروج . فجاءت ، مثل روح ، أو مثل تصوير بلا هوية ولا دفتر نفوس يتحرك بزرٍ غير مرئي .

عندما وصلنا رأس السلم ، أخرجت من حقيبتها منديل رأس ذهبي اللون عليه نقش شجيرات متشابكة حمراء ، فوضعته على شعرها

وعقدته تحت ذقنها . كانت الريح قد اشتدت ، وراح مطر خفيف يصفع الوجوه . خرجنا من المستشفى . سألتها :

ـ «أعندك سيارة ؟» . فقالت :

ـ «لا . لا أحب . أفيمكن في هذه المدينة السيئة لسيارة أن تتحرك ؟» . فسألت مازحاً :

ـ «سيئة جداً ؟» .

ـ «لا ، مرعبة! إنني لا أخشى إلا أن تكون جهنم أيضاً مثل هذه المدينة ملآى ازدحاماً وكذباً» .

قدتها نحو السيارة عند رأس زقاق بياع الشمندر . وسألتها :

ـ «وماذا عن ناس المدينة ؟» .

ـ «هؤلاء أيضاً سيئون . لا أحبهم» .

ـ بسبب ما جرى ليلة أمس ؟» .

ـ «خصوصاً بسبب ما جرى ليلة أمس ـ ومن أجل خسرو المسكين ، ومن أجل ثرياك!» . ركبنا . قلت :

ـ «المنزل في شارع بهار ، صحيح ؟» .

ـ «المنزل ، ماذا أقول ؟ عندنا بيت مستأجر بثلاث غرف . كيف تعرف ؟» .

ـ «أخذت العنوان من ثريا» .

ـ «على فكرة . أحالها حسنة ؟» .

ـ «معنوياتها جيدة» .

ـ «آه ، لينزل علينا الموت ، نحن العشيرة الوحشية ، لما نفعل» . فحَدَّقتُ الى وجهها ، وقلت :

- «إنكِ تمزقين كل نمط حياة المدينة ، وتطيحين به أرضاً . هذا ليس سيئاً» . فقالت بدهشة مصطنعة :

- «أنا أمزق كل نمط حياة المدينة وأطيح به أرضاً ؟» . كانت مسرورة . قلت :

- «أنذهب ؟» . فقالت :

- «حسناً» .

حركت پيكان فرنگيس ، وجئت على هون من شارع (مهدي موش) باتجاه مفرق (أمين حضور) الثلاثي ثم الى شارع (الشمال) حتى ذبنا في ازدحام مسير ما بعد الظهر .

كنت لا أزال أجهل اسمها . إن حالة روحيتها المريرة ، وعينيها - مع كونهما بحراً من الشراب وحالة الطفولة - تروي حكاية انزعاج ، حكاية أن صاحبة هذه الروحية والعينين قد فقدت منذ زمن بعيد اعتقادها بأساس مخلوقات هذه الدنيا . سألتها :

- «من تظنينه المسؤول الواقعي عن فاجعة ليلة أمس ؟» . فقالت ببساطة :

- «هم بالذات» . بقيت ساكناً ، فواصلت :

- «عائلة إيمان عديمة الإيمان الشهيرة ، وهذا ، هذا الشخص أحمقهم - أوسا(٣٩) آقا» . فقلت :

- «أوسطى آقا ؟ ذو اللحية ؟» . فقالت :

- «نعم ، سخيف من بروجن تربى من قديم في بيت الدكتور إيمان . مثلهم حقود وكذاب ومحروق الأب» . فقلت :

- «لا بد أنهم لعوبون . سمعت أنهم عائلة محترمة وأصيلة جداً» . فقالت :

ـ «أنا لا أحبهم» . كانت عبارة «لا أحب» أبسط أمر عندها .

ـ «لماذا لا تحبينهم ؟» .

ـ «بسـبب بخلهم وكذبهم وطمـعـهم وغـرورهم . كل من في هذه العائلة بخيل وكذاب وطماع ويتفجر غروراً...» . فقلت :

ـ «طبعاً فيما عدا سياوش...» .

ـ «نعم ، طبـعاً باسـتثناء سياوش . لم يكن عبثاً أن يترك الخال سياوش ذلك البيت قبل اثنتين أو ثلاث وعشرين سنة ، تركهم جميعاً ، وذهب الى دنيا وحدته الخاصة...» .

ـ «وخسرو ؟» .

ـ «لا ، خسرو أصلا ليس من هذه العائلة» .

ـ «وأمك لي لـي خانم ؟ ألا يتـصل أحد عـروق أمك الأصليـة بعـائلة إيمان ؟» . تذكرت أن خسـرو قال مرة أن لي لي خانم ابنة الدكتور إيمان من امرأة اخرى .

هزت الحفيدة الأثيرة لـ «بوف كور» رأسها :

ـ «لا . يعني نعم . كـــانت مـــامي من الزواج الأول لأبـي في سويسرا ، لا من بطن وحوض خانم منور السلطنة . وبعد أن يعود جدي الى إيران ، ويصير وزيراً ، يتخذ له ـ دون أن يُطَلِّق زوجته السويـسرية ـ زوجة أخرى ـ الخانم منور السلطنة... وهو لا يزال يحتفظ بتلك الزوجة الخارجيـة ، يعـقد على هذه . إيرانيـة أصيلة! تترك زوجة جـدي الأولى إيران في نفس ليلة عـرس منور السلطنة... فَتـقع أمي تحت يد السيـدة زوجة أبيها . منذ سن الخامسة» .

كان الشـارع مزدحمـاً . وحشـد السيارت يتماوج درعـاً بدرع نحو الشمال . قلت :

ـ يبدو أن أحداث ليالي العرس لها في عائلتكم سلسلة وتاريخاً » . فقالت :

ـ « أو... هو... م . ولكن ليس مثل حادثة عديم الشرف ذاك ليلة أمس » . مرة أخرى جعلتها حادثة ليلة أمس عصبية . فقلت :

ـ « هذا الأوسطى آقا ، أليس هو المسيو محمد كوه گرد نفسه ؟ » . فقالت :

ـ « هو التافه نفسه... ممد بروجني . في تلك الأيام كان يعمل بستانياً في بيت جدي ، يخدم في أمور البيت ، أسموه أوسامد(٤٠) آقا » .

في زحام رأس (منيرية) ، وسط مفترق الطرق ، كان يقف رجل بين السيارات حشر إصبعه في انفه ، كان غارقاً في التأمل . وكانت إبنة « بوف كور » الأثيرة تلعب بطرف الشعر قرب صدغها . فسألتها :

ـ « ما كان السبب الأصلي لذهاب أوسامد آقا الآن فيعبيء ذلك الفتى المجنون ويجلبه... أتعلمين ؟ » .

ـ « لا . ولكنني سمعت من هنا وهناك... له قصة... » .

ـ « أوسامد آقا أيضاً له قصة ؟ » .

ـ « في عائلة إيمان ووفا للكل قصص ، فيما عدا العبدة لله الحقيرة الفقيرة الملأى بالتقصير » . فقلت :

ـ « أنت أيضاً لك قصتك... لِكُلٍ قصته » .

ـ « الكل ؟ » . وحدقت بي .

ـ « نعم ، الكل » .

واصلنا السياقة مدة في صمت ، لم يكن يسوؤني أن أسمع قصتها في مكان منعزل ، تحت ملاءات باردة . أو أن استحم معها ، مثل ماري

كوردونا فتاة مورسو . تذكرت أن ابن الكلب مورسو قد وضع رأسه على صدر ماري كوردونا وراح يستمع الى دقات قلبها . والخ . وكثيراً الخ .

صعدت من جسرمفرق يوسف آباد الى أعلى فجئنا الى ناحية الشمال . لم يكن شارع (حافظ) المشجر ، في عصر يوم ماطر وزحام المرور السيء ، عبوساً جداً الآن . كان المطر في الحقيقة أخف ، ولا يزال على زجاج الـ (پيكان) إلا رذاذاً . كان جزء من فخذي حفيدة «بوف كور» الأثيرة ، النحيلين ورديي اللون ، من فوق الركبة ، على مبعدة سانتمترين أو ثلاثة فقط من يدي المستقرة على ذراع تروس السيارة ، ظاهراً من فتحة المعطف المطري ـ ولا يزعج العين . سألت :

ـ«ما قصة أوسامد آقا ؟» . فقالت :

ـ «لا شيء ، دعه وشأنه . إنه حثالة له حقد وغضب بغل» . لم تكن تريد أن تكشف . فسألتها :

ـ «ألم يكن سياوش سياسياً ؟» . لقد كانت تلك السنة سنة الدكتور مصدق البطل الوطني وأمثال هذا الكلام» .

ـ «لا ، لا أظن» .

ـ «أأنت واثقة ؟» .

ـ «نعم ، لم أسمع شيئاً حول كون سياوش سياسياً ـ لا» . فسألتها :

ـ «وكيف أم خسرو ؟» . حدّقت بي ، ولم تقل شيئاً . لم يكن ممكناً فهم إحساسها نحو أختها . فقلت :

ـ «أحالها حسنة ؟» . قالت :

ـ «فرخ في بيتها . في (كاخ) الشمالي ، شارع (زرتشت)[٤١] . ألم تر فرخ قط ؟» .

ـ « لا ، ليس بعد » . فقالت :

ـ « فرخ جميلة جداً » . كانوا جميعاً جميلين ، ولكن سيئين . سألتها :

ـ « كيف حالها ؟ » .

ـ « هذه أيضاً تحطمت على إثر هذا الحادث » .

ـ « كالعقيد » .

ـ « الرجل التعيس المسكين! » . لاح برق في زاوية السماء ، ومرة أخرى تصاعد زئير العاصفة من طرف الجبال .

ـ « لماذا تعيس مسكين ؟ » .

ـ « لا شيء » . كانت في صدرها أمور ، لم تكن تريد أن تقول كل شيء . فقلت :

ـ « بقيت نقطة واحدة مظلمة بالنسبة لي... وهي كيف هز كلام شهروز ليلة أمس هؤلاء جميعاً على هذا النحو من الأساس وأقض مضاجعهم... » .

ـ « أي كلام ؟ » .

ـ « قوله : هذا دم أخي الذي تدفعون القصاص عنه » . فخفضت رأسها ، وقالت :

ـ « بالنسبة لي أيضاً محاط بالأسرار » . وراحت تنظر من زجاج السيارة الى الخارج . فقلت :

ـ « كان قصد المجنون بالطبع دم أخيه سياوش . أليس صحيحاً ؟ » . فقالت :

ـ« أوهوم » . ولفتت رأسها ، ثم خفضته . سألتها :

ـ «ألا تعرفين بما جرى ؟» . فقالت :

ـ «لا» لاءاً حادة وإجبارية ، ولكنها كانت حقيقية بالتأكيد . فسألتها :

ـ «لماذا لأبي خسرو كل هذه الأهمية عنده ؟» .

لزمت الصمت مدة ، وحدقت مرة أخرى بالمطر . ثم قالت :

ـ «كان سياوش إيمان في نظر الجميع صنماً كبيراً . ولا يزال» .

ـ « أتحبينه أنت أيضاً مثل صنم ؟» .

ـ «أنا أيضاً عابدة الصنم سياوش . أنا لا أذكر الخال سياوش كثيراً ،لكنني سمعت عنه الكثير بحيث أنه صار وكأنه أسطورة» . ووضعت يدها على صدرها ، كما لو أن سياوش كان هناك . قالت :

ـ « أتعلم . إننا نقتل أبطالنا ؟» .

ـ «تقصدين الدكتور مصدق ؟» .

ـ «لا...!» .

ـ «أم سياوش الشاهنامه ؟» .

ـ «سياوش الشاهنامه حمله أبوه على الفرار من إيران . ولكن سياوشنا ترك بيت أبيه مغضباً عاصياً» .

ـ «أفغضب سياوشكم أيضاً ؟» .

ـ «إننا جميعاً نغضب على أحدنا الآخر ، أو على أحد ما» .

كان لها حاجبان رفيعان يضفيان على عينيها الصفراوين حالة دمية جميلة . سألتها :

ـ «حسناً ، ما كانت قصة سياوش الشاهنامه ؟» ، فضحكت . فهمت تاماً أنني أسخر منها . قالت :

ـ « كان سياوش ابن كيكاوس . تعشق سودابه ، امرأة كيكاوس الثانية ، سياوش . ولكن بما أن سياوش طاهر فهو لا يريد أن يُقدِم على أي عمل معها ، ولهذا فهي ـ أنت تعلم ـ تحرك كيكاوس على ابنه » .

ـ « إذن فكله تقصير سودابه! » . فضحكت :

ـ « نعم » .

ـ « ثم ؟ » .

ـ « لا أدري . ثم أظنهم يجبرونه ـ على سبيل الاختبار ـ أن يعبر النار » .

ـ « ويعبرها » .

ـ « طبعاً » .

ـ « ثم يذهب فيتزوج ـ على ما يبدو ـ إبنة أفراسياب ، التي لم تكن ابنة عمه حتى » .

ـ « لا...ا! » .

ـ « من كان گرسيوز ؟ » .

ـ گرسيوز كان أخا افراسياب ، وهو الذي يأتي فيحرك ويجعل أفراسياب يقتل سياوش» . فقلت :

ـ « ثمة دائماً أخ محروق الأب يأتي فيحرك! » . ثم قلت :

ـ « ولكن لنعد الى سياوشنا . لا بد أن سياوش إيمان ، قبل أن تأتي أنت الى الدنيا ، كان قد مات» . فقالت :

ـ « يتوفى سياوش في السنة التالية لولادتي ، يعني في أواخر زمان مصدق . في السنة التي ذهبت فيها فرخ الى بستان كرج كي تعيش مع سياوش» . فقلت :

ـ «أليس من غير العادي أن تتزوج فرخ وسياوش ، وهما ابنةأخت وخال غير لَحَين ؟ » .

مرة أخرى تنظر من الزجاجة الى الخارج ، في المطر . ثم قالت :

ـ «في عائلتنا ليس ثمة أمر غير عادي . ثم أنني سمعت أنهما تواصلا شرعاً وعرفاً . عقدا رسميا . عقدا في كرج . يعني أن فرخ كانت عاشقة سياوش المجنونة به ، تفر من البيت . وفي تلك السنة أيضاً كان أبي وأمي ، يعني بابي ومامي ، على خلافٍ وزعل وغضب ونزاع . فتذهب فرخ الى سياوش . ويعقد سياوش عليها ، ويحتفظ بها . كنت أنا في تلك السنة مشرِّقة في بطن أمي . الخلاصة : يصير بستان كرج بستان الجنة وبستان إرَم لسياوش وفرخ » .

ـ «بستان إرم وآدم وحواء...» .

ـ «نعم ، بستان آدم وحواء... ولكن آدم وحواء تعاشقا أولاً ثم طردا من بستان إرم ، أما سياوش وفرخ فقد طردا أولاً ثم جاءا الى بستان كرج...» .

ـ «... ثم كان بينهما جنس» . فضحكت :

ـ «لا...!» .

ـ «ثم إن آدم يغرق في نهر بستان الجنة» .

ـ «لا ، اتصل آدم بنهر الحياة» .

ـ «وسياوش بنهر الموت» . ثم سألتها :

ـ «حقاً ، كيف مات سياوش ؟ انتحر ؟ أم كان صدفة ؟ » .

ـ «سمعت أنه غرق» .

ـ «رجل في الثانية أو الثالثة والعشرين يغرق في نهر صغير ؟ إذن فلم يكن طرزان» .

مرة أخرى أشاحت بوجهها عني . لم تكن تحب أن تقال حتى كلمة مزاح عن سياوش الطاهر . قالت :

ـ « لا أدري . كانت ثمة أمور » .

ـ « أية أمور ؟ » .

ـ « لا أدري . سمعت أن عائلة الدكتور إيمان ، وهذا العقيد ديوان لقا الذي كان على اتصال بهم في تلك الأيام ، لم يدعوا ، يعني لم يدعوا الشرطة والدرك يحققان كثيراً في القضية ، أو أن ينشر خبرها في الصحف . كان جدي في تلك الأيام سناتورا ، فكان مسموع الكلمة » . فقلت :

ـ « إذن فقد كانت ثمة أمور حقا » .

ـ « أنا لا أعرف الحقيقة حقاً . لقد سمعت كذباً ونفاقاً ودجلاً منهم جميعاً بحيث لا أريد أن يبقى رأس أي منهم على جسده » . فالتفتّ ، وحدقت في عينيها ، ثم قلت :

ـ « لا يسوؤني أن أسبح قليلاً في نهر أنا أيضاً » .

ـ « لا! » .

نشأت الآن في مكان ما من رأسي فكرة ونيّة أن أقترح عليها ، وأقنعها ، أن نذهب الى زاوية ما فنشرب قهوة أو شيئاً آخر ونتناظر حول آدم وحواء . ولكن من المؤسف أن الوقت لم يكن مناسباً .

اتجهنا نحو شارع (بهار) ، وتركتها تحدثني قليلاً قليلاً كيف أنها تحيا مع أمها وأختها (ژاله)[٤٢] ، التي تشتغل في مكان ما في دائرة أو شركة . كان اسمها (ژيلا) . هي لا تعمل . وهي لا تتمنى جاهاً ولا أي شيء . رست في البيت . تقرأ الكتب وتشاهد التلفزيون . قالت إنها ترسم أحياناً ، فتمزق ما ترسم وترميه في صفيحة القمامة . وتمر حياة أمها أساساً من الإرث الذي تلقته عن جدها . وكان أبوها أحمدوفا

منفصلا عنهم . وهو يعمل في مكان ما بطهران ، وربما يعيش مع امرأة اخرى ، لم يكن وضعه على ما يرام . ليس معلوماً .

ولكن ژيلا وفا كانت جيدة . تركت الدنيا كلها ، وهي تسخر من كل شيء ـ قبل الجميع من نفسها ومن أهلها وعائلتها ـ ولا يقابل المرء كل يوم كائناً بشريا تحرر من عبادة ذاته وتفاهات هذه الدنيا . ولكنني لم أفهم أمراً واحدا ذلك اليوم ـ لماذا كانت تحس نفوراً من آل إيمان ؟ مع أنني فهمت السبب فيما بعد . (أثناء بضعة الأيام التالية التي عرفتهم فيها فهمت) ، إن أناس عوائل إيمان ووفا وكوه گرد والمتعلقين بهم ، عندهم هذه الخصوصية ، وهي أن يكونوا نافرين على الدوام من أمر ما في هذه الدنيا... كان بمقدورهم أن يعيشوا بلا عشق ، وقد عاشوا بدونه ، ولكن الحياة بلا قهر ولا نفور كانت مستحيلة بالنسبة لهم .

وكان هذا لا بد ما أفسد أمس عرس خسرو وثريا .

وكان هذا لا بد ما قتل سياوش .

ـ ٧ ـ

كانت أم ژيلا ، السيدة لي لي إيمان ، مطلّقة أحمد وفا ، تعيش في شقة مضعضعة ببناية مضعضعة نصف قديمة ، في آخر زقاق قديم بشارع (بهار) . كانت مباني الزقاق من آجر أحمر عتيق وإسمنت عديم اللون ، تركا أيام جدتهما وراء ظهريهما منذ زمن سحيق ـ وراء سني رضا شاه الأخيرة[٤٣] . أوقفت السيارة في مكان ما برأس الزقاق قرب مكتب معاملات عقارية . وجئنا .

كانت لي لي إيمان امرأة في الخمسين أو الخامسة والخمسين ، دقيقة ضئيلة ، عصبية ، ترتدي قميصاً بلون القشدة عليه رسوم شجيرات وورود ، فتياً نوعا ما ، وتنورة طويلة ذات ثنيات ، لا بد أنها وصلتها

من إحدى بناتها ، باهتة ولكنها نظيفة . كان وجهها أبيض منتفخاً قليلاً ، مع آثار جمال أم أوربية وأب شيرازي . كان شعرها خشناً كثيفاً ، بلون خلال التمر ، ولا يزال جميلاً ، كانت عيناها قلقتين عديمتي الاستقرار ، كعيني ژيلا ، ولكنهما قهوائيتان . كانت تعقد منديلاً حريرياً ذهبي اللون وراء شعرها ينسجم مع قرطيها الزمرديين . كانت ثمة شعيرات أمام مفرق شعرها وأمام أذنيها قد ابيضت ، ولكنها احتفظت بها بشجاعة ولم تصبغها . عندما دخلنا كان بيدها كتاب رواية ، وضعته جانباً ، وعلى عينيها نظارة رفعتها فيما بعد . إن الشقة الصغيرة المضعضعة والأثاث التافه لم يقتلا مناعة نفس المرأة في لي لي إيمان . حتى روائح المطبخ التي تنبعث من يديها وثيابها كانت تدل بوضوح على أنها امرأة ذات أصل ومنبت طيبين . حتى حسيتها وعدم تقيدها ، ربما كان منشأهما اعتيادها أن يكون لها خدم وحشم . كنت قد رأيتها مرة ، بالصدفة ، بصحبة خسرو وثريا ، في معرض كوروش(٤٤) . ولهذا استقبلتني لي لي خانم ببشاشة ومجاملة زائدة ، وضغطت على يدي وهزتها . وعندما علمت أنني أبحث عن خسرو فرحت . جاملتني كثيراً ، والتمست كثيراً أن أشرّف بالدخول والجلوس... جلست في زاوية ممر كبير مربع الشكل ، يستفاد منه كصالة ، على كرسي خيزران . وذهبت ژيلا ، لابد لإعداد الشاي ، في مكان ما . سألت لي لي إيمان :

- «يا سيد آريان ، كيف حال فرنگيس خانم ؟» . لا تزال عندها آثار لهجة شيرازية . قلت :

- «ليست سيئة» . فقالت :

- «وكيف حال ثريا العزيزة ؟ رحت صدقة لها يا إلهي كم هي محبوبة ، كم هي سيدة . فلأمت ، واي! ماذا جرى ليلة أمس» . فقلت :

- «ليست ثريا على ما يرام . طبيعي أن ثريا وأمها قلقتان كثيراً على خسرو ، إننا نرجو ألا يكون وقع مكروه ، وألا يقع ، لخسرو» .

راحت لي لي إيمان تبكي ، وقالت :

ـ « أدري . الفتاة المسكينة » . ثم قالت :

ـ « لو طالت يدي هذا الأوسامد ابن المحروق عديم الشرف لأخذته وخنقته بيدي هاتين » . فقلت :

ـ « سمعت عنه » . قالت :

ـ « ليهيلوا تراب العالم على رأسه عديم الفهم ذاك ـ المملوء جصاً ، جص! قبل أربعين سنة كان صبي البيت في منزل والدي . وأخيراً ، يعني بعد موت سياوش بالضبط امتلأت بطنه لحماً . في تلك الأيام كان يقوم بدور الحاضنة لنا نحن الأطفال ، ويقرأ لنا في الليالي قصص الشاهنامه . لقد نشأ في بروجن أمام منقل غرفة إعداد الشاي في البيت الكبير . الأحمق ، صار في خياله أولاً عاشقاً لي ، ثم عاشق ابنتي فرخ » ، فارتفع صوت ژيلا من داخل المطبخ الصغير منادياً :

ـ « مامي! » . كان ظاهرا أنها لم تحب أن تجلس أمها وتأخذ بكشف كل شيء عن ماضي أهلها وعشيرتها أمام غريب وصل من الدرب لتوه ـ وهو أمر لا بد أن لي لي خانم إيمان تفعله دائماً . قالت :

ـ « حسناً ، لا شيء . ولكن في هذا الحادث الأخير ، يعني في حادث ليلة أمس ، المسألة واضحة . كان لأوسامد آقا خلاف مع فرخ على المال يتعلق بقطعة أرض مساحتها أربعة الاف متر ، جرّ الى المحكمة . وحكمت المحكمة لصالح فرخ . فامتلأ قلب هذا الأغبر . هذا كل ما هناك . إن جذر واقعة البارحة هو هذا ليس غير » . فسألت :

ـ « قلت إن أوسامد آقا بعد موت سياوش حصل على مال ؟ » . فقالت :

ـ « أواه ، نعم . اشترى أرضا . هذه الأرض ذات الأربعة الآلاف متر إياها ، التي قامت بشأنها الدعوى ، إذ سجلتها فرخ باسم أوسامد آقا

عن المبالغ التي كان سياوش مديناً بها لأوسامد آقا . ثم أعطته ماله فيما بعد » . فسألتها :

ـ « أكان خسرو يعرف هذا ؟ » . فقالت :

ـ « أواه نعم . لقد قلنا له البارحة مائة مرة . حاولنا جميعاً أن نقنعه أن ليس ثمة أمر آخر » .

ـ « أجاء البارحة هنا ؟ » .

ـ « نعم ، جاء هنا أولاً... هي سؤال سؤال » .

ـ « ولم يقتنع » .

ـ « لا » .

نظرتُ نحو المطبخ ونحو أثر من آثار ژيلا . لا خبر . سألتُ :

ـ « أين تظنين ذهب خسرو الآن ؟ أو أين ذهب من هنا ؟ » .

ـ « لا أدري » . فقلت :

ـ « إذن ، فقد تفضلت بأنه ذهب وراء الجذور الحقيقية... » .

فسكتت لي لي إيمان . استقرت في وجهها حالة حيرة بسيطة . هزت رأسها الى هذا الجانب وذاك ، ثم سألت :

ـ « ماذا ؟ أية جذور واقعية ؟ » . فأشعلت سيجارة ، وقلت :

ـ « سيدتي ، إذا كان علينا أن نفهم مسألة خسرو هذه ونحلّها فأظن أننا يجب أن نفهم مسألة أبي خسرو . ماذا جرى لأبي خسرو ؟ كيف مات ؟ » . تنهدت لي لي إيمان ، وقالت :

ـ « سياوش ، كان وردة عائلة أبي ـ يعني بعد أن تزوج .كان سياوش وردة أطفاله ، كان ما فوق الإنسان ، يعني ـ كيف أقول ؟ كان المال بالنسبة لسياوش صفرا . أنا لا أقول هذا لأن فرخ ابنتي عشقته

وتزوجته ، ولا أقول هذا لأن سياوش ترك ، من أجل فرخ ، بيت أبيه وماله وثروته وراح مع ابنتي ليعيش على بساطٍ وطاقم فراش وحفنة كتب . كما لا أقول هذا لأن سياوش لو كان حيا لكان لا شاعر إيران فقط ، وإنما زرتشت إيران الجديد أيضاً . بل أذكر هذا لأن سياوش ظهر في عائلة ليس عندها غير المال والتظاهر والنفاق ، ظهر في عائلة كهذه وتحدث عن الحقيقة والحب . أنا أعرف أي نوع من الناس هم . أنا منذ سن الخامسة ، حين أخرجوا أمي من هذه البلاد ، وقعت عشرة سنوات تحت يد السيدة منور السلطنة ودايتها . ولا يعرف أحد ما تجرعت! » .

ـ « كنت في ذلك الوقت في طهران ؟ » .

ـ « لا . كان أبي عند ذاك وكيل محافظة فارس ، وكنا في شيراز[٤٥] . طبيعي أن أبي تزوج هناك منور السلطنة وطلق أمي . أخذت أمي معها أختي الكبرى پرسيلا الى سويسرا . لم تأخذني لأنني كنت صغيرة . بقيت أنا والبيت الإيراني لامرأة الأب » .

ـ « صحيح » .

لا تزال ژيلا مختفية . ربما كانت تعد شايا . ربما لم تكن تريد أن تأتي الى حيث أمها وأنا . قالت أمها :

ـ « الخلاصة . ولكنني لا أشكو أحدا . والله بالقرآن . لا أريد أن أقول كيف أنه بعد وفاة الدكتور ، وبعد أن لهطت الخانم والبقية الملايين من ثروة أبي وبلعوها ، رموا أمامي بمائتي ألف تومان[٤٦] فأخذوا مني سند ترك ادعاء وراثة... » ، وارتفع من المطبخ صوت ژيلا قائلة :

ـ « مامي! » . فقالت لي لي إيمان :

ـ « على عيني ، يا أماه » .

خرجت ژيلا من المطبخ ، وذهبت مغضبة الى إحدى الغرفتين . يبدو أن مشروع الشاي قد انتفى ، أو أنه انتفى فعلاً . قلت للي لي إيمان :

ـ «كنا نتحدث عن سياوش» . فقالت لي لي خانم :

ـ «في سنة ١٣٣١[٤٧] ترك سياوش بيت أبي . إنني أتذكر هذا التاريخ جيدا ، لأنها نفس السنة التي انفصلت فيها عن أحمد وفا ، والد أطفالي ، بعد سبع عشرة أو ثماني عشرة سنة من العذاب . كان وفا ابن الأخ غير اللح لأبي . حسنا ، انتهى لا شيء . تلك السنة كنت حاملا بژيلا هذه ، عندما انكب أحمد على عاهرة...» .

ومرة أخرى جاء صوت ژيلا من غرفتها : «مامي!» . فذكرتها :

ـ «سياوش...» ، فقالت لي لي إيمان :

ـ «نعم ، كان حوالي أيام عيد سنة ١٣٣١[٤٨] أن ترك سياوش بيت أبي ، وجاء وحده ، فذهب الى بستان كرج الذي فيه ، بزاوية ما ، كوخ . آخ ، أية سنة كانت! يا للأيام التي شهدناها . ولم تمض سنة حتى جاء خسرو الى الدنيا» . فسألت :

ـ «يا لي لي خانم ، لماذا ترك سياوش بيت أبيه ؟» . فقالت :

ـ «كان سياوش إنساناً حساساً بكل معنى الكلمة . كان المال بالنسبة له صفرا ، كان يبحث عن المعنويات والعشق . في الحقيقة ترك سياوش بيت أبي لأنه لم يكن هناك من حديث إلا عن المال والماديات . وقد ترك الجامعة أيضاً ، في الحقيقة أدار ظهره لمجتمعه . كان سياوش منذ طفولته حساساً وجميلاً . كنت أفهم سياوش ، لأنني أنا أيضاً كنت تعذبت . أذكر عندما جاء للدنيا ، وكنت أنا في الرابعة أو الخامسة . وكنت في بيت أبي ذاك بشيراز محرومة من كل شيء ، كان أكبر نعماتي . كنت أجلس من الصباح حتى المساء لا أفعل غير أن أنظر اليه» .

كانت امرأة وحيدة ، وكان إفضاؤها ناجم عن وحدتها . ومرة أخرى خرج صوت ابنتها ژيلا من الغرفة المجاورة قائلاً :

ـ «مامي ، لا تروي قصة ألف ليلة وليلة!» . وكنت أرى الآن ظل ژيلا الدقيق وهي تمشي بغضب عصبي داخل الغرفة ، تقف مرة أمام المرآة وتعبث بنفسها . تساءلت مع نفسي لم لا تأتي عندنا ؟ وقلت للي لي إيمان :

ـ «لنعد الى سنة ١٣٣١ وكرج وأبي خسرو . كيف حدث أنه تزوج فجأة من ابنة أخته غير اللح ؟ أكان حادثاً غرامياً ؟» . سحبت لي لي أيمان آهة أخرى . وأدارت رأسها ، ثم قالت :

ـ «تلك السنة كنا ما نزال نعيش في نفس هاتين الغرفتين ـ وأبي والآخرون في نياوران[٤٩] . وقد أدهشت فرخ الجميع تلك السنة بعملها ذاك . لم يكن أي منا يعرف أن بين سياوش وفرخ سراً أو رمزاً . لم يكن ثمة شيء . وكان الحديث يدور تلك السنة أصلاً عن زواج فرخ من العقيد عباس ديوان لقا هذا ـ الذي كان حين ذاك ملازماً أول . كان عباس يقيم هنا مع أمه في الطابق الأول . كان هذا البيت مِلْك ديوان لقا . ولا يزال... كنا بين الهذر والمشكلات فإذا بفرخ تذهب دون إشعار ذات يوم من البيت ، ذهبت الى كرج وإذا بنا نسمع أنها عقدت سراً على سياوش... لا بد أنك تسأل نفسك لم لم تتزوج فرخ تلك السنة من ديوان لقا» . فقلت :

ـ «والله ، أنا لا أريد إلا أن اعرف ما الذي جرى لأبي خسرو تلك السنة ؟ أريد العثور على طريق نجد بواسطته خسرو . حسنا ، لماذا لم تتزوج من ديوان لقا ؟» .

كأنها كانت تنتظر ، إذ قالت :

ـ «كان تقصير أبيها! كان أحمد وفا يلخبط الأمور معي تلك السنة . كان قد تعاشر مع امرأة اخرى ، مع عاهرة . كانت هذه المرة مسألة جدية ، وكانت بيننا دعوى طلاق . ومن الجهة الأخرى كان أحمد وفا مخالفاً أصلاً لخطوبة الملازم ديوان لقا لفرخ . كانت فرخ نفسها قد

لزمت الصمت التام ، انطوت على نفسها . طفلتي لم يكن لها إلا أربع عشرة سنة من العمر . هي نفسها لا أدري ، لم يكن يبدو عليها أنها لا تود الملازم ديوان لقا . ولكن كانت ثمة من هذا الطرف أم الملازم . فاطمة المنشار ، ومن الطرف الاخر كان أحمد وفا قد تملكه العناد ـ يخالف . الى أن فاجأت فرخ فجأة الجميع ، إذ ذهبت عند سياوش . وانفجرت ضجة عشقها ومعاشقتها مع سياوش كالقنبلة في كل مكان... وأنت تعرف الباقي... » .

ـ « لا والله ، لا أعرفه » .

ـ « إيه... قلت لك ، إنها ذهبت الى كرج . عقد عليها سياوش ،ثم جاء خسرو الى الدنيا ، وتلف سياوش المسكين » . سألتها :

ـ « بعد كم من الوقت ، من ذهاب سياوش الى كرج ، لحقت به فرخ ؟ » .

ـ « شهر أو شهرين . نعم . الخلاصة ، ثم امتلأت الدنيا بأقاويل عن أنه كانت بينها منذ سنوات رابطة ليلى والمجنون . وقيل الاسوأ : إن أمرهما انجرّ الى الفضيحة فسارع سياوش الى عقدها فوراً . ولهذا أيضاً هربا كلاهما من بيتهما . الخلاصة ، قال كل أمرئ قولا . حتى أن الخانم وأولئك الصقوا بسياوش المسكين تهمة أنه سرق كميات كبيرة من المال والمصاغ من غرفة منور السلطنة وذهب ليتزوج من هي أدنى . وطبيعي أنهم ألصقوا بابنتي المسكينة أنها كانت حاملا منذ ثلاثة أشهر لما ذهبت الى سياوش . على أية حال ، في ليلة عيد تلك السنة(٥٠) كان خسرو بين أيديهما » . فسألتها :

ـ « تلك السنة ، لما كانا في كرج ، ألم يكن عندهما شخص آخر ؟ » . فقالت لي لي إيمان :

ـ « كانت عندهما خادم عجوز . أخذاها من بيت أبي ، يعني أرسلتها الخانم وراءهما كي تتجسس عليهما . كانت امرأة قروية

بروجنية ، كلثوم كچل[٥١] . كلثوم سلطان . كانت قرعاء ، لم يكن ثمة شعر في وسط رأسها ، فكنا منذ الطفولة في شيراز نسخر منها ونقول : كلثوم كچل . ابنة الخالة اللح لهذا الأوسامد آقا إبن المحروق إياه . كانت الخانم قد أرسلتها بواسطة أوسامد آقا الى كرج وراءهما . كانت كلثوم كچل هنا عند خسرو وفرخ الى ما بعد موت سياوش » .

- « ألا تزال هذه الخادم حية حتى الآن ؟ » .

- « نعم . أظنها لا تزال حيّة » .

- « أين ؟ » .

- « في مكان قرب (جواديه) وتلك الأطراف . انها تأتي أحياناً الى هنا » .

كانت لي لي أيمان تحدق الآن إليّ بعينيها المتفحصتين .

- « أتريدِ أن تشرّف بالرواح اليها ؟ » .

- « كل رأس خيط غنيمة » . بدأت تقول :

- « خسرو أيضاً... » ولكنها لم تتم جملتها .

- « خسرو أيضاً ماذا ؟ » .

- « لا شيء » .

فتح باب الشقة ودخلت فتاة مسنة كثيفة الزينة . سلمت ، ووقفت مقطبة ثانية واحدة في وسط الصالة ، وتفحصت الوضع . عرفت لي لي خانم القادمة الجديدة على أنها ابنتها الثانية ، ژاله . كما أفهمت ابنتها بشأني والهدف من قدومي بكلمتين أو ثلاث . يبدو أن هذه هي الخالة الشابة التي كانت على زعل مع أم خسرو ، والتي لم تأت الى عرس خسرو . كانت ژاله وفا في حدود الثلاثين ، وذات عينين قلقتين مضطربتين ، ووجه مرتب ، جميلة نوعا ، وقد جعلت نفسها - بكثير

من التظاهر ـ ذات نمط إيراني حديث . كانت ترتدي تنورة ماكسي طويلة جداً من المراكشي العنابي ، وحذاءاً كهرماني اللون بعقبين عاليين ، وبلوزة مخملية زرقاء ، وقد صبغت شعرها بالمش وصففته ، ورتبت أهدابها وحاجبيها ، ووضعت عقداً كبيراً في وسطه لوحة حديد عليها كتابة كالطلسم . لم يكن ينقصها إلا أن ترسل برقية الى (قمصر)[٥٢] كي يرسلوا لها وعاء ماء ورد كبيرا تريقه على رأسها . ولكن كان في يدها أيضاً كتاب جان پول سارتر من تأليف موريس كرنستن . نهضت لها ، لكن ژاله لم تعطني يدها . كانت عيناها عصبيتين لأن «سانقاً حماراً أغبر في الشارع» رش تنورتها بالطين والوساخة فأتلف التنورة المحبوبة العزيزة . ودخلت ژاله مقطبة غاضبة الغرفة المجاورة لغرفة ژيلا ولم تخرج منها بعدئذ . سألتُ :

ـ «أيتها السيدة إيمان ، من أيضاً كانت له علاقة بسياوش في كرج ؟ من كان يتزاور معه ؟ ربما استطعنا ، بالعثور على هؤلاء ورؤيتهم ، أن نعجل بالعثور على خسرو» . فقالت لي لي إيمان بحدة الآن :

ـ «لا أحد» .

ـ «لا أحد ؟» .

ـ «مجرد أوسامد آقا... يعني أن الخادم كانت تقول أن أوسامد آقا فقط يمر بهم ، يقوم بالوشاية لدى أبي ومنور السلطنة» .

ـ «كيف كانا يعيشان ومم ينفقان على حياتهما ؟» .

ـ «كان سياوش يحيا ببساطة وفقر . وأحياناً كان يستدين من صديق كان له بطهران» .

ـ «أي صديق ؟» .

ـ «كان له صديق اسمه مسعودي أو ما أشبه ، كان زميل سياوش

في المدرسة الثانوية . في تلك السنة كان مسعودي يعمل في المصرف الوطني ، شعبة الجامعة » . فسألت :

ـ « كيف كان سياوش يأخذ المال ؟ » . فقالت لي لي إيمان :

ـ « كان يحرر صكوكاً . أوكان يكتب ورقة بخط اليد عن طريق أوسامد آقا . وكان أوسامد آقا يجلب الصكوك الى طهران ، فيصرفها له مسعودي ، ويأخذ المال ويعطيه لسياوش ، ويعود بالإيصالات الى مسعودي . بعد وفاة سياوش جمع مسعودي الصكوك في رزمة وأخذها الى أبي . وأضاف عليها ما شاء له هواه . وأخذ المال من أبي » . فسألت :

ـ «أكان سياوش مرتاحاً هناك حقاً ؟ » . فقالت لي لي إيمان :

ـ « كانت روح سياوش فرحة مغتنية . قلت لك كان طرز فكر وآمال سياوش يختلف عن بقية عائلته ـ كالفرق بين السماء والأرض ، بين الأبيض والأسود . قال لي سياوش ذات يوم إنه غادر ذلك البيت كي يخلص روحه » .

أرجعتُ كرسيي الى وراء ، وحدقت في عيني لي لي إيمان ، ثم قلت :

ـ «حسناً ، ثم ؟ » .

ـ «ثم ، جاؤونا ذات يوم بخبر مفاده أن سياوش اختنق في النهر» .

ـ « عجيب! » .

ـ «وآهٍ لليوم الذي جلبوا فيه خبر موت سياوش . أنا نفسي لن أنسى ذلك اليوم حتى يوم مواراتي في لحدي» .

ـ « من جلب الخبر ؟ » .

ـ «فرخ نفسها . فرخ المسكينة حملت على عاتقها كل الألم والتعاسة . في تلك الأيام لم يكن التلفون منتشراً .قرب الظهر جاءت فرخ ، متعبة ميتة تحتضن خسرو لاهثة ، مضطربة ، وقد غادرت الروح بدنها» .

ـ «وماذا عن خادمتهم ؟» .

ـ «كلثوم كچل ؟ كلثوم كچل أيضاً أصابها الذل ذلك اليوم فتركتهم وانصرفت!» .

ـ «حسناً ؟» .

ـ «قرب الظهر جاءت فرخ . لاهثة متعبة ميتة . كان الوقت أربعينية[٥٣] الصيف ، قالت إن سياوش غرق صباحاً في النهر ، وإنهم لا يستطيعون العثور على جثته ،كانت تصب دمعاً على عرض وجهها . فقمنا من ناحية بإبلاغ بيت أبي ، ومن جهة أخرى أرسلنا على النقيب ديوان لقا . ويشاء القضاء أن يكون ذلك اليوم الثامن والعشرين من مرداد[٥٤] المشؤوم ، وكانت المدينة مزدحمة صاخبة مقلوبة رأساً على عقب . وفي كل مكان خذ واحبس ، باختصار : فوضى . الشوارع خالية والمحلات مغلقة والناس مجنونون . الخلاصة : كانت القيامة قائمة . ماذا أقول بعد لأصف ما مر علينا ذلك اليوم ؟ عند المغرب ، إذ وصلنا جميعاً أخيراً الى كرج كان النهر والبستان وكل كرج اللعينة مظلمة ساكنة ساكنة...

بحثوا عن جثة سياوش ثلاثة أيام . ما الذي مرّ في تلك الأيام الثلاثة! سياوش! ــ أفكان أحد يفكر أن سياوش يمكن أن يموت ؟ ولا أحد . سياوش الجميل المحبوب والوردة المنتقاة للسيد الدكتور إيمان . ولكن ها هو سياوش مات وحتى جثته لم يعثر عليها! والمسكين كان في الليلة السابقة قد تعرض لمرض ما وأصيب بغثيان وتقيؤ . في الحقيقة ، لو أن فرخ نفسها لم تر سياوش يخبّط في الماء بيديه ورجليه وهو

يسبح ، والماء يجره فيغمره ، من كان ليصدق ؟» . فسألتها :

ـ «ما كان موضوع غثيانه وتقيؤه في الليلة السابقة ؟» . أنا نفسي أصابني الغثيان شيئاً فشيئاً .

ـ « لا شيء . تقول فرخ إنه كان وجع معدة . ينام فيتحسن . وعند الصباح إذ يذهب للسباحة كانت حاله في الظاهر حسنة» .

ـ «ألم يجر تحقيق واستنطاق ؟ » .

ـ «أواه ، لم لا! جاؤوا من شرطة كرج فحققوا . ولكن أبي لم يرد أن ينتشر في أفواه الناس أن الإبن الأرشد للسناتور الدكتور إيمان قد فر من داره ومات في بستان خرب بكرج ، وأن ينشر مثل هذا الكلام في الصحف . وقد ساعد النقيب ديوان لقا أيضاً . استعملا المحسوبية فأغلقا الملف بعد أسبوع أو أسبوعين » .

ـ «من دون العثور على جثته أبداً ؟» .

ـ «لم يعثر على جثة سياوش قط» . وراحت لي لي خانم تهز رأسها باستمرار . ورطبت حبات عرق دقيقة ما تحت جفنيها . سألتها :

ـ «أثمة احتمال في أن يكون الأمر انتحاراً ؟» .

ـ «لا أدري . أنا نفسي لا أظن» .

ـ «لم لا تظنين أن بالإمكان أن يكون قد انتحر ؟» .

ـ «في اليوم السابق لوفاته كان سياوش قد أعطى أوسامد صكاً ليجلب له نقداً من مسعودي ، كما أعطاه قائمة كي يجلب بضعة كتب . إن من يريد الانتحار لا يشتري حفنة كتب» .

ـ «حتما لا » . أحسست دفئاً الآن . ترطب هواء الصالة الصغيرة وصار خانقاً . قالت لي لي إيمان :

ـ «تقول فرخ إنه كان انتحاراً . ولكن موت سياوش في رأيي لم

يكن انتحاراً . كان نكبة . وربما شيئاً أسوأ من نكبة» .

ـ «أي شيء ؟» .

ـ «لا أدري... فاجعة!» .

ـ «ليس عبثاً أنه حطم ابنه» . فأدارت لي لي إيمان رأسها وقالت :

ـ «ژيلا ، ماذا جرى لهذا الشاي اذن ؟» ، قالت هذا ونهضت بنفسها تتابع الشاي .

حاولت أن أصرفها عن ذلك ، فلم أفلح . ذهبت الى المطبخ من أجل الشاي والتضييف . جلست لوحدي لحظات . كان فضاء الصالة الصغيرة المظلمة يبعث رائحة فطير . كان دافئاً رطباً . مرة أخرى تذكرت مورسو عندما كان يشارك في مراسم دفن أمه فراح يسمع أصوات الحشرات وتشابك العلف في المقبرة . كان العرق يجري على خديه لأنه لم يكن يعتمر قبعة . كان يروّح عن نفسه بيديه . ومأمور الكفن والدفن يقول له شيئاً لا يسمعه . هو أيضاً كان يمسح عرق رأسه بمنديل . كما لو أن الجميع قد عرقوا . في قصة مورسو ، بالجزائر ، كان الجميع يعرقون . أما هنا فلا أحد يعرق . كان الجميع هنا ساكتين .كانت ابنتا لي لي إيمان كل منهما في غرفتها . وفي الخارج لا يزال مطر طهران الأرديبهشتي[٥٥] ينهمر . حدقت في الجدران والأثاث ، وتركت الفضاء المكعب ـ في غياب المرأة الكئيبة والفتاتين الغاضبتين ـ يفعل فعله على أعصابي . كان كل فضاء الشقة ، بنحو ما ، قفصاً ، في داخله ثلاثة طيور كناري مهمومة باردة ، كل منها في عالمه الخاص . وربما دخل إحدى الغرف السكنية في مبنى مورسو بالجزائر العاصمة . على تلفزيون لي لي خانم النقّال الصغير ثمة تصوير لأمرأة وطفل صغير خمنت أنه لا بد أن يكون تصوير فرخ وطفولة ابنها خسرو . حقا ما كانوا يقولون . لفرخ جمال باهر ، ولكنه ليس جمالاً هوليوودياً ، أو ـ حسب قول ژيلا ـ بشكل أليزابيث تايلور بالضبط . كانت تمتلك في

الواقع شيئاً يشبه لوحات الملكة فرخ لقا زوجة الأمير أرسلان الكلاسيكية ـ ولكن مثيرة للشهوة . كنت لا أزال انظر الى صورة فرخ لقا عندما جاءت لي لي خانم بفنجان شاي مع صحن من البلور ووعاء سكر مكعبات من الملامين على صينية من صنع اليابان . وعندما رأتني أحدق في التصوير قالت :

ـ « خسرو ، مع صبا أمه فرخ » . فقلت :

ـ « حسن » . قالت :

ـ « كأنه نصف تفاحة نصفها الآخر سياوش » . لم تقدم لي الشاي ، وإنما وضعته على المنضدة . شكرتها .

قالت :

ـ « دعني أريك تصويرا لسياوش عندي » . كانت مصابة بآكلة تدفعها للحديث عن الأسلاف والأموات . مسحت يديها المبللتين بجانبي تنورتها . جاءت ، ومن جرار خوان ملابس صغير أخرجت ألبوم تصاوير حائل اللون . جاءت بالألبوم فأرتني إياه . في صفحة الألبوم الأولى كانت ثمة صورة كبيرة جداً للسناتور الدكتور إيمان . وفي الصفحة الثانية صورة أخرى للإبن الأول لأبيها أرتني إياها . وكانت قد قالت صدقا ، فقد كان سياوش إيمان شيئاً شبيهاً بخسرو ، يبدو ـ بشعره الطويل السبط الممشط الى وراء ، ووجهه الطويل ، وشفتيه الحساستين وعينيه البيضاوين ـ شبيها نوعا ما بصورة لميرزاده عشقي[٥٦] .

قالت لي لي إيمان بأسى :

ـ «انظر ، ثمة موج ابتسامة مريرة في عينيه ، أليس كذلك ؟» . فقلت :

ـ «نعم...» . لم أكن أفهم قصدها .

ـ « كأنه يقول : (كانت دنياي دنيا رديئة) ، أو : (إن دنياكم دنيا

رديئة) ، أليس كذلك ؟ » .

ـ « إنك حساسة جداً » .

ـ « لا...! . سياوش كان حساساً » .

ـ « متى التقط هذا التصوير ؟ » .

ـ « في سنته الأولى بالجامعة ، قبل سنتين أو ثلاث من موته » . ثم قالت :

ـ « كما لو أنه تفاحة قسموها مع سياوش الى نصفين » .

ـ « يعني قسموها مع خسرو » .

ـ « نعم ، نعم » . لم أفهم لم كانت تخلط ، إلا إذا كانت تخفي شيئاً ، أو تكذب . قالت :

ـ « تفضل الشاي » .

ـ « ميرسي » . ثم قلت :

ـ « يبدو أنه كان يحبك كثيراً » ، فقد كان كتب تحت التصوير بخط النستعليق[٥٧] «الى لي لي الطيبة . سياوش» .

ـ « جداً » . وتصورت دمعاً يتماوج في عينيها . لكنها تمخطت وقالت :

ـ « أصبت ببرد » . وقالت ژاله بلا اهتمام من داخل غرفتها :

ـ « مامي ، ألم يظهر خسرو ؟ » . كنت بدأت أحس التعب ، وكنت على وشك النهوض . قالت أمها :

ـ « لا ، ليس بعد...... » فقالت ژاله :

ـ « وا ! مابه ليلهوج الجميع ويحيرهم » . كان صوت مسحها بالفرشاة ، لا بد على تنورتها المراكشي ، يصلنا . فقالت أمها :

ـ «لا شيء . سيعثرون عليه قريباً ـ إنه قلق هو الآخر» . فقالت ژاله :

ـ «انزعج خسرو لأن عرسه فسد! إن خسرو مدلل مفسود . لقد انزعج لأن شهروز تسبب في خجله!» . فقالت أمها :

ـ «لا ، إنه قلقٌ... طفلي . ما أدرانا بما يجري في دماغه» . فقالت ژاله :

ـ «لقد انزعج!» . وصوت مسح ژاله بالفرشاة على تنورتها يأتي .

جلست بضع دقائق أخرى أيضاً ، وتحدثت مع لي لي إيمان عن خسرو وأبيه ، وأخذت منها عنواناً ناقصاً لبيت أوسامد آقا ، في حي شهرآرا ، أبعد(٥٨) من جسر تاج .

كان الشاي الذي أمامي داكناً مليء المحتوى ، ولا بد أنه بقي عدة ساعات على النار فاكتسب الطعم المر والقوام البائس لسنوات الموت والبرد لهاتين الغرفتين العبوستين المقهورتين لهذا المنزل . شربت ولاحظت أنني لم أحصل للآن على حقيقة ما . جلسنا نصف الدقيقة الأخيرة في سكوت مطبوع . في الخارج ، وسط الحديقة ، كان المطر مستمراً . وداخل الشقة الباردة ، في زاوية الصالة ، على منضدة مستديرة ـ من قطعتين ـ منقوشة ، كانت تستقر دمية يابانية مقطبة انكسرت إحدى يديها وسقطت جانباً . وكانت البنتان ، ژيلا وژاله وفا ، في غرفتيهما داخل صمت وغضب خصوصيين... ثم ، إذ لم يكن ثمة كلام آخر يقال ، نهضت .

قرب باب الخروج من الشقة ، كان ثمة مطبخ صغير . على طباخ الغاز الصغير ، كانت ثمة بضعة قدور ومقلاة خالية . وثمة مغرفة في قدر ، وملعقة في المقلاة . وكان وعاء القمامة البلاستيكي قرب الباب يكاد ينفجر من كثرة التراب وتندلق منه القمامة .كان الهواء الرطب يبعث رائحة دهن وكسل .

جاءت لي لي إيمان الى خارج الباب تودعني . وكان اسم لي لي إيمان ، على شريط ورقي صغير أصفر اللون ، يتراءى تحت أحد زري الأجراس . لي لي إيمان ، لا لي لي وفا . لا بد أن ثمة فرق . بعد عشرين سنة ونيف من الزواج والمتاركة ، لم تكن تريد أي اسم أو تذكار من زوجها . التمستها ألا تأتي الى الخارج تحت المطر ، ألا تتجشم العناء . وعندما توادعنا سألتها إن كانت واثقة أنه لم يعد ثمة شيء عن خسرو لم تخبرني به ؟ فقالت بدهشة مفتعلة :

- « وا - أي شيء آخر ؟ » . فأضفت :

- « شيء يساعد على أن نفهم أسرع أين هو خسرو ، وماذا يفعل ؟ » . كنت أعرف أنها تخفي شيئاً . قالت :

- « ماذا يمكن لهذا الشيء أن يكون ؟ » .

- « ألم يأت الى هنا مرة أخرى ؟ من ليلة أمس حتى الآن... قالت لي ژيلا خانم أن خسرو كلما يحس ضيقا يأتي الى هنا كي يقضي معك وقتاً . كلما وجدناه أسرع فمن الممكن أن ننقذه - في هذا الوضع المضطرب - من وجع الدماغ وربما من الخطر . ليلة أمس عندما كان بصدد ترك ثريا قال إنه ذاهب وراء الحقيقة ، ذاهب لإجراء تحقيقات... وفي هذه البلاد يمكن للبحث عن الحقيقة أن يؤدي الى دروب ضيقة » .

وضعت لي لي إيمان قدما واحدة خارج البيت ، لا بد لتطمئن ألا تسمع ابنتاها كلامها . كنا ما نزال تحت السقيفة . وقالت :

- « لقد كذبت . عاد خسرو الى هنا ليلة أمس مرة أخرى في الساعة الثانية والنصف أو الثالثة بعد منتصف الليل ، وقف عند الباب ، ومهما حاولت معه لم يدخل » .

- « ماذا طلب ؟ » .

- « سأل ألف نوع من الأسئلة » .

- «عم ؟» .

- «عن كيفية موت... موت أبيه . وعن اليوم السابق لموت أبيه . عمن كان هناك . عما إذا كان انتحر ، أو أن الأمر كان صدفة . لماذا لم يخرجوا جثة أبيه من الماء ؟... وأمور من هذا القبيل» .

- «وماذا قلت له ؟» .

- «كذبت عليه ، قلت إن أباه انتحر» .

- «لماذا كذبت ؟» .

- «كذب مصلحة...» ، وقالت هذا الكلام ببساطة وطبيعية كما لو أنه نهج الحياة البسيط . فقلت :

- «سيدتي... إنك إذ تقولين الصدق الآن فكل ما تقولينه هو أنك كذبت عليه...» .

- «ما تقصيري ؟ قلت ذلك كي لا يقلب طفلي ، بلا مبرر ، كل شيء عاليه سافله» .

- «إن كان انتحار أبيه كذباً ، فما الحق إذن ؟» .

- «ما أدراني والله بالقرآن!» .

- «يا سيدة إيمان ، إن كانت ثمة لعبة تتعلق بموت سياوش وأراد خسرو أن يقلب عالي كل شيء سافله كي يفهم الحقيقة ، يمكن أن يشكل ذلك خطراً بالغاً على خسرو . ألم تقولي شيئاً آخر ؟» .

- «لا والله . قلت فقط ما ذكرت لك» .

- «أيعرف خسرو عنوان هذا المسيو أوسامد آقا ؟» .

- «نعم» . ونظرت الي مترددة ، ثم قالت :

- «طلب ليلة أمس عنوان كلثوم كچل أيضاً» .

- «خادم بستان كرج العتيدة ؟» .

- «نعم» .

- «هل أعطيته عنوانها أيضاً ؟ يا سيدة إيمان ، استحلفك اللّه لا تقولي كذباً - حتى كذب مصلحة» .

- «نعم ، أعطيته» . ثم قالت :

- « كلثوم كچل لا تزال تأتي أحياناً في الأعياد وأيام رمضان الى هنا كي تأخذ شيئاً ما . إنني اقشعر من رؤية شكلها . ولكنها تأتي فأعطيها شيئاً ما . بعد موت سياوش ، غابت كلثوم كچل مدة طويلة . ثم جاءت في إحدى السنوات . خاصة في شهري رمضان ومحرم ، كلما كان عندنا نذر ، تأتي . يبدو أنها أصيبت بالخرس أيضاً » .

- «أصيبت بالخرس ؟» .

- «نعم ، لا أدري كيف وقع ذلك ، المسكينة لا تستطيع النطق . تركت عنوانها عندنا لكي نرسل في طلبها كلما كان عندنا نذر أو شيء من هذا القبيل ، إنها تعيش في حسينية ، أو مسجد . في آخر شارع كشتارگاه ، في طرف جواديه وتلك المناطق» .

أخذت الآن عنوان كلثوم كچل أيضاً ووضعته في جيبي وكأنه خارطة كنوز سليمان . عندما كنت أودع لي لي إيمان تحت مطر شارع بهار ، ظهرت ژيلا أيضاً للتوديع على عتبة الباب - بزينة جديدة وأحمر شفاه بلون الورد الأحمر . أما ژاله فلا . لا بد أنها لا تزال تمسح تنورتها المراكشي المدللة بالفرشاة .

ولكن ژيلا وفا كانت ذات إحساس . أو كانت ذات أشياء أخرى . أو كانت تريد أشياء أخرى . يمكن دائماً أن يفهم الأمر ذلك . قالت :

- «بلغ ثريا سلامي» . فقلت :

- «على عيني» ، ثم أضفت :

ـ « يمكنك أيضاً أن تشرّفي بالقدوم . ستسر ثريا » . فقالت :

ـ « على عيني » . ثم ودعتْ .

وفي اللحظة الأخيرة أرتني ابتسامتها الباهرة مرة أخرى... التي لا بد أنها كانت تستحق كل عناء الذهاب الى بيت لي لي إيمان والعودة منه .

ـ ٨ ـ

كان المطر قد اشتد ، فجئت الى أول الزقاق عند زاوية شارع بهاركي أتلفن من كشك تلفون الى فرنگيس . على جدار الكشك كانت ترتسم آلاف البذاءات والسفاهات والأسماء والإشارات ، ولكن بين هذا كله كانت ثمة فقط حفنة من نتف الأسلاك باقية معلقة ـ تذكاراً من التلفون ـ مثل قلب زليخا[٥٩] وكبدها بالضبط . تقدمت شمالاً ، قرب محل دلالية أملاك « صداقت »[٦٠] ، الذي كان مكتوباً على مكان ما من زجاج مدخله « التلفون ليس عمومياً » . وضعت ورقة من فئة خمسة تومان على مكتب السيد صداقت ، بوردة عنقه الفرنسية ، واستفدت ـ ملتمساً ـ من تلفونه الخاص . قلت إن المسألة فورية وحياتية . فقال السيد صداقت : تفضل . رن الجرس ، ورفعت فرنگيس السماعة في أول ثانية كما لو كانت جالسة وقبضتها جاهزة فوق التلفون .

ـ « نعم ؟ جلال ؟ » . فسألتها :

ـ « ما من خبر عن العريس ؟ » .

ـ « لا . ليس بعد » .

ـ « كيف أحوال قلب پروميثيوس وكبده ؟ » .

ـ « أحسن . نهضت فجلست . أين ذهبتَ ؟ » .

ـ « رأيت العقيد » .

ـ «هل حصلت على شيء ؟ فيما يتعلق بأين يمكن أن يكون خسرو قد ذهب ؟» .

ـ «بعض الأشياء . يبدو أن خسرو ذهب فجر هذا الصباح الى المستشفى . ذهب الى العقيد وسأله أسئلة . ولكن العقيد كان فاقد الوعي ، أو ذاهلاً . يقول إنه لا يذكر شيئاً» .

ـ «كيف حال العقيد ؟» .

ـ «يبدو أنه سيخرج» .

ـ «يخرج من المستشفى ؟» .

ـ «لا ـ أظنه سيخرج من الحياة» .

ـ «واي! لا ، أرجو أن يتحسن» . فقلت :

ـ «ومن المستشفى ذهبت مع خالة خسرو الصغرى الى بيتهم ، وتحدثت أيضاً مع جدة خسرو لأمه ، السيدة لي لي إيمان... وكان خسرو قد ذهب هناك أيضاً ليلة أمس... فيما يبدو مرة في الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل . كان قلقاً مضطرباً ، فألقى ألف نوع من الأسئلة عن موت أبيه وعن الصيف الذي مات فيه أبوه ببستان كرج...» . فقالت فرنگيس :

ـ «كما لو أن خسرو تلقى الأمر جدياً جداً» .

ـ «جداً» .

رويت لفرنگيس رواية لقائي بالعقيد ديوان لقا وخلاصة حديثنا معا ، ثم شرحا للقائي بژيلا وفا وذهابي الى أمها لي لي إيمان مطلقة أحمد وفا ، ورؤيتها وخلاصة الكلام الذي دار بيننا . وقلت إن ثمة مكاناً أو أثنين أريد أن أعرج عليهما ، أحدهما منزل خادمتهما السابقة ـ لأنني سمعت أن خسرو أخذ عنوانه ـ والآخر منزل أوسامد آقا ، في حي شهرآرا . يمكن أن يكون خسرو ذهب هناك . طلبت فرنگيس أن

أعود الى البيت أسرع ، أن لا أتعب نفسي ، وسألت عن حال ساقي . فقلت إنني لا أزال أحملها معي . خففت عنها وتوادعنا .

عمرّت پيكان فرنگيس تحت المطر نحو الجنوب... غائصاً في زحام المرور الراكد لبعد الظهر الربيعي في طهران ، ورحت أحس قليلاً قليلاً ، بل صرت واثقاً ، أن روح سياوش إيمان تتلوى في مكان ما على المقعد الخلفي ، أو أنها كانت جثته . ولكن من الصورة التي ارتسمت عن سياوش إيمان في ذهني بدأت أرتاح من ابن المحروق[٦١] . المتمرد الذي قال لا ـ والذي منح نفسه ، بنفس الوقت ، تبلورا . وصرت أزداد ارتياحاً بالتدريج من خسرو أيضاً . فليلة أمس تمرد هو أيضاً فجأة ، ثار فجأة على قبول الكلام والترهات التي ألقموه إياها وحملوه على تصديقها عمراً كاملاً .

كانت الساعة في حدود السادسة ، وعندما مررت بميدان شاهپور قررت أن أعرج على المستشفى ، فقد كان الوقت وقت زيارة ، وقلت إنه يمكن أن تكون أم خسرو هناك ، وربما حتى خسرو نفسه .

كان المستشفى مزدحماً الآن . في القسم رقم ١ ، في غرفة العقيد ديوان لقا ، كان عدد من الأقارب والأصدقاء والمعارف مجتمعين . والعقيد نفسه كان لا يزال على سريره مريضاً فاقد الوعي .

من بين الناس الذين كانوا داخل الغرفة لم أعرف غير الدكتور راسخ ، الذي كان من أصدقاء المرحوم الدكتور تقوي ، زوج فرنگيس .كان راسخ يعمل في مستشفى شركة النفط بآبادان . حيا أحدنا الآخر ورحب به وقبله . قدمني الدكتور راسخ لفرخ ، زوجة العقيد . لم تكن لي لي خانم ولا ابنتاها هناك ، أو أنهن لم يكنّ قد جئن بعد ، أو أنهن لم يكن ليأتين أصلاً . فقد قالت ژيلا إنهم على زعل مع بعض دائماً .

ولكن السيدة فرخ ديوان لقا كانت شيئاً آخر : بطاقم جاكتة

وسروال ذي ثنايا بلون أخضر زيتوني بهي ، بلوزة ليمونية ذات حواش مشبكة ، ودبوس ذهبي تحت الحنجرة ، ووجه ورأس مزينين ، وعينين صفراوين جائعتين ، متحدثة ، ضاحكة ، ضغطت على يدي وأبلغتني أنها سمعت عني انكثير من الجميع ، وخاصة من ابنها وزوجها ، وأنها مسرورة جداً من زيارتي . شكرتها . كانت طريقة نظرها الى رجل جديد ، بولع ، من البراءة والطفولة بحيث يبدو وكأنها تريد أن تلمسه بأصبعها فتذوقه . على أية حال كانت ذات مظهر يبعث على الاحترام ، ولها وقار وهيبة الأشراف والمحترمين ـ يليق بها أن تكون حفيدة السناتور الدكتور السيد فخر الدين إيمان عن طريق ابنته ، من زوجته الأولى السويسرية . إن كل الاوصاف التي سمعتها عن جمالها ، أو صورتها التي رأيتها ، لم يكن أي منها يفي جمال فرخ وفا ، أو زوجة العقيد ديوان لقا ، حقه . كان لها خد أسيل فاتن ، وذقن منمنم ، وأنف منمنم ، وعينان وحاجبان طويلة ، مثل نساء رسوم المينياتور الخالدات للأستاذ بهزاد(٦٢) ، بشعر أسود ، وبؤبؤين أصفرين باهرين مائلين الى اللون الذهبي ، ولكنها كانت شريرة نوعا ـ ولم يكن هذا لمجرد أن زوجها يحتضر تحت ناظريها وهي تلتذ من المنظر . بدأت سؤالي عن خسرو بالسؤال عنها : سألتها عن حالها . قالت :

ـ «ميرسي» ، وضحكت . ثم قالت بتقطيبة شكاية ودية :

ـ «واه ـ أيها السيد المهندس ، لماذا إذن لم تشرّف منزلنا» . كما لو أنني كنت ارتكبت حقا خطأ فاحشاً اذ لم أطر من آبادان الى ذراعيها رأساً . قلت :

ـ «الأيام طويلة» .

ـ «الخلاصة ، لا أظنك تريدنا أن نزعل منك ؟» .

ـ «لا . ولكن أتزعلين حضرتك أيضاً ؟» .

ـ «جداً» .

ـ « من الجميع ؟ » .

ـ « منك ، لا » . ثم قالت :

ـ « إنك طويل القامة جداً . إن قامة العزيزة ثريا موروثة منك . حقاً يقولون إن الطفل ابن الحلال يشبه خاله » . سألتها :

ـ « لست زعلانة من خسرو ؟ » .

ـ « من طفلي أنا ؟ أواه! ليصبني الموت ، ما هذا الكلام ؟ رحت صدقة له . إنني افتديه . نحن ، كل عائلتنا ، أصلاً من عبدة الأطفال! » .

ـ « ليس عندك طفل آخر ؟ » . فقالت :

ـ « واللّه ، إن الطريقة التي جاء بها خسرو الى الدنيا سلبتني إمكانية وقابلية إنجاب المزيد » .

ورققت غلاف عينيها وألقت عليّ نظرة ، بمعنى أن ثمة أموراً نسوية لا يفهمها الا الجنس اللطيف . فقلت :

ـ « أنا آسف » . قالت :

ـ « إنه ماض » . فقلت :

ـ « كيف حال جناب العقيد ؟ » . قالت :

ـ « أحسن . أحسن كثيراً من ليلة أمس » . كان صوتها ليناً وحلقومياً . مليئاً بالدفء والحياة . أضافت :

ـ « ما شاء اللّه أحسن كثيراً » .

نظرت ، فوجدت العقيد ابن الميتة تحت كيس الاوكسجين يُخرج من حنجرته وحلقومه أي صوت فيما عدا صوت تنفس الحياة . سألت :

ـ « كيف حال خسرو ؟ » . فقالت :

ـ « خسـرو ليس بخيـر ، طفلي . بعـد بلاء ليلة أمس ذاك » . ورتبت أطراف كم جاكتتها ونطاقها . ومدت يداً تحت حلقات شعرها وراحت تنظر هنا وهناك . كانت تفوح منها رائحة عطر شانل أو نوع أغلى منه . كانت عيناها تهتمان بشكلها وهندامها ، بالناس الذين حولها ، فَرِحْتُ أفكر في أنها لا تزال تمتلك هياج وجنس ذاك الصيف قبل ثلاث وعشرين سنة ، حين ذهبت الى سياوش ببستان كرج . إن النساء اللاتي على شاكلتها يمتلكنه دائماً . سألتها :

ـ « ألم تري خسرو من ليلة أمس حتى الآن ؟ » . فقالت :

ـ « لا » . ثم سألت بافتعال :

ـ « واه! أفليس هناك ؟ » .

ـ « أفليس أين ؟ » .

ـ « عند ثريا...... » .

ـ « عند ثريا ؟ » . هزتني بساطتها وتصنعها وخفتها . وقلت :

ـ « أفلم تتلفن أم ثريا لك عدة مرات ، ليلة أمس وهذا اليوم ؟ » . فقالت :

ـ « أواه ، لم لا ؟ قالت إنه خرج . فقلت إنه لا بد قد عاد . نعم ، ليس هناك أيضاً... أفعندي حواس ؟ لقد كنت قلقة جداً جداً على خسرو ، من ليلة أمس للآن » .

حَدقْتُ إليها . لم يكن عندها إدراك للواقع الحي . أو أنها لم تكن تبدي ذلك .

التمست منها أن تشرّف بالمجيء بضع ثوان الى الممر ، فثمة أمران أو ثلاثة أخرى أريد سؤالها عنها . كان الآخرون داخل الغرفة مشغولين ، يتكلمون فيما بينهم : حول العقيد ، حول الجو ، حول ازدحام المرور ، حول ارتفاع الأسعار ، وحول الأمور الخاصة والحياة .

في الممر المزدحم ، قلت لأم خسرو بعد مقدمة قصيرة :

ـ «سيدتي ، أيمكنك أن تخمني أين يمكن أن يكون خسرو الآن ؟ إنـي أريد أن أجد خسرو ، أن أراه ، أن أتحدث معه لمدة خمس دقائق» .

ـ «لا أدري ، والقرآن ، ما حال ولدي الآن» .

ـ «أليس عندك من خبر ، حدس ، تصور... عن أين يمكن أن يكون ؟» . فقالت :

ـ « لا بد أنه ذهب الى زاوية كي يشرب حتى يسكر فيخرب ، مثل أبيه . إن خسرو ولد حساس جداً جداً ورقيق جداً جداً» .

ـ «خسرو لا يشرب مشروباً» .

ـ «لا . ولكنه يمكن أن يكون الآن قد ذهب ليشرب» .

ـ «أين ؟» .

ـ «والله بالقرآن لو كان عندي خبر لذهبت وراءه» .

ـ «إنه ليس عند أصدقائه ممن اتصلت بهم ثريا وأمها . لقد سألت ثريا وأمها من الجميع . حتى علي رضا صديقه الحميم بحث في كل مكان . ثم أن خسرو لا يشرب مشروباً . بقدر ما أتذكر فهو لا يذوق الشراب» .

ـ «لا . لا يذوق الشراب . قلت ذلك . ولكن ليلة أمس حطمه أولاد الكلب أولئك» .

ـ «أفهناك سبب كي يتحطم خسرو من كلام مجنون ؟» .

نظرت فرخ ديوان لقا في عيني . كانت تريد أن تقرأ في عيني شيئاً . قالت :

ـ «أي سبب ؟» .

ـ «ربما كنت تعرفين أكثر» .

ـ «أفثمة شيء ينبغي أن أعرفه ؟» .

ـ «حول أبيه...» .

ـ «ماذا حول أبيه ؟» . اتخذت عيناها الآن حالة غضب ودفاع .

ـ «في الحقيقة كنت آمل أن توضحي أنت . أن تجري تحليلاً» .

ـ «أفأنا طبيبة نفسانية ؟» .

ـ «أنت أمه ، أنت تدركين روحيته تجاه أبيه . . . تجاه أبيه الحقيقي...» .

ـ «لا أدري كيف يمكن تفسير روحيته تجاه أبيه . إن خسرو مصاب منذ سنوات طوال بهذه الماليخوليا من أن عدم وجود أبيه في حياته هو تقصير الدنيا كلها . إن خسرو يعتبر موت أبيه تقصيرنا كلنا ، ومنبع تمام أحزانه في هذه الدنيا . يعني أنه يظن أن أباه قد سلب ، بالانتحار ، من حياته كل معنى ومفهوم الحياة...» . فسألت :

ـ «أبوه انتحر ؟» .

ـ «أنت تعرف أحسن أم أنا ؟» .

ـ «لقد سمعت من الظهر حتى الآن كم نوعاً من الروايات . ما رأيك ؟» .

ـ «أنا لست ضامنة لأكاذيب الناس ، أأنا ضامنة ؟» .

كانت تجيب سؤالي بسؤال آخر ، أو تتهرب . قلت :

ـ «أمك قالت أنك رأيت سياوش يتخبط ويغرق» . فقالت :

ـ «لست ضامنة أقوال الآخرين ، ضامنة ؟ أنا أقول إنه انتحر في ذلك النهر بالذات...» .

ـ «في أي نهر ؟» .

ـ «نهر شيء آخر . نهر كرج» .

ـ «وهذه هي الحقيقة والصدق بعينه ؟» . فقالت :

ـ «أهو كذب إذن ؟ أجاء أحدهم بقسم على آخر كي يصدق ؟ إن أردت صدق وإن لم ترد فلا تصدق . ولكن هذه هي الحقيقة التي لم يصدقها خسرو ، والتي ينبغي أن يصدقها! ثم إن مافات مات . لقد قلت ليلة أمس ألف مرة ، حتى لخسرو . ما فائدة تحريك قذارات الماضي ورماده ؟ ها ؟ غير أن يزعج الجميع ؟ أي حدث جرى منذ اثنتين وعشرين سنة ما أهميته الآن ؟ غير أن يسلب راحة الجميع ، وخاصة ثريا العزيزة ؟ ينبغي أن يقبل خسرو هذه الحقيقة والواقع ، ولكنه لا يفعل . يعني وفاة أبيه ، انتحار أبيه . لقد كان مغتماً من أبيه دائماً ، غاضباً دائماً . ما شأن أمه التعيسة ـ ما شأني ؟» ، ها أنا الآن صرت مديناً أيضاً .

ـ «أنا لم أقل أنه تقصيرك... إنني أريد فقط أن أعثر عليه ، أن أكلمه خمس دقائق...» .

ـ «حسناً ، اعثر عليه وكلمه ــ أهو في جيبي ؟ إنه يحمل دائماً كابوساً وخواطر سيئة عن أبيه ـ ما شأني أنا ؟» .

ـ «وفي الوقت نفسه يحب أباه بجنون» . فكررت فرخ ديوان لقا :

ـ «حسنا وما شأني ؟ واه! ماذا أفعل ؟» ، ثم قالت : «ماذا تريد أن تعرف ؟ ما تريد أن تسأله ؟» .

ـ «لماذا جاء عم خسرو ليلة أمس وسط حفل الزفاف فوقف وقال ذلك الكلام ؟ لماذا قال إنكم جميعاً تدفعون القصاص عن دم أخيه البريء ؟» . فقالت فرخ :

ـ «ألم يلق الآخرون الكلام في فم ذلك المجنون ؟» . فقلت :

ـ «مجنون ، صحيح . الجميع قالوا إنه مجنون . ولكن ما دافع خسرو ؟ ما الذي يدفع خسرو على أخذ هذا الكلام على محمل الجد ؟ لا بد أن عنده سبباً . أعنده سبب ؟ ما سببه ؟» . فسألت :

ـ «لم لا تشرّف فتسأله شخصياً ؟» . فقلت :

ـ «إنني أسألك أنتِ أمه» . كانت لهجتي ما زالت هادئة وودية . فسألت :

ـ «لم لا تشرّف فتسأل من عائلة أبيه ؟» . فقلت :

ـ «سأذهب وأسأل . على عيني» . فقالت :

ـ «وما شأني ؟ ما معنى هذا ؟» .

إن المرأة الوقورة المحترمة لبضع دقائق مضت قد تبدلت ـ إذ لم يكن وضع الحديث وفق مرادها ـ الى ماكنة تحطيم أعصاب . ثم سألتها آخر أسئلتي ، فقلت :

ـ «يا سيدة ديوان لقا ، تلك الليلة التي مات سياوش في الصباح التالي لها ، أكان ثمة أحد ، غيرك وغير سياوش وخسرو وتلك الخادم الريفية ، في بستان كرج ؟» .

حدّقت فيّ ذاهلة . تعكس عيناها حالة مرض . كنت قد أخذتها من يدها ورجلها ، كنت قد رفعتها ، وقذفت بها في الوديان السود لسرٍّ ورمز ثلاث وعشرين سنة من العذاب... لم تمتنع عن الإجابة فقط ، وإنما حتى بزعل وقطع رابطة خفضت رأسها . لم تنظر اليّ مرة أخرى ، وحتى لم تودعني . أخذت طريقها بخطوات سريعة ، وعادت الى غرفة زوجها .

- ٩ -

لم أجد سبباً آخر للبقاء داخل المستشفى ، فناديت على الدكتور راسخ لأودعه .

جاء الدكتور راسخ ماشياً معي في الممر . تحدثنا أولاً عن آبادان والقوم الذين أعرفهم هناك . ثم تكلمنا عن ثريا وخسرو . كان قد جاء في الحقيقة نيابة عن ثريا وأمها لزيارة العقيد ، الذي هو زوج أم خسرو . وبالمناسبة ، فقد كان يعرف أبا خسرو الحقيقي أيضاً . ثم قال :

- « جئت من آبادان فيا ليتك جلبت معك كم كيلو غرام بصل » .

- « ماذا ؟ أهنا قحط بصل ؟ » .

- « في طهران قحط بصل! » .

- « في العصر البهلوي ؟ » .

- « في طهران ثمة قحط في شيء ما دائماً . يضعون في صفائح الدهن النباتي مسكوكات ذهبية للدعاية والمنافسة ، ولكن ينبغي أن يستوردوا البصل بالباخرة من الهند - لأنه قحط » . فقلت :

- « حسن أن يكون القحط في البصل وحده الآن » ، فضحكا كلانا . ثم قلت :

- « شرّف لنذهب معاً فنبحث : أنا عن صهرنا ، وأنت عن البصل... » فراح يقهقه ، وقال :

- « نعم » . ثم قال : « يبدو أن وضع خسرو ليس حسناً جداً » .

كنت اعرف الدكتور من أيام أن كان أبو ثريا حياً وفي آبادان ، ولكن معرفتي به لم تكن وثيقة . كانت له حياته العائلية حينذاك واهتمامه ، مثل زوج فرنگيس ، في الطبابة وهموم الحياة ، أما أنا فكنت

في حياة الوحدة وكان اهتمامي بالزجاجة . قلت :

- «نعم ، قلب كل المدينة رأساً على عقب ليفهم لماذا وكيف مات أبوه قبل اثنتين وعشرين أو ثلاث وعشرين سنة في هذه البلاد » . كنت أفترض أن الدكتور راسخ على علم بموضوع أبي خسرو الحقيقي .

كان يعرف ، خفض رأسه . حك حاجبه الكث الأشمط باصبعه الأوسط . فكر قليلاً . ثم قال :

- «أعرض على جنابكم ، إن لموت أبي خسرو حكاية ، يا سيد آريان . أذكر عندما مات ، أن عائلته أبقت القضية طي الكتمان » .

- «تكتموا عليها ؟ » . فقال راسخ :

- «يمكن القول أنهم تكتموا عليها . في تلك الأيام كان للدكتور السناتور إيمان نفوذ بالغ .كانت عنده علاقات مهمة وراء الكواليس . وخاصة مع السفارات ، أحياناً بهذا الإتجاه ، وأحياناً في ذاك الإتجاه . تمام خيوط العرائس كانت في يديه» . فسألت :

- «الدكتور إيمان ؟ » .

- «أو... هو... م . كان في الأصل طبيباً ، وكان رجلاً طيباً ، ولكنه كان من بين رجالات البلد . تعلم أنه كان سناتوراً معيّناً . ولا بد أنك سمعت في كل مكان . كان داخل الكثير من التحركات . وكان مادياً أيضاً . وكان يتشدد مع أبنائه ويبخل عليهم . كان سياوش ولده الأول ، على عكس سنّة عائلته ، كان سياوش دافئاً ودرويشاً . كان طاهر الفؤاد وساذجاً» . فقلت :

- «من أين تعرف كل هذه الأمور يا دكتور ؟ » .

أخرج الدكتور راسخ علبة سجاير ، وقدم لي سيجارة . أشعلنا معاً . وقال :

- «أعرض عليك ، إنني وسياوش إيمان بدأنا الدراسة في كلية

الطب بجامعة طهران في نفس السنة معاً » .

ـ «حقاً ؟» .

ـ «نعم ، يا مولاي» .

بلغنا ، متمشيين ، على مهل ، آخر الممر ، نحو باب الخروج . كان الدكتور راسخ يبدو ـ بقامته المنمنمة ومعطفه المطري الأسود وقبعته الصغيرة ـ نظيفاً صغيراً . قال :

ـ «وكان سياوش الطالب الأول في امتحان الكونكور(٦٣) ، وكنت أنا الثاني . ولكن سياوش إيمان كان غولاً من فكر وإحساس ، أو أنه كان ملاكاً ، لم يخلق لدنيانا . تحمّل السنة الجامعية الأولى على نحو من الأنحاء ، وفي السنة الثانية كان يكاد يختنق» .

خرجنا من المبنى خطوة ، أمام الحديقة ، ولكننا بقينا تحت سقيفة المبنى . سألته :

ـ «م كان يختنق ؟» . كانت أمواج صوت دعاء ـ من مكبرة صوت مسجد مجاور ـ تنهمر على الحديقة المبتلة المزدحمة ، وكانت مكبرة الصوت في أنتهاء الموعظة ـ تدعو لأرواح الجميع وتمجدها .

قال الدكتور راسخ :

ـ «كان سياوش يتألم من الوضع الاجتماعي القائم . من كون كل نظام العصر نمطياً ، من انعدام الحقيقة والصفاء ، من الإجحاف السيء الذي كان موجوداً ـ والموجود دائماً ، بشكل طبيعي . كان سياوش يحب أن يختلط بحرية مع الطبقة الدنيا . لم يكن بيديه كثير من المال . فكان يذهب ويبيع كتبه ، يذهب مع المتسولين ، يجالس الحمالين ومنظفي الأحواض ويحادثهم ويدخن السجاير معهم . ويدعو الجميع الى الصفاء والحق» . فقلت ضاحكاً :

ـ «مثل نوع من عيسى نبي الله بالضبط» . فقال :

ـ « مثل نوع من أشو زرتشت[٦٤] » . ولم يكن يمزح . فقلت :

ـ « إنني أعتذر . لم أكن أقصد المزاح . أنا لم آخذ هذه الزاوية منه على محمل الجد . مع أنني سمعت من ثريا أن سياوش راح وصار زرادشتياً » . فقال :

ـ « تعلم أن سنة اثنتين وثلاثين[٦٥] كانت سنة ساخنة سياسية ـ قومية ، سنة مصدق الكبير والوطنية الإيرانية . كانت في الشارع تظاهرات دائماً . كانت أميركا تريد خلع مصدق . الخلاصة : كانت الملة في هياج . ولكن سياوش كان يقرأ ، تلك السنة ، الأوَسْتا[٦٦] ليل نهار . يعني أنه كان يقرأه للجميع . للمتسولين وباعة التذاكر ومساعدي سواق السيارات ، يقرأ من أوستا زرادشت . طبيعي أن أغلب الناس كانوا يظنونه مجنوناً ، أو درويشاً مختلاً » .

ـ « ألست تمزح ؟ » .

ـ « بل أنا جاد جداً... » ثم استأنف : « كان سياوش يقول : إن كان ثمة في الدنيا مذهب يجب إتباعه اليوم فهو الزرادشتية . كان يقول إنه إن كان في بدء تاريخ التمدن زعيم ومعلم في الدنيا ، زعيم ومعلم حقيقي ، فهو زرادشت » .

سحب الدكتور راسخ نفساً عميقاً من سيجارته ، وراح يفكر . في الظاهر ، لم يكن على عجل للعودة الى غرفة العقيد . يمكن إحساس حبه القديم لسياوش إيمان بصورة جيدة . سألته :

ـ « كيف كان مع عائلته ؟ » . فقال :

ـ « لقد وضعت عائلة سياوش تحت تصرفه كل شيء ـ ولكن لا الأشياء التي يريدها هو . كان سياوش يقول ـ لا أذكر كلماته بالضبط ـ ولكنه كان يقول إنه لا يوجد في بيتهم حقيقة وصفاء . كان يقول إنه لا يوجد في تلك العائلة ما هو جوهر أصيل لحياة صميمية . لا توجد

طهارة ووحدة . ولا صفاء الجمع . الكل للواحد والواحد للجميع . لقد كان عذاب سياوش إيمان هو هذا » .

في عيني الدكتور راسخ ، بعد خمس وعشرين سنة ،كان سحر سياوش حيا ، أعدته الى دنيا هذا الزمان المادية . سألته :

ـ « ألم يكن عاشقاً ؟ يعني ألم يكن يحب فتاة بعينها ؟ » .

ابتسم الدكتور راسخ ، ونظر إليّ : يعني أنني ألقيت سؤالاً تافهاً عديم المعنى . وقال :

ـ « إن كان قصدك أم خسرو ، فلا . لا أظن . أنا متأكد » .

ـ « أنى لك أن تتأكد ؟ » . فقال :

ـ « كنت أوثق صديق لسياوش في الجامعة . حتى اليوم الذي ترك فيه سياوش الجامعة لم يكن ثمة خبر عن عشق ومعشوق أو سياسة . بقدر ما أعلم فمسألة روح سياوش مسألة نابغة حساس وعدم انسجامه مع محيطه . كأن روحه العجيبة والكبيرة لا يسعها قالب المعايير المقننة اجتماعياً . أنت تعلم أن مجتمعنا لا يقبل متمرداً وعاصياً فردياً . في مجتمعنا محكوم على المتمرد الفردي بالفناء . النظام الحاكم لا يتحمل الانتقاد والعصيان الفردي » . فقلت :

ـ « ماذا يفعل ؟ » . فسحب الدكتور راسخ نفساً عميقاً آخر من سيجارته ، وقال :

ـ « يهشم المتمردين ويسحقهم ، حتى يصيرون كالبقية طيعين سلسين » .

ـ « وهل يتهشم هؤلاء وينسحقون ؟ » .

ـ « ويهشم هؤلاء وينسحقون بالطبع... الكثيرن منهم يتهشمون وينسحقون ، وحتى ذكراهم تذهب عصف الريح . ويبقى واحد أو اثنان منهم فيصيران آكلة لروح الأجيال . وليلة السابع والعشرين من مرداد

سنة اثنتين وثلاثين[٦٧] هلك رجل جيد في إيران... إنهم يهلكون دائماً » . فقلت :

ـ « مثل الدكتور مصدق ؟ » . فقال :

ـ « مثل سياوش إيمان ، المتمرد ... » .

ـ « صحيح » .

ـ « مثل سياوش وابنه خسرو » .

نفخ الدكتور راسخ دخان سيجارته مثل لعنة في الجو المطير . سألته :

ـ « يا دكتور . في تلك السنة التي كان فيها سياوش ببستان كرج ، أذهبت لرؤيته هناك ولو مرة ؟ » .

ـ « نعم ، ذهبت لرؤيته مرتين أو ثلاثا » .

ـ « كيف كان وضع معيشته ؟ » . فقال الدكتور راسخ :

ـ « كان سعيداً . كان وحده ، كان وحيداً ، وقد أنمى لحية ملينة مرتبة جميلة ، ولكن فؤاده كان فرحاً . كان فخوراً . كان يتمرغ في الدنيا البسيطة لتعاليم زرادشت . كانت له دنياه الخاصة . كان عنده نهر . بستان ، بيت صغير . كان باب بيته مفتوحاً دائماً . وكان عشق الحياة الطيبة في رأسه . ويقرأ كتب الأوستا ، يقرأ (يشت)[٦٨] زرادشت . لا أدري ، يقرأ (گات)[٦٩] زرادشت . كان على علاقة وثيقة مع الناس البسطاء من الطبقة الدنيا » . فقلت :

ـ « إنك ترسم عن سياوش إيمان لوحة جميلة يا دكتور » . فقال :

ـ « كان سياوش في تلك السنة يرى في الدنيا والسماء والناس جلالا وقدسية طيبة جيدة . أذكر أن فرخ هذه كانت عاشقة له ، ذهبت الى هناك ، ورمت نفسها عند قدمي سياوش ، عقد سياوش عليها ،

وأراد الله أن يعطيهما طفلاً . كانا يعيشان في صفاء » .

ـ «أكان ابن سياوش نفسه ؟ » ، فألقى الدكتور نظرة حادة عليّ ، وقال :

ـ «لا بد حتماً... بعد أن اخذ فرّخ لم أره إلا مرة واحدة ، كان لا يزال سعيداً . وكانت عندهما أيضاً خادم ريفية تضع على رأسها منديلاً مثلثاً ، كان سياوش يعاملها وكأنها الملكة آذرميدخت(٧٠) . كان في زاوية البستان مطبخ ، تطبخ الخادم لهما فيه (تاس كباب)(٧١) . ولكن في بعض الأوقات كان يبدو وكأن سياوش هو خادمها . لقد حول سياوش الفوارق الطبقية الى محبة إنسانية» . فسألت :

ـ «الم تكن الخادم الريفية خرساء ؟ » .

ـ «خرساء ؟ » .

ـ «نعم ، ألم تكن خرساء ؟ » .

ـ «لا . بل كانت تتكلم على نحو عذب . بلهجة الأطراف . لا أدري أكانت شيرازية أم لُرية» .

ـ « كانت بروجنية» .

ـ «لا بد» .

ـ «سمعت أنها كانت خرساء ، لم يكن عندها لسان . يعني ليس عندها لسان» .

ـ «عجيب» . فسألته :

ـ «ماذا عن زواج سياوش ، يا دكتور ؟ ألا يبدو عجيباً نوعاً ما أن المولّه بزرادشتِ إيَران الحر المستقيم يعشق إبنة أخته غير اللح فيتزوجها ؟ ليس قصدي الطعن به» .

رفع الدكتور راسخ حاجبيه الى أعلى ، ودفع شفته السفلى الى

الخارج . ثم قال :

ـ «والله لا أدري ما أقول بهذا الصدد» .

ـ «أليس عجيباً ؟» .

فهز رأسه ، كان يحاول أن يعيد تركيب وتجميع حقائق تلك السنة والسنوات التي تلتها في ذهنه . قال :

ـ «والله ، كان هذا الجانب من قصة سياوش بالنسبة لي أيضاً غير مفهوم نوعا ما . وما يزال كذلك . إن بقية أعماله تنسجم مع روحيته الفريدة البسيطة الطاهرة . ولكن هذه المسألة : لا» .

ـ «أيمكن أن تكون فرّخ قد ذهبت الى هناك ففرضت نفسها على سياوش ؟» .

ـ «لا أدري ماذا أقول» .

ـ «أهذا ممكن ؟» .

ـ «كل شيء ممكن ، خاصة مع إنسان كسياوش إيمان» . فسألته :

ـ «يا دكتور . كيف ترى عشيرة فرخ وعائلة فرّخ وفا ؟ أي نوع من المخلوقات هم ؟» .

ـ «أعرفهم من بعيد» .

ـ «يبدو أن الطلاق والزعل والنزاع منتشرة بينهم أبداً ؟» . فضحك :

ـ «سمعت . لقد رأيت أحمد وفاهم ، وعقيدهم ديوان لقا ، أكثر من الأخرين . نعم ، هم هكذا . تجدهم يوماً أهل محبة وسماح وصفاء وحديث ومرح . وغداً تجدهم غاضبين ويتنازعون على المال ، فيخنق أحدهم الآخر ويختنقون ، عاطفياً ، أعز الناس عليهم» . ونظر الى ساعته ، فقلت :

ـ «يا دكتور . ينبغي أن تعود ، وأنا قد أخذت الكثير من وقتك . بقي سؤال واحد...» ، فقال :

ـ «تفضل» .

ـ «سمعت أنه كان ثمة شخص ، باسم مسعودي ، كان يقرض سياوش أموالاً ذلك العام... قد تكون هذه النقطة عديمة الأهمية ، ولكن أعندك اطلاع عن هذا الموضوع ؟» .

ـ «نعم ، مسعودي... في ثانوية دار الفنون كنا نحن الثلاثة زملاء في نفس الصف معاً . عندما أخذ مسعودي شهادة الدراسة الإعدادية ذهب الى المصرف . وبعدئذ انغمر أصلاً بالمال... فائدة المال وصكوك المال» .

ـ «أين هذا المسعودي الآن ؟ أما يزال موجوداً ؟» .

ـ «نعم ، عنده الآن مكتب في بيته ، وعنده خزانة نقود ، وعنده أشغال ومشاغل» .

ـ «أعندك عنوانه ورقم تلفونه يا دكتور ؟» . فنظر اليّ الدكتور متعجباً ، ولكنه قال :

ـ «أظن» . وسعل . ثم مد يده الى جيبه ، فأخرج دفتراً صغيراً . قلت لمحض اطلاعه :

ـ «إنني أبحث عن كل من كانوا على تماس بسياوش في تلك الأيام ـ من أجل خسرو» . فقال :

ـ «ليحالفك التوفيق . إن خسرو المسكين بحاجة الآن للمساعدة» .

كتب عنوان ورقم تلفون مسعودي على ظهر بطاقة زيارته الشخصية ، وأعطاني إياها . وكانت أرقام تلفوناته هو أيضاً على البطاقة . رجوته أن يتلفن لمسعودي هو أيضاً فيأخذ معلومات عن

تفاصيل علاقاته واتصالاته بسياوش ووضعه المالي بواسطة محمد كوه گرد . وقلت إنني سأتصل به ـ الدكتور ـ هذه الليلة أو غداً . وتكلمنا بضع دقائق أخرى عن حال ثريا . ثم ودعته ، وجئت فأخذت السيارة وهبطت الى جنوب المدينة .

ـ ١٠ ـ

من مفترق (مختاري) وشارع (مولوي) جئت الى شارع (كشتارگاه) . على العنوان الذي أعطتني إياه لي لي خانم إيمان ، جئت الى أدنى من محطة البنزين حتى عثرت ، بعد السؤال من هذا وذاك ، على زقاق (الحاج رضا معزز) . وبعد السؤال وصلت بيت كلثوم .

كان زقاق الحاج رضا معزز شيئاً طويلاً وعريضاً عديم الأشجار غير مكسو بالأسفلت ، فتركت السيارة عند رأس شارع كشتارگاه المكسو بالأسفلت أمام محل تصليح دراجات ، وأوصيت صبي مصلح الدراجات أن يراقب السيارة . رأيت قبة المسجد السمنتية البراقة من منتصف الزقاق فدخلته .

تحت المطر ، كان زقاق الحاج رضا معزز قد غاص بين الطين والأوحال وظلمة قبيل الغروب . لا بد أن الزقاق كان فضلة بناء من شارع ، عرضه عشرون متراً ، جديد من مشاريع جنوب طهران الكبرى حديثة الإنشاء ، الذي يشمل طريقاً للسيارات وساقية ماء ورصيف مشاة ، ولكن الطين والوحل أربك المشروع كله هذه الليلة . فيما عدا الدكاكين التي لا مشتر عندها والملطومة على رأسها ، كان الزقاق من أوله الى أخره في هذه الليلة الربيعية خالياً صامتاً . كان يشبه بالضبط الأزقة الخلفية لطفولتي ، مكبرةً .

أمام المسجد رأيت سيارة (فوردترايومف كورسي حمراء) أغمي عليها فسقطت طولياً في وحل طين جدول ماء الشارع . تذكرت أن

فرنكيس كانت قد قالت إن سيارة خسرو (ترايومف كورسي حمراء) . تقدمت وفحصتها . لم تكن السيارة مقفلة . ولم تكن المفاتيح في داخلها . كانت على المقعد بضعة كتب ودفاتر ومظاريف . وجاء صوت من وراء رأسي يسأل :

ـ «أتعرف صاحب السيارة ؟» .

التفت ، فوجدته صبي دكان الميكانكي على ذلك الطرف من الشارع ، صغير الحجم . كان فتى في الثامن عشرة أو التاسع عشرة من عمره ، يرتدي فانيلة مدهنة سوداء ، وله عين واحدة مضيئة وذكية . قلت :

ـ «نعم . كم مضى على سيارته هنا ؟» . فقال :

ـ «منذ التاسعة أو العاشرة صباحاً... منذ ذلك الوقت أراد عدد من هؤلاء العمال أن يخطفوا منها شيئاً فلم ندعهم . حرسناها» . فقلت :

ـ «عشت . أذهب صاحبها الى المسجد ولم يخرج بعد ؟» . فقال صبي الميكانيك :

ـ «لا ، لم يبق أكثر من خمس دقائق أو ستّ داخل المسجد...» .

ـ «ثم ماذا فعل ؟» .

ـ «ثم خرج فركب ، شغّلها وضغط كثيراً على البنزين ، وحاول أن يستدير فسقط في الساقية» .

ـ «ترك السيارة وذهب ؟» .

ـ «نعم ، وذهب مندفعاً . كأنه على عجل» . ثم سأل بسوء ظن :

ـ قل لي ، ليس من هؤلاء المخلين بالأمن والمجاهدين الذين يقولون عنهم ؟» .

ـ «لا...لا . ليس ممن يقومون بهذه الأعمال» .

ـ «أنا أيضاً لم أصدق ، كان لا يزال يرتدي ملابس السهرة» .

شكرت صبي الميكانيكي ، ودفعت ورقة من فئة العشرين[٧٢] الى زاوية يده ، فلم يأخذها . مهما حاولت لم يقبل . كان أبياً . قال :

ـ« عندما كان ينصرف ، سقطت هذه أيضاً من جيبه» . وأراني مجموعة المفاتيح . فقلت :

ـ «احتفظ بها حالياً . ربما عاد . عشت» .

ـ «خادمك» . فقلت :

ـ «كان شاباً في الثالثة أو الرابعة والعشرين ، أبيض الوجه ، أسود الشارب ، جميلاً . صحيح ؟» .

ـ «نعم ، هو نفسه . لقد فهمت أنه إنسان طيب ولكنه منزعج من شيء ما» .

ـ «عشت» .

نهض شحاذ سمين ، تحت حنجرته غدة درقية كبيرة بحجم قرع الحلوى[٧٣] ، وكان يجلس حتى ذلك الوقت أمام المسجد تحت الطاق ، وتقدم قائلاً : «سلام ، أيها السيد المهندس» وشارك في مؤتمرنا . قال :

ـ «ليبعد رب الحسين البلاء» . فقلت :

ـ «أرأيته أنت أيضاً ؟ صاحب السيارة ؟» . فقال :

ـ «نعم ، ذهب بلهوجة وعجلة واضطراب . ليبعد قمر بني هاشم البلاء عن الجميع» .

مددت ذات العشرين نحو يده . أخذ الورقة بكلتا يديه السمينتين المخضبتين بالحناء ، وراح يدعو بالعربية هذه المرة . سألته :

ـ «كان قد جاء ليرى هذه العجوز التي في المسجد ؟» . فقال الشحاذ السمين :

ـ «نعم ، جُعلتُ صدقة لك . جاء يبحث عن كلثوم سلطان . كلثوم سلطان تشتغل في تنظيف المسجد » .

ـ «أهي هنا الآن ؟» .

ـ «نعم ، هنا ، تفضل» .

ـ «تلطّف أرني الطريق» . كانت الملة الآن ، صغيرها وكبيرها ، قد تجمعت حولنا مثل النمل . قال الشحاذ السمين :

ـ «خادمك» . فقلت :

ـ «تفضل» .

دخلت المسجد وراء الشحاذ السمين . في الفناء الأمامي وحول الحوض الكبير ذهبنا الى خلف المصلى ، حيث كان ، في نهاية الحديقة الصغيرة المظلمة الخلفية ، كوخ كالقبر . كان مصباح صغير أصفر اللون يضيء الكوخ . وكان داخل القبر ، فيما عدا بساط ومنقل وقطعتين أو ثلاث من التفاهات ، عاريا فارغاً . كانت امرأة عجوز مفردة ، على رأسها منديل مثلث ، تجلس على زاوية البساط . كانت تأكل خبزاً وحلاوة طحينية .

رفعت العجوز رأسها ونظرت الينا بسوء ظن . قال الشحاذ العجوز :

ـ «كلثوم سلطان ، هذا السيد يريد أن يراك» .

كانت كلثوم سلطان من تينك العجائز ذوات الوجوه السمينة والأنوف الكبيرة ، لها شفتان معوجتان شائهتان ، وعينان صغيرتان رماديتان . وكان ثمة جرح خبيث على طرف فمها جعل من إحدى شفتيها وزاوية أنفها عجينة كريهة . لم يكن جرحاً ولادياً ، بل كان

جرح سكين قديماً . كانت العجوز ـ ببشرة وجهها المتغضنة القذرة ، وجمجمتها الشائهة ، وشكلها المخمور ، ويديها ورجليها الصغيرة القهوائية ـ تشبه المتبقية الوحيدة من طاعون زمان فتح علي شاه .

تفحصتني عينا كلثوم سلطان . تذكرت كلام الدكتور راسخ إذ قال إن امرأة ريفية عذبة اللسان كانت تطبخ لسياوش وفرّخ في بستان كرج . سألتها :

ـ « كيف حالك ، يا كلثوم سلطان ؟ » .

فحدقت صامتة مرة أخرى في عيني ، كما لو كنت سفير عزرائيل عالم لقيتْ منه أشد العناء . أخرجت من جيبي ورقتين من فئة خمسين توماناً ومددتهما نحوها . لم تأخذ المال . قلت :

ـ « يا كلثوم سلطان ، لا تخافي . لم أجيء إلا كي أستمد منك العون من أجل خسرو ، إبن سياوش خان » .

بقيت تحدق في عيني . تقدم الشحاذ السمين ، وقال :

ـ « يا كلثوم سلطان ، إعقلي ، أنظري ماذا يريد السيد المهندس فافعليه له . فيه ثواب » . وقلت :

ـ « يا كلثوم سلطان ، إنك تعرفين خسرو ، إبن سياوش خان . كان هنا اليوم صباحاً . قبل اثنتين أو ثلاث وعشرين سنة ، في بستان كرج ، كنت تشتغلين عندهم... أريد أن أسألك بضعة أسئلة . هاك ، خذي هذا المال ، إنه لا شيء . اشترِ لك به شادر(٧٤) صلاة » .

حدقت كلثوم سلطان في البداية بي ذاهلة . ثم بصقت في يدي ونقودي . بصقة ملأى تماماً . ارتحت لها . وانتثر مع تفالها في يدي بعض بقايا الخبز والحلاوة الطحينية أيضاً . فقال الشحاذ السمين :

ـ « أيْ آكلة الحرام ، ما هذا الذي تفعلين ؟ » . ثم التفت نحوي يقول : « ولكنها لا يمكنها أن تجيب عليك . إنها عاجزة . تفهم كل

شيء ، ولكن لا يمكنها أن تجيب» . فسألته :

ـ «لم لا تستطيع أن تجيب ؟» .

ـ « أ... هذه المسكينة لا لسان لها » .

عندما قال الشحاذ السمين «هذه المسكينة لا لسان لها » لم يخطر على بالي في البدء ـ إلى أمد ـ أن كلثوم سلطان لم يكن في فمها لسان بالمعنى الواقعي للكلمة . قلت إنها لا بد قد أصيبت بالخرس على إثر نوع من الأمراض . أخرجت ورقة خمسين أخرى من جيبي ووضعتها في زاوية رف كلثوم . كنت على وشك الإنصراف وإذا بها تُخرج من فمها أصواتاً بصراخ وتلعثم . لا بد أنها كانت تسبني بإقذاع . التفت ونظرت ، فرأيت داخل فمها . فيما كانت تخرج الأصوات المتلعثمة تقدمت ورحت أنظر بدقة اكبر . في مغارة فمها ، بدلاً من اللسان ، بقي نصف شريط من عضلة نحيلة ، مثل حبل سرة مقطوع صغير أصابه التهاب ، فتورم وتقيح .

فهمت . خرجت .

تحت المطر ، سألت الشحاذ السمين :

ـ «أيعلم أحد ما جرى للسانها ؟» . فقال :

ـ « منذ أن وجدت هنا لم يكن لها لسان» .

ـ «منذ متى هي هنا ؟» .

ـ «منذ زمن طويل . يمكن أن يكون منذ عشرين سنة . وربما أكثر أيضاً...» .

ـ «ألم يفهم أحد من قطع لسانها ؟» .

ـ «لا واللّه . منذ أن جاءت ، يعني منذ أن جاؤوا بها ، كانت بهذا الشكل» .

ـ «من الذي جاء بها الى هنا ؟» .

ـ «والله ليس معلوماً . في البداية ـ الى ما قبل سبع أو ثماني سنوات ـ كانت مطروحة هنا في زاوية ما . وتنام في زاوية الزقاق هذا . ولم تكن تذهب الى أي مكان . لم تكن تعرف أي مكان . كان واضحاً أن احدهم جاء بها الى هنا ، طرحها هنا ، وراح . ثم إن الحاج السيد الشيخ مرتضى النجفي ، يرحمه الله ، إمام هذا المسجد جاء بها فأناط بها شغل تنظيف المراحيض» . فسألته :

ـ « كيف فهمتم أن اسمها كلثوم سلطان ؟ » .

ـ «فهمنا فيما بعد... بعد عدة سنوات إذ تحسن حالها ، كانت تنطلق أحياناً على مهل فتذهب الى بيوت أشخاص كانت تعرفهم من قبل . يبدو أنها كانت تخدم في بيت عائلة مهمة شمالي طهران... ومن هناك يأتي أحياناً واحد أو اثنان فيجلبون لها نذراً أو ما أشبه» . سألته :

ـ «ألم يُعرف أبداً من الذي أصابها بالأذى ؟» . فقال الشحاذ السمين :

ـ «لا والله . لا لسان عندها لتقول . وقد أخافوها الى حد أنها حتى لو كان عندها لسان لم تكن لتسقسق» .

خرجنا من المسجد . كانت عربة خسرو نارية اللون لا تزال مثل طالع كلثوم سلطان المطيّن وسط الوحل والنكبة . مرة أخرى تقدم صبي الميكانيكي ، وقال :

ـ « يجب أن نرفعها» . ومد المفتاح نحوي . فقلت :

ـ « ليبق عندك » . فقال :

ـ «بابا ، نريد أن نغلق المحل فنذهب . ولكن إن كنت تريد فبإمكاني أن أرفعها لك» . فقلت :

ـ «لا وقت حالياً . لتبق . راقبها أنت» . فرفع أنفه الى أعلى ، وهز رأسه ، ثم قال :

ـ «دفع اللّه البلاء . أوقع حادث لصاحبها ؟» . فقلت :

ـ «تنصلح» . قال :

ـ «كان مضطرباً جداً» . وكان هو أيضاً فتى دافئاً . كنت ازداد ارتياحاً له . قلت :

ـ «كانت ليلة أمسٰ ليلة عرسه ، فتلخبطت . إنه في ورطة ما» . فقال :

ـ «المخلص حاضر للخدمة . إسمي محمد» . قلت :

ـ «متشكر ، يا محمد آقا . أنت واللّه رجل» . رجوته أن يراقب السيارة ، حتى أعود بعد ساعة أو أثنتين . أوضحت له أن سيارتي أنا في رأس الشارع ، واقفة في مكان غير مناسب وينبغي أن أنقلها . ولكن محمد كان أكثر تفهماً من ذلك . إن الناس من نوع محمد جاهزون على الدوام للمساعدة والوقوع في المشاكل بلا تردد وبلا سبب . اقترح ـ إن كنت أريد وإن سمحت ـ أن يجلب السيارة هو نفسه . شكرته كثيراً . قلت إنني أحتاج الى مساعد . تركت السيارة تبقى عنده ، وأعطيته اثنتين من ذوات الخمسين لكي يساعد ـ بعد تعطيله ـ على رفع السيارة وجلبها الى شارع تكش على عنواني ، وإن لم أكن موجوداً فليسلمها لأختي . قبل محمد هذه المهمة بسرور وفخر . أعطيته عنوان منزل فرنگيس . ثم سألته :

ـ «يا محمد آقا ، قلت إن صاحب السيارة ذهب على عجل... ؟» .

ـ«نعم ، عندما علقت سيارته تركها ، أصلاً . ثم جاء الى مقابل دكاننا ، كانت سيارة أجرة أخي مقابل الدكان . كان أخي يتناول إفطاره . جاء قريبك وقال إنه يعطي عشرين مقابل إيصاله إلى

(شمرون)[٧٥] .

ـ «أي قسم من شمرون ؟ (نياورون)[٧٦] ؟» .

ـ «نعم ، نياورون» .

ـ «ونقله اخوك ؟» .

ـ «نعم ، نقله أخي» .

ـ «متشكر ، يا ممد آقا خان الفتى . عشت . إذن فستجلب السيارة الى العنوان الذي أعطيتك.. بيت عروسه» . فقال محمد :

ـ «لا تحمل هماً ، أيها السيد المهندس . بعد ساعتين ستكون السيارة هناك . أوساكريم[٧٧] يهدّ الأمور» . فقلت :

ـ «في أمان الله حالياً ، يا ممد آقا» .

ـ «يا حق» .

صافحته وسجلت اسم دكان الميكانيكي وعنوانه في زاوية ما بذهني ، وبعد التوقيع عدت الى أول الشارع .

كان المساء قد حل . جئت وسط طين ووحل زقاق الحاج رضا معزز أبحث عن پيكان فرنگيس ، عند زاوية شارع كشتارگاه . كان المطر ما يزال يصب ، وفيما كنت أتقدم كان صوت طرطشة ينبعث حاداً من حذائي فيلتف في أذني .كنت أمشي على كوكب مجهول أصيبَ بالدوار فاختل فيه تعادل الحق والعشق . عند رأس الشارع ، كانت سيارة باص صغيرة من خط سير مشهد ـ گرگان قد التصقت بمقدمة پيكان فرنگيس بحيث جعلت حركتها مستحيلة . على الزجاجة الخلفية للباص كان ثمة پوستر ملون للصحن المطهر[٧٨] . وعند الزاويتين السفليتين اليسرى واليمنى للزجاجة ، في إحداهما پوستر صغير لأرنب من فيلم الكارتون الأميركي (باگز باني) ، وفي الثانية

پوستر طفل صغير عار وهو يفعل ما يفعله الأطفال . وعند الزاويتين اليسرى واليمنى من الأعلى كان مكتوباً عند واحدة (بحثت فلم أجد) ، وعند الأخرى (لا تبحث فليس موجوداً) . كان ساقي المجبّر اللعين يصوّت من الألم ، ولكنني جلست زمناً وراء مقود الـ «پيكان» أضحك . وفيما بعد ، سحبت السيارة الى الخارج بنحو من الأنحاء ، وواصلت الحركة تحت المطر .

- 11 -

عدت نحو الشمال مرة أخرى ، من ميدان الإعدام فشارع الخيام ومفترق گلو بندك - وكأنني خذروف . كانت الكهرباء في هذا القسم من المدينة مقطوعة ، وكان ازدحام السيارات يجعلها تتوقف عمليا ، قطيعا عند كل مفترق طريق ، والناس منزعجين . كانت وجوه الناس من آلاف مؤلفة من السيارات الصغيرة والكبيرة قلقة يائسة ، كما لو أن السيارات عدوة الدين والدولة ، سرقت الناس وسمرتهم في داخلها وراحت تدق السفافيد في أقدامهم .

كان راديو إذاعة طهران يبث أغاني إيرانية من إحدى محطاته بإلحاح كأنه يبثها لنفسه ، وثمة محطة أميركية تبث نكتاً وموسيقى روك لـ «القوات الأميركية» . وكانت محطة أخرى لإذاعة إيران تبث أخباراً فيها نبأ عن حضور الشاهنشاه في المعرض الثالث عشر للتكنولوجيا الحديثة الذي تشترك فيه ثلاث عشرة دولة ، ونبأ آخر عن افتتاح المؤتمر الثالث الكبير لعمال إيران ببيان الشاهنشاه ، الذي ألقاه السيد علم وزير البلاط الشاهنشاهي وحضور جناب السيد أمير عباس هويدا رئيس الوزراء في ملعب آريامهر الرياضي الكبير في طهران . وكان مقرراً أن يصل نلسون روكفلر الى طهران ضيفاً عالي الشأن على

الشاهنشاه آريامهر . وضمن ذلك ، في اشتباك مسلح في شارع أميرية بطهران بين « مأموري الأمن » والعناصر الإرهابية المخربة المدعوة « مجاهدين » ، قتل أربعة من الإرهابيين وجرح أحد أفراد قوات الأمن ، ليست حاله شديدة الخطر .

لم تكن حالتي أنا أيضاً وراء مقود الـ (پيكان) قليلة الوخامة . كنت متعباً عطشاً . وكانت پيكاني أيضاً تريد بنزيناً . صرت وپيكان فرنگيس الآن ، في هذه الأثناء ، شقيقين وروحاً واحدة في جسدين ، صميمية عشق أصيلة . كانت إحدى يدي حول عنق المقود والأخرى على مكوّرة ذراع التروس ، وجسدي في حضن المقعد الأمامي ، وقدمي على مدوسة البنزين والكابح ، وكنا معاً في سواد المرور غير المنساب تتقدم من مفترق گلوبندك وباب همايون وميدان توپخانه نحو شارع فردوسي ، بسرعة كسرعة ريشة ضالة تتحرك في تراب أسود .

بعد الصعود من ميدان فردوسي ، صببت خمسة وثلاثين ليتر سوپر - من محطة البنزين الكائنة عند رأس شارع فردوسي - في خزان وقود الپيكان ، كما تفحصت ماءها ودهنها . هنا كانت الكهرباء موجودة . وأعلى من ذلك أوقفت السيارة وأقفلتها ، وجئت متوكئاً على العصا الى محل بيع أغذية ذي اعتبار نوعا ما ، وصببت نحو ربع كيلو غرام من المحروقات أيضاً في المحرك داخليّ الاحتراق لحركة جلال آريان . اتكأت بضع دقائق على الكرسي ، وأشعلت سيجارة . كان كتاب الغريب لكامو وحياة مورسو في جيبي . أخرجته . فتحت الصفحة التي كانت مثنية عند حاشيتها . كان ذلك عندما يتعرف مورسو حديثاً على ريمون ، جاره . ولريمون مشاكل مع فتاة عربية . ولكن رأسي كان دائخاً فلم أستطع أن أقرأ كلمة واحدة . طويت الكتاب ووضعته في جيبي .

نهضت ، وتلفنت من تلفون المسيو الى فرنگيس . لم يكن ثمة خبر عن خسرو بعد . كان خسرو لا يزال يتعقب الحقيقة . وأنا أيضاً

وراءه بسبع أو ثماني ساعات تأخير ، في مسابقة عدو كلاب ذات مراحل ، أو عدو پيكانات ذات مراحل .

كان الوقت أول الليل عندما أتيت الى شارع كريم خان ، بعد الجادة القديمة الى تجريش ومن هناك الى نياوران فشارع الغرب . لا بد أن سكنة هذه البيوت لا يعلمون أن جوادية وزقاق الحاج الشيخ معزز موجودة أصلاً . أو أن الكهرباء مقطوعة ما بين ميدان الإعدام ومفترق گلوبندك . فالكهرباء لم تكن تنقطع في ذلك العهد عن شمال المدينة .

كانت الساعة في حدود التاسعة عندما عثرت على منزل زوجة السناتور الدكتور السيد فخر الدين إيمان تحت المطر . كان منزلاً مستقلاً كبيراً ، جدرانه من خرسانة كهرمانية اللون وغصون من المتسلقات والياس . كان ثمة بابان كبيران لا بد أن كل واحد منهما لدخول وخروج السيارات . فوق جرس كل باب كان يقوم إطار صغير مطبوع عليه اسم « منوّر زند والا » ، وبين قوسين « إيمان » ، باللغتين الفارسية والإنكليزية . ضغطت زر جرس أحد البابين ، وبعد نصف دقيقة تقريباً هبت على وجهي أمواج فاتح الباب الكهربائي ، صوت رجل أولاً ، ثم صوت امرأة . طُرحت عليّ اسئلة ، فقدمت نفسي وأبلغت أنني أريد ملاقاة السيدة الجليلة إيمان بخصوص خسرو . صرخت الأمواج الكهربائية في وجهي أن أتفضل بالانتظار حتى يأتي شخص ليفتح الباب .

بعد نصف أبدية ، قضيتها تحت المطر اللجوج السمج ، جاء أحدهم أخيراً ففتح الباب ، وفي البداية أبقى نفسه تحت مظلة في الظلام . تفحصني من فوق الباب ، ثم ظهر قليلاً قليلاً . كان عجوزاً طويل القامة جداً يشبه بالضبط عموداً كهربائياً ، له وجه أسمر حاد طويل إيراني ، وبشرة جافة متغضنة مترهلة ، وشارب ولحية أبيضان ، ولكن هيأته هيأة خدَم ، ببدلته الزرقاء الداكنة المخططة وصديرية وغياب ربطة العنق . تفحصتني عيناه الصغيرتان بعبوس وشك . ودعاني مكرهاً . كان له

صوت كأصوات حكواتية مقاهي شيراز . وكان شعره الأبيض يلمع تحت ضوء مصباح النيون . قال :

- « تفضلت بالقول إنك من عائلة عروس خسرو خان... ألديكم أمر ؟ » . فقلت :

- « نعم » . ثم قلت رجماً بالغيب :

- « أنت السيد محمد كوه گرد ، صحيح ؟ » . فقال :

- « المخلص لكم » . وراح يحدق بي وكأنني ألقيت عليه تهمة أكبر من خطيئة كفر إبليس . قال :

- « العبد للّه خدمت هذه العائلة مدة خمسين سنة » . كانت عنده بقايا لهجة لرية ـ شيرازية غليظة ، ولكنه كان يسعى للسيطرة عليها .

- « ما كان أمر جنابكم العالي ؟ » .

- « سمعت ذكر خيرك كثيراً » .

تموّجت بسمة داخل غضون وجهه . وسأل :

- « ممن ؟ » .

- « من كثيرين . من أم خسرو ، من لي لي خانم ، من العقيد ديوان لقا ، أنا خال ثريا ، عروس خسرو خان ، التائه هنا وهناك منذ ليلة أمس . وأنا أيضاً أبحث عنه ، لكي أتمكن ربما من إخراج هذين المسكينين من الهمّ » . فقال :

- « دين العبد للّه الإخلاص للجميع » .

- « كنت أريد أن أتحدث اليك أيضاً بضع كلمات ، يا جناب كوه گرد » .

- « العبد للّه في خدمة جنابكم العالي » .

كنت أتلهف على طرح بضعة أسئلة عسيرة عليه ، فإذا بصوت يأتي من مدخل المبنى أن :

ـ «أوسامد آقا ، قل له أن يتفضل الى الداخل» . فقال السيد محمد كوه گرد الملقب بأوسامد آقا :

ـ «تفضل» .

قادني من ممشى مرصوف بالحجر بين الحدائق ، فجاء بي الى مبنى كبير من ثلاثة طوابق في الزاوية الشمالية الغربية لبستان مساحته ألفا متر أو ثلاثة آلاف . من الطرف الآخر من البستان ، وراء الحوض الكبير ، كانت ثمة أشجار سرو وفواكه . كما رأيت بناية غرفتين صغيرتين ، لها قضبان حديد أمام الشبابيك ، كانت ناشزة عن منظر البستان ، ويمكن تخمين من أجل مَن بُنيت .

كانت البناية الأصلية قصراً بديعاً من المعمار التقليدي ـ الحديث ، الإيراني ، حديث في الأكثر . صعدت وراء أوسامد آقا كوه گرد السلالم الرخامية . كانت الشرفة الرخامية نصف الدائرية مزينة بأضوية وأصص عديدة . من باب طويل أبيض اللون ذهبنا الى دهليز أبيض بيضوي . ثم دخلت البيت منَ هناك وحدي . في حين بقي أوسامد آقا كوه گرد ، مثل كلب أصيل مربّى ، في الدهليز .

كان مدخل منزل السيدة منور السلطنة إيمان كبيراً منيراً ـ مع تأكيد على اللوَن الأبيض ، والأزرق الملكي . وكان نور النُجفَ يملأ الغرفة الفخمة . وكانت ستائر من المخمل الأزرق الأيطالي ، مع مشبك حريري كالثلج ، مدلاة أمام النوافذ الهلالية . والكراسي والمناضد ، المصنوعة من خشب الجوز والعاج ، تلمع كالبرق . وكانت وجوه الأثاث من الجلد والمراكشي الرمادي البراق ، وسجاجيد الأرض فيروزية مشعة بنقوش البساتين ومجالس الشراب . وكانت الرفوف ، ذات اللون الفيلي المائل الى الأزرق الفرنسي ، تتلألأ بالعتيقات والكؤوس وأواني الشراب البلورية . حتى رائحة نظافة عطرة وغالية كانت تتماوج في أوكسجين

الهواء المرغوب . وكان على الجدار تصوير بالحجم الكامل للسناتور الدكتور السيد فخر الدين إيمان ،في ملابس السلام الرسمية ، مؤطراً بإطار شغل الخاتم(٧٩) ، وفوق نقوش الجص على الموقد ، كانت ثمة لوحة كبيرة جداً لسياوش في إطار ذهبي . سياوش في قميص أبيض بسيط ، يلقي نظرة أليمة مترحمة الى أمام . بعد أربع وعشرين سنة من وفاته ، كان حضوره يصرخ في المنزل .

أبقتني السيدة منوّر السلطنة إيمان (زَنْد والا) أنتظر بضع دقائق ـ الأمر الذي هو لا بد من عادات الأشراف . أو يحتمل أنها كانت تتلقى تقريراً من أوسامد آقا . ثم دخلت من باب انتهاء المدخل ، بعصا أنيقة ومرصعة . أخفيت عصاي وراء كرسيٍّ ، كي لا تكون موجباً لحديث . كانت إمرأة في حدود الستين او الخامسة.والستين ، سمراء داكنة ، ضخمة التقاطيع ، طويلة الوجه والأنف ، لها عينان بنيّتان شريفتان وشعر طويل أسود وحنائي مفروق من الوسط ، وتحوي مواد وجهها غضوناً تجعلها تبدو صورة مزينة لحفيدة كريم خان زند(٨٠) . كانت العجوز ترتدي ثوباً أسود طويلاً فضفاضاً ، مزيناً بتور وردي منتفخ الى تحت الحنجرة وحاشيتي كميّن لا بد أنهما يتناسبان مع العصا السوداء والأزرار المموهة بالذهب . كانت هي أيضاً مثلي تعرج على قدم واحدة . كان بدنها ضعيفاً مرتعشاً ، وتروي يداها العظميّتان ، ذاتا الخواتم الماسية والزمردية والعروق المنتفخة ، حكاية شيخوخة وعجز مبكرين . وكان في عينيها السوداوين والصغيرتين نوع من البساطة الطفولية .

فهمت فيما بعد أنها كانت الإبنة الوحيدة للأمير أحمد زند ، كبير شيراز . في أواسط سلطنة رضا شاه كان الدكتور سيد فخر الدين إيمان قد صار نائب محافظ فارس ، ولمقتضياتٍ ما أعطى الأمير زند والا ابنته للنائب الجديد . إن مقتضياتهما في عنقيهما ، ولكنني الليلة ـ إذ تقدمت العجوز منور السلطنة زند والا متكئة على العصا ومرتعشة ـ إذ رحت أجسمها على جهاز عرض دماغي قبل أربعين سنة ونيف في

شيراز ، لم أستطع أن اتصورها لقمة شهية .

تفحصتني العجوز بعينين صغيرتين ، وردت على سلامي بصوت مزدوج الجنس ، وقدمت نفسي وشرحت سبب حضوري ومزاحمتي . صافحتني ، فوجدت يديها مثل رجلي دجاجة (دانير)[٨١] مثلجة .

قالت أرملة الدكتور السناتور إيمان العجوز :

ـ «كان التلفزيون يقدم موسيقى إيرانية ، جيدة العزف . تذكرت تأليفاً لعارف غنته (روح انگيز) . كانت اسطوانته عندنا ، أنا والدكتور . في تلك الأيام كنا نسمع أسطوانته على الحاكي النمساوي :

(ايها الساقي ، من باب الوفاء

لا تكن ، على المولِه بك ، شديد الجفاء

فالسلطان ، من لطفه ،

يترحم على الشحاذ)» . حدقت اليها ، وهي تقرأ بأسى وتهز عصاها أيضاً . قالت :

ـ «عندما كان ابني سياوش في السنة الأولى من عمره كنت أقرأ هذا عند مهده... (لا تكن على المولِه بك شديد الجفاء ، شديد الجفاء)» . وجلست ، فجلست أنا أيضاً . ألقت نظرة على لوحة سياوش ، ثم نظرت الي ، وقالت :

ـ «ماذا جرى كي تبحث عن هذا الطفل ؟» . كانت عندها لهجة شيرازية جيدة ، ولكن كان للفظ «هذا الطفل» جذر تحقير ونفور . سألتها :

ـ «أي طفل تقصدين ؟» .

ـ «طفل فرخ ، حفيدة لي لي» . لفظت اسم لي لي خاصة على نحو وكأنها كانت تتحدث عن ألم مسمار أصبع مزمن . فسألتها :

ـ «ألا تعلمين بما جرى ؟» . فقالت متشكية :

ـ «أنا بحالي ومرضي هذين لا أخرج من البيت إلا نادراً . أنا عجوز يا سيد ، لا علاقة لي بدنياكم أنتم الشبان . طبيعي أنني لا أقصد جسارة على شخصك بالذات ، والله . ولكن قصدي شباب اليوم وجيل اليوم المنفلت» .

ـ «أنا لا أنزعج» .

ـ «ممنونة . يا سيد . ليوفقك الله . أية مساعدة يمكن أن أقدم ؟» . لم تعد لها الآن حالة الكبر والعظمة . قلت :

ـ «سيدتي ، إن قصدي من المجيء وإزعاجك هو أن نقدم مساعدة لخسرو...» .

ـ «حسناً ، تفضل لأرى ما جرى ؟» .

ـ «ألم يكن خسرو هنا اليوم ؟» . فقالت :

ـ «سمعت أنه كان هنا قبل الظهر . لم أكن في البيت . كنت قد وضعت إحدى رجليّ خارج البيت ، ذهبت الى المحضر من أجل معاملة بضعة بيوت . تحدث اليه أوسامد آقا فذهب . ماذا حدث أصلاً ؟» .

رويت لها واقعة حفل العرس باختصار ، استمعت السيدة إيمان بعينين مفتوحتين شاكّتين في كل شيء ، في حين كان رأسها مائلاً الى طرف . وطبيعي أنها لم تصدق حرفاً واحداً مما قلت . وفي الأخير هزت رأسها بنفي محكم . قالت :

ـ «لا ، أبداً! هذا اشتباه . إن شهروز لا يخرج من البيت قط . إن كل هذه الأحداث التي رووها لك تلفيقات ومبالغات» . فقلت :

ـ «إن كل هذه الأحداث ، يا سيدتي ، حقيقة محض» . فقالت :

ـ «إن طفلي لا يخرج من البيت . يعني إنه ليس مجازاً له . ولم

يخرج! أوسامد آقا لم يفعل شيئاً كهذا ، وإذا فعل ، يعني إن يفعل ، فبالقرآن المجيد لأضربنه على عجيزته ضرباً يجعله يذهب الى بروجن ركضاً » .

كانت قد انفعلت ، ورأيت أنها تعود الى أصلها ونسبها ولهجتها الأصلية . كان معلوماً من غضبها أنها لا تعلم شيئاً عن أحداث ليلة أمس حقاً . فقلت :

ـ « يا سيدتي ، أيمكن أن تنادي على السيد كوه گرد ليأتي هنا دقيقة ؟ » . فقالت :

ـ « طلب أوسامد آقا عند وصولك إجازة ليذهب الى منزله ، وذهب » .

ـ « ذهب ؟ » . جاء دوري أنا الآن لأصير عصبياً .

ـ « كنت قد طلبت منه أن يذهب ليشتري لي دواء فأخذ الوصفة ، وقد طلب الآن إجازة فسمحت له بالذهاب الى بيته . عنده ضيف » .

ـ « هل ذهب الآن بالتأكيد ؟... يمكن أن يكون لا يزال عند الباب ؟ » ، ونهضت . فقالت العجوز :

ـ « ها! ذهب . إن للمسكين بيته وحياته » .

دخل خادم وقور صالة البيت ، يحمل شاياً في فناجين على صحون موضوعة في صينية فضة من صنع أصفهان . مد الصينية نحوي .

سألت السيدة العجوز الخادم الوقور :

ـ « يا عبد الله خان ، أذهب أوسامد آقا ؟ » .

ـ « نعم ، يا خانوم . ذهب قبل دقيقتين أو ثلاث » .

كنت أفكر في أوسامد آقا الذي جمع بساطه ورحل . كنت جالساً على وشك أن أرفع طبق الفنجان ، فاذا بالعجوز تصرخ :

ـ « ولَّ يا عبد اللّه خان! ما هذا الشاي الخفيف الذي جلبته للضيف ؟ كلعاب الموتى! أعده ليأخذه الموت! » .

سحب الخادم الصينية من تحت يدي وانصرف متراجعاً بتعظيم وحنق . وقالت العجوز بشرود :

ـ « أذهب أوسامد آقا ؟ » .

ـ « نعم ، ذهب ، يا خانوم . ذهب بفولكسه[٨٢] » .

ـ « إذهب فأعدّ فنجاني شاي ثقيل مليء المحتوى وهاتهما . أما هذين فاسكبهما صدقة عنك» .

ـ « على عيني ، يا خانوم » .

كنت أحدق في عيني سياوش في اللوحة ، اللتين كانتا تبدوان وكأنهما تصرخان بين الإطار المعمول بالخاتم واللون والمكان . وضعت يدي على ركبتي ، وقلت :

ـ « سيدتي ، إذن فأنت لم تري خسرو ، ولا يمكن أن تعلمي أين يمكن أن يكون ، فلذلك لا أريد أن أزاحمك أكثر » . فسعلت العجوز ، وقالت :

ـ « العبدة للّه ، واللّه ، لا تعلم روحي عن هذا الطفل ، واللّه بالقرآن المجيد . أنا لا أعرف أصلاً مَن هذا الطفل وأين هو وماذا يفعل ؟ » .

كانت تتكلم عن « هذا الطفل » وكأنها تتكلم عن طفل عفريت . ثم قالت :

ـ « إنه يأتي هنا أحياناً . يعتبرني جدته .طبيعي أنه محب . وقد جلب خطيبته أيضاً مرة أو مرتين . ولكنني أحاول منذ سنوات أن أنسى هذا الطفل وذاك البلاء والمصيبة القديمين » . ومرة أخرى نظرت الى صورة سياوش . فقلت :

ـ «سمعت فقط أن خسرو قد تمرد وذهب يبحث عن حقيقة ما جرى لأبيه سياوش...» .

فقالت بمرارة :

ـ «أبيه سياوش ؟» .

ـ «نعم» . نكست العجوز رأسها ودقت عصاها على السجادة . ثم قالت :

ـ «يا حضرة المهندس ، لا يمكن قول كل شيء ، وأنا لا أريد الليلة أن أصيب ، دفعة واحدة ، ذوقك المبارك بالغثيان» . فرفعت يدي عن ركبتي ، واتكأت على الكنبة ، وقلت :

ـ «أرجوك ألا تسكتي» . فقالت :

ـ «إذا قلت الحق والواقع فستقع فضيحة واللّه بالقرآن» . فقلت :

ـ «لقد جئت الى هنا على أمل سماع ذلك بالضبط . أرجوك ، كل ما هناك قوليه رجاءاً...» .

هزت العجوز رأسها ، لم أفهم إن كانت حزينة على حالي وعائلتي أم على حالها هي . قالت :

ـ «الحق والواقع أن يدي ليس فيها ملحاً ، يا سيد . تلك الذليلة لي لي ربيتها في بيتي منذ سن الخامسة أو السادسة ، فصارت سبباً لفناء ولدي العزيز... فأرجو من اللّه ، ما بقيت الدنيا دنيا ، أن يدفعوا القصاص عنه» .

ـ «هل تعنين لي لي خانم وفا ؟» .

ـ «نعم ـ لي لي خانم» . فسألتها :

ـ «وما تقصير لي لي خانم ؟» . فقالت :

ـ «كل التقصير في أعناقهم ، لأنهم بشعون غير ملتزمين عديمو

الإيمان متقلبون عديمو المبادىء » .

بقيت أنتظر أن تتم كلامها ، فقالت :

ـ « إنهم أفنوا طفلي ، الذي كان أعز حتى من حدقة عيني وعين أبيه ، وأهلكوه » . فقلت :

ـ « سمعت عن سياوش خان » . فقالت :

ـ « لا ، سمعت كذباً . كائناً من كان القائل فقد سمعت كذباً » . فسألتها :

ـ « ما كانت حقيقته ؟ » . حدقت في بؤبؤي ، وقالت :

ـ « إن كنت تريد أن تعرف فدعني أوضح . لقد أخذ سياوش فرخ ، ابنة لي لي الحامل تلك ، كي ينقذ سمعتهم ولو بقيمة فنائه هو » .

ـ « فنائه ؟ يعني أنهم صاروا باعث موته ؟ » .

ـ « ها . صاروا باعث موت سياوش » .

ـ « أثمة دليل وبرهان ؟ » . فقالت :

ـ « الأم تعرف هذه الأمور » ووضعت يدها على صدرها الجاف ، فوق الجانب الأيسر من بدنها . فقلت :

ـ « أيمكن أن توضحي ؟ » . قالت :

ـ « عندي عين فأرى . عندي أذن فأسمع . كان سياوش ولدي وفلذة كبدي . منذ اليوم الذي خرج سياوش من هذا البيت الى اليوم الذي جلبوا فيه خبر موته ، كنت والدكتور على إطلاع تام على أحواله أولاً بأول » .

ـ « عن طريق أوسامد آقا ؟ » .

ـ «عن طريق أوسامد آقا ، وعن طريق ولدي أمير ، وعن طريق أصدقاء آخرين» .

ـ «سيدتي ، أيمكن أن أسأل لماذا خرج سياوش سنة ١٣٣١ من هذا المنزل وأقام في بستان كرج ؟» .

رفعت أرملة السناتور رأسها ، وحدقت في لوحة ابنها . مرة أخرى اكتنف موج من السم روحها لتذكر الماضي . قالت :

ـ «هذه اللوحة ، قبل بضع سنوات أعطيت الاستاذ (شيفته) ثلاثة آلاف تومان فرسمها عن تصوير لسياوش . وقيمة إطارها ثلاثون ألف تومان . شغل خاتم أصفهاني موصى به . إن عينيه تتحدثان الى الرائي» .

إن كل فكرها وذكرها ، وتمام ذرات هواء المنزل ، تدور حول محور سياوش وحول محور المال . كما لو أن سياوش قد خرج هذا الصباح بالذات من المنزل فتسبب في خسارة ستين ألف . وكنت أفكر إن كانت تعرف روحَ ابنها ومُثُله ؟ قلت :

ـ «كنت تتفضلين بالقول...» . فقالت :

ـ «كان سياوش طفلي العزيز المدلل . يوم أن ترك هذا المنزل كان عمره واحدة وعشرين أو اثنتين وعشرين سنة . تعلم أن تلك السنة كانت سنة مصدق ، كان الناس قد اختلت حواسهم وصاروا مجانين . في كل يوم تظاهرات ، في كل يوم هرج ومرج ، وكانت الدنيا صيفاً أيضاً . كان الشاه يريد أن يرحل . الشيوعيون يحدثون اضطرابات . كان طفلي متأثراً . كان خاماً وساذجاً . خدعوه . كنت والدكتور قد وضعنا كل شيء تحت تصرفه . سجلنا أرضاً باسمه . سجلنا بيتاً باسمه وأجرناه لحسابه . فتحنا له حساباً في سويسرا ، فكان يأخذ عنه فائدة . وهنا كان يدرس في كلية طب طهران بشكل معقول...كل شيء... كان مستقبله صافياً كالمرآة . ولكنه قام فجأة ذات صباح فزعل ورحل» .

ـ «ماذا حصل فرحل ؟... أكان سببه المعتقدات السياسية ؟ أم مسائل عائلية ؟ كيف رحل ؟» .

ـ «لا شيء ، بالقرآن لا شيء . سذاجة وطفولة . كنا نشرب الشاي . كنت أتحدث والدكتور عن بيت وأرض باسم شهروز . أصلاً كنا نتحدث فيما بيننا . أصلاً لم نحدث سياوش . ولكنه نهض فجأة فزعل . ألقى على أبيه نظرة ، وألقى عليّ نظرة . قال لنا : ليست هذه التي تحيونها هنا حياة . وخرج من الباب ، خرج وكان خروجاً . عضّة للسائس ، ورفسة بسقف الطويلة . ولم يعد بعدها» . فسألتها :

ـ «لماذا ؟ ما كانت عقدته ؟ ما كان سببه ؟» .

ـ «ماذا أقول باللّه! أصدقاء السوء وبعض ناس الطبقة الدنيا ، خدعوه . وأولاد هذه اللي لي بنت الـ... أستغفر اللّه... لا أريد أن أفتح فمي . نحن أيضاً من هؤلاء الناس . نحن أيضاً مسلمون . لسنا حميراً لا نفهم . كان ابني في دنياه الخام الساذجة مجذوباً على نحو ما بعشق روحي لقذارة المجتمع ـ يعني أفراد الطبقة الدنيا . كما يقول الدكتور ، إن الفرنسيين وضعوا لتلك الحالة اسماً ، اسموها ـ لا أدري ـ تحملّ هموم جماهير الناس أوتحملّ تعاسة البشر . كان سياوش يريد أن يقرن نفسه بحياة الطبقة الإيرانية المفلوكة المتألمة . كان يقوم بكل شيء لأفراد الطبقة الدنيا . كان طفلي عاشق أناس هذه البلاد . كان يريد أن يصير شاعر الشعب المسكين . كان يقول إنه يريد ـ لا أدري ـ أن يتكلم عن العشق والحق . وعن هذا النوع من اللا طائلات» .

سألتها :

ـ «عندما كان سياوش في بستان كرج ، كان أكثر اتصالك به عن طريق أوسامد آقا ، صحيح ؟» .

ـ «نعم ، ماذا أفعل ؟ كان فلذة كبدي... الدكتور كان يقول : لا تذكروا اسمه . لم يعد يساوي بالنسبة له قطعة واحدة من ذات اا ـرش

الواحد . ولكن أكان ذلك بمقدوري ؟ أرسلت هذه الكلثوم سلطان ، التي هي ابنة نفس مدينة أوسامد آقا ، إلى هناك لكي تؤدي له أعماله . وفي بعض الأحيان كنت أرسل بعض التومانات لطفلي دون أن يفهم الدكتور . لم أكن أريد أن يقضي ابني جوعاً . كان مسروراً هناك لمدة معقولة . ولكن ناكري الجميل الأذلاء أولئك استغلوا شباب طفلي وسذاجته . ثم اتحدوا وقبضوا روحه » .

ـ « قبضوا روحه ؟ » .

ـ «لقد مات سياوشي ، يا سيدي المهندس . ألم يمت ؟» .

ـ «سمعت أن جثته لم يعثروا عليها أبداً » .

ـ « أي أيها السيد ، ماذا تدري مما تحملنا بشأن جثة سياوش » ، وراحت تنظر من النافذة الى الظلمة والمطر في الخارج كما لو كانت لا تزال تبحث في السواد والمطر عن الجثة . إن المطر الذي هطل طوال العصر كان لا يزال مثل جذام عتيق ينصب فوق البستان . وهزت السيدة منور السلطنة رأسها ، ثم قالت :

ـ « بحثوا عن جثته ثلاثة أيام بلياليها . وبعدئذ أمر الدكتور بنفسه شبيه الرجال صاحب منزل لي لي ذاك أن لا يعودوا يذكروا الموضوع... إذ كان كل التقصير في عنق ابن المحروق ذاك نفسه ، ليتها كُسرت» .

ـ «ديوان لقا ؟ » .

ـ «ذاك الذي كان يريد فرخ لي لي ، والذي كانت بينه وبينها تلك الفضيحة . ولكن أبا فرخ ، أحمد وفا السكير عديم القابلية ذاك ، كان غير موافق على زواجهما » .

ـ « أية فضيحة ؟ » .

لدى سماع هذا السؤال أطلقت الأرملة العجوز لسناتور إيمان «هوم» من حلقومها وصدرها . في الحقيقة ، اهتز كل بطنها وصدرها

لوقع «هوم» هذه ثم سكتت . لفتت رأسها وأخذت تستمع الى صوت الرعد والبرق والمطر السمج . ثم قالت :

ـ «اسمح للعبدة للّه أن تعرض في خدمتك أمراً . صحيح أننا في الظاهر لا أباليين دينياً ولا نصلي صلاة صحيحة ، ولكننا لسنا عديمي الأصالة والجذور . إن عائلتي هي عائلة (زند والا) الشيرازية ، إحدى أكثر عوائل شيراز ، بل هذه البلاد ، أصالة . لم يكن سياوش ولداً ممن يلقون نظرة سوء على دجاجة في البر أو سمكة في البحر . فكيف يتحرش بالبنات غير المنضبطات من أقاربه غيز اللح ؟ ولا أية بنت ، وإنما ابنة أخته غير اللح ؟ طفلي ، سياوش...» . راحت العجوز الآن تبكي فجأة . كان الدمع يجري على المسحوق والأحمر فوق وجهها . انتظرت حتى مسحت دمعها برأس إصبع مرتعش ، عن عين ثم عن الأخرى ، ومسحت اصبعها بتنورتها ، كان تحرقها على نفسها يبعث على الأسى . قالت :

ـ «لم أكن قط رقيقة خرعة . صرت مؤخراً رقيقة خرعة ، يا سيدي المهندس . كان الدكتور يقول لي : أنت لست إمرأة ، بل أنت لبؤة . ولكن بعد أن مات سياوش ، لم أعد ، ولا الدكتور ، الشخصين القديمين ذاتهما . عندي ، عدا سياوش ، ثلاثة أولاد آخرين . أحدهم الآن في أميركا ، دكتور في الاقتصاد ، عنده زوجة وأطفال أميركان . وأحدهم في سويسرا ، أمير ، دكتور في علم النفس ولكنه لا يحب أن يفتح عيادة لأنه غير محتاج . كما أن عندي ابنة ، منيرة ، هي زوجة مدير عام وزارة المالية . وبالطبع ولدي المسكين هذا شهروز ، المريض ، ولو كان عندي مال لأرسلته ـ بألوهية اللّه ـ الى الخارج للعلاج . ولو كان أبوه موجوداً لفعل بالطبع . ولكن سياوش كان شيئاً آخر ، وقد راح من يدي...» . فركت يديها البارزتين إحداهما بالأخرى ، كما لو كانت تريد أن تدفئهما ، في هذه الليلة الظلماء المبتلاة بالطوفان ، بذهب وماس وياقوت خواتمها . ثم سألت :

- «أعندك أطفال ، يا سيد آريان ؟» .

- «لا...» .

- «لم ، ألم تتزوج ؟» .

- «كانت عندي زوجة ، توفيت عند وضعها طفلها الأول . قبل سنوات» . فقالت :

- «آخ ، إذن فربما تعرف كم هي تجربة مرة فقدان العزيز» . فأدرت أنا الآخر وجهي ورحت أحدق ببلاهة في السواد والمطر ، وقلت مهمهماً :

- «ربما» ، ثم نهضت . لم أعد أريد أن أتكلم . فقالت العجوز :

- «لماذا نهضت ، يا سيدي المهندس ؟» . فقلت :

- «أرجو المعذرة يا سيدتي لأنني بتجديدي الخواطر تسببت في إزعاجك . إنك لم تري خسرو ، لذا أستأذن بالانصراف» .

- «إبق مشرّفاً ، لقد أمرت بجلب الشاي» . فشكرتها .

- «شرّفنا على العشاء» . فشكرتها .

تحركتُ . طلبت منها ألا تتجشم العناء فأنا أعرف طريق الخروج .

عندما خرجت من الصالة الرئيسة والمدخل كان المطر لا يزال ينهمر . وكنت أسأل نفسي هل العثور على الحق والصدق هنا أكثر مبعثة لليأس أم في جحر كلثوم سلطان .

- ١٣ -

نزلت من الشرفة الرخامية . كان عبد الله خان ، رئيس الخدم ، قد ظهر الآن فجأة ورائي مثل عفريت . لا بدّ ليراقب ألا أسرق شيئاً من

مرمر السلالم المدلل . كان رجلاً وقوراً بين الأربعين والخمسين من عمره ، سميناً قصيراً تتدلى مسبحة من معصمه ، وعلى جبهته أثر السجود ، وعلى رأسه الأصلع غطاء رأس أسود . ظننته أولاً شيرازياً من خدم السناتور القدامى ، ولكن شكله أكثر شبهاً بصبية أطرافنا منه بالشيرازيين . جاء ورائي تحت المطر الى الباب . ولم يكن أي منا يتكلم .

في وسط البستان حرفت طريقي فجأة نحو الغرفتين الكائنتين في زاوية البستان . قلت :

ـ « يستحسن ان أسأل أحوال العزيز شهروز أيضاً . تعال يا عبد الله خان » . لم يرتح عبد الله خان قط ، ولكنه أطاع ، قال :

ـ « بابا ، هذا الحيوان نائم » .

ـ « لو كان نائماً ، فلا شيء » .

ـ « والخاتون أيضاً لا تحب » .

ـ « لا بابا . أفبيني وبين شهروز من هذا الكلام ؟... في أية ساعة عاد أوسامد آقا ليلة أمس بشهروز الى البيت ؟ » .

ألقى عليّ عبد الله خان نظرة من زاوية عينه . جاء الى الجدار يحتمي من المطر ، وقال :

ـ « من قال أن أوسامد آقا أخذ شهروز ليلة أمس الى الخارج ؟ » . فقلت :

ـ « أ... بابا ، عبد الله خان ، لا تسيء معاملتي . ولو كان أوسامد آقا قال لك ألا تقول للخانم أنه أخذ شهروز للخارج ، فأنا أعرف . أفلم يجلب أوسامد آقا شهروز الى عندنا ليلة أمس ؟ » .

ـ « ها ؟... » .

ـ «ليلة أمس ، جاء أوسامد آقا بشهروز عندنا» .

ـ «ها» .

ـ «كيف حال شهروز من ليلة أمس حتى اليوم ؟» . وانطلقت مرة أخرى نحو غرفتي آخر البستان .

قال عبد اللّه خان :

ـ «ليس حاله على ما يرام» .

ـ «لم تكن الخانم في البيت ليلة أمس ؟» .

ـ «لا ، كانت قد ذهبت الى بيت منيرة خانوم . لقد كان هناك حفل ميلاد خشايار» .

ـ «نعم ، أدري» .

ـ «الخانوم عادت متأخرة . عندما جاؤوا بالخانوم وأوصلوها ، كان أوسامد آقا قد عاد بشهروز منذ وقت طويل» .

ـ «ولم تكن حال شهروز العزيز حسنة ؟» .

ـ «ماذا أقول» ، وهز رأسه .

وصلنا الى أمام غرفتي آخر البستان . فقلت :

ـ «منذ أن غادرنا كانت حاله سيئة» . فقال عبد اللّه خان :

ـ «عندما وصلا البيت كان وضعه من السوء بحيث أمرني أوسامد آقا أن أذهب فأجلب القفل» .

ـ «القفل ؟» .

ـ «كي نقيده بالسلاسل» .

ـ «ها ـ تقيدانه بالسلاسل ؟ لا بد أنكما عانيتما الكثير أيضاً!» .

ـ «أية معاناة!» .

نظرت من زجاج النافذة . كان شهروز داخل الغرفة ، يجلس القرفصاء في زاوية على سجادة مشهدية خشنة . كان رأسه على ركبتيه فوق السلسلة . وكانت السلسلة مقفلة من يده بالباب . كان الوسخ والدم متخثرين على ظاهر كفيه ، وكان شعره الأشقر مدلى فوق جبهته وعينيه .

قال عبد اللّه خان :

ـ «يا حضرة المهندس اتركه لفرصة أخرى» .

ـ «لا بابا ، فقط دقيقة واحدة . هو سؤال عن الأحوال ، نصف دقيقة» .

فتح عبد اللّه الباب على مهل ودخلنا .

رفع شهروز إيمان رأسه ، وخرج من حلقومه صوت حيوان متألم . قال عبد اللّه خان :

ـ «كن عاقلاً ، يا شهروز» . كنت أتوقع أن يؤدي شهروز عملاً مجنوناً ، أو أن يرتعب . ولكنه طوح رأسه بارتخاء الى وراء وراح ينظر اليّ بفم معوج وجسد لا رمق فيه . كان رأسه ووجهه كسياوش ، إلا أنه أشقر .

أراد عبد اللّه خان أن يقول شيئاً لكنني رفعت يدي فأسكتّه . التفتُّ الى شهروز قائلاً :

ـ «سلام ، يا شهروز... أنا من أصدقاء أخيك سياوش . كنت قد جئت لرؤية الخانوم ، وكنت منصرفاً الآن... فقلت لأجيء لأراك . أردت أن أكون حييتك وسألت عن أحوالك» .فتح شهروز إيمان شفتيه ، وانتشر شيء شبيه بالضحك في وجهه المجروح الشبيه بوجه خروف . كان عدد من أسنانه الدنيا والعليا ناقصاً .

انصرفت عما كنت أريد سؤاله عنه . تنهدت ، وتهيأت للخروج . لم أقل إلا :

ـ «كيف حالك يا شهروز ؟» .

ـ «ماذا ماذا ؟» .

ـ «أحوالك حسنة ؟» .

ـ «حاسنه ، آ...... الحمد ولا» . فقلت :

ـ «يا شهروز ، كان أخوك سياوش أمرءاً طيباً...» .

حدّق إليّ ذاهلاً . ذكرتني عيناه بكلب صغير مات ذات يوم قبل ثلاثين سنة في سوق (الحاج شيخ هادي) الصغير وعيناه مفتوحتان . كان أطفال المحلة قد قتلوه بالأحجار والعصي . كان الحيوان قد عانى عذاباً ، فعاد الى بارئه وهو يحدق في معذبيه . كانت عيناه الباردتان قد بقيتا ـ في تبلور الموت ـ تحدقان بذهول في الدنيا وأطفال المحلة . كانت عينا شهروز إيان الليلة عيني كلب ميت . قلت :

ـ «في أمان الله ، يا شهروز» ، وقلت في قلبي :

ـ «في أمان الله ، يا سياوش» .

ما أن وضعت إحدى قدمي خارجاً حتى قال شهروز :

ـ «أنا... ليلة أمس... ليلة أمس ذهبت... أخـــذت... انتـــقـــام دم سياوش . والله» .

التفت ، فنظرت اليه . كرر جملته كالببغاء . فقلت :

ـ «أخذت انتقام دم سياوش ؟» ، فقال :

ـ «أوهوم... انتقام دم سياوش الطاهر... بالله» .

ـ «أكان عملاً جيداً ؟» .

- «دم سياوش!» اكتسب وقعها جرس تقليد أصوات الحكواتية .
قال :

- «سياوش بطل إيران الطاهر... الذي قتل بيد گرسيوز الكافر أخي أفراسياب الكافر» .

تذكرت كلام لي لي إيمان . كان أوسامد آقا في تلك الأيام يقرأ الشاهنامه للأطفال ، أو يروي لهم قصص الشاهنامه . فقلت :

- «ممن انتقمت لسياوش يا شهروز ؟» .

- «من... من... سودابه سيئة الفعال» .

- «من سودابه ؟» .

- «أوهوم... من سودابه ومن گرسيوز الكافر إبن الكلب الذي أمه حرملة» .

- «من كانت سودابه يا شهروز ؟» .

- «سودابه تحالفت مع گرسيوز» .

- «ماذا فعلا ؟» .

- «فعلت سودابه سوءاً لسياوش . هي التي نثرت الصبغ على سياوش . أفسدت سياوش الطاهر» . فسألته :

- «وماذا فعلت ؟» .

- إنها أسلمت... سياوش... للموت . وگرسيوز الكافر الذي أمه حرملة أيضاً... شدّ يدي سياوش... من وراء... قطع رأس سياوش على الطشت . دم سياوش الطاهر... أريق في طشت الرماد» .

- «وماذا جرى بعد ؟» .

- «ثم... فار دم سياوش... فأريق على الأرض» . ثم لزم الصمت .

عاد الى دنياه الخاصة ، كما لو أن فؤاده قد برد .

ـ «وأخذت انتقام دم سياوش الطاهر من سودابه وگرسيوز ؟» .

ـ «أوهوم...» .

ـ «يعني أنك أرقت الدم الطاهر لحمل على وجهي سودابه وگرسيوز» .

ـ «أوهوم... أوهوم...» .

أردت أن أسأله أقال لك أوسامد آقا أن سودابه وگرسيوز يحتفلان بعرسهما فلم يطاوعني قلبي . لقد فهمت ما كان ينبغي أن أفهمه . لم أرد أن أخرجه من حال الهدوء النسبي الذي كان فيه . ولكنه قال :

ـ « أوهوم... ماذا إذن ؟ » .

وبرقت عيناه . ثم شرع مجدداً يهذر كلاماً لا معنى له هذه المرة . ويخرج من حلقومه أصواتاً رديئة . كانت الكلمات تنزلق من فمه وحلقومه فتندلق على بعضها . عن سياوش ، عن طشت الدم ، عن فوران الدم على التراب ، عن نمو الزرع وعن الانتقام... كان يتكلم...

جاء صوت أرملة الدكتور إيمان من فوق الشرفة . كانت تنادي على خادمها عبد الله خان كي يذهب فيفتح الباب ، لأن أمير خان كان على الباب . فودعت شهروز وخرجت .

ـ ١٣ ـ

ركبت البيكان ، التي صارت صميميتها ووحدانيتها الآن بالضبط مثل جدار قبر شرع مؤخراً يضغط . كانت (فولكس) أوسامد آقا قد ذهبت من أمام المنزل ، فرأيت أن أذهب الى لقاء أوسامد آقا ، قبل أن أعود الى فرنگيس وثريا ، بإضمامة ورد أو بدون إضمامة ورد . شغلّت

السيارة وانطلقت .

كان وقتاً متأخراً من الليل إذ جئت من نياوران الى (تجريش) ، ثم من أول منعطف جادة (پهلوي) (نحو پارك ويْ) . توقفت ، ومن كشك تلفون تلفنت لفرنگيس . لم يأت خسرو بعد الى البيت ولا تلفن . ولكن فرنگيس كانت الآن قلقة عليَّ أكثر وراحت تصرّ باستمرار أن أعود الى البيت وأستريح . فقلت :

- « حسناً ، سأعود في خلال ساعة » . فقالت :

- « تعال الآن » . قلت :

- « وجدت أوسامد آقا ذا اللحية ، وعندي عنوانه أيضاً ، وأنا الآن قريب من بيته أيضاً . سأراه وأجيء » .

- « لا ، يا جلال . تعال الآن توأ... في هذا المطر برجلك هذه . كيف رجلك ؟ » .

- « رجلي كالقمر . إنها الآن واقفة قربي . إنها تناجي العصا ، وتبلغك السلام » ، وضربتْ رجلي المجبسة باب الكشك الحديد .

- « بالله عليك تعال... دعهم . دعهم الى الغد » .

- « حسناً ، سأعود بعد ساعة أو اثنتين . كيف حال ثري ؟ » .

- « أحسن... جلال ، دعهم وتعال!... أنت أيضاً كأن جسدك يحكك » .

نظرت من زجاج الكشك الى مباني فندق هيلتون المضيئة . عكر مزاجي التفكير بالأسرّة الدافئة النظيفة وحوريات الجنة النظيفات والبساط والطعام الجيد . مرة أخرى تذكرت إبن الكلب مورسو إذ تعاشق مع ماري كاردونا في حوض السباحة بالجزائر . تبادلت بضع كلمات أخرى مع فرنگيس ثم وضعت السماعة .

كان الشارع الخارجي خالياً فجئت نحو شهر آرا . إن السياقة المنفردة السريعة ، بين المرتفعات والسهل وفي خيمة الليل السوداء تحت المطر ، لم تكن الآن سيئة لزرع وتنمية ميكروب ماليخوليا الأعصاب المريضة . شغّلت المذياع . كانت المحطة قد انتهت من أخبار المساء وراحت تروي قصة الليلة . كانت قصة الليلة بمرحها وموسيقاها تملأ فضاء البيكان . لم تكن قصص الليل ، والتي تذاع من الراديو ، سيئة ، وفي ليالي الوحدة بآبادان كنت أحياناً أصير من الخبل بحيث أستمع اليها . وهذه الليلة كذلك ، إذ كنت أعبر من پارك وي وتقاطع (أوِين) وتقاطع جادة (وَنَك) رحت أستمع . كانت قصة خارجية ، كان فيها عم باسم جيلبرت يقول لنفسه لأفتح هذه النافذة كي يدخل هواء طازج . ثمة دائماً عمو جيلبرت يعود الى منزله القديم بعد خمس عشر سنة من قتل زوج عشيقته . وثمة دائماً فيليپ ما شرير وماكر . وكانت ثمة شارلوت ما نالوا منها وطراً ، على الأغلب فيليپ . وكان ثمة أيضاً جنكينز ، الذي هو خادم عجوز ، يجلب الحقائب فيضعها في العربة . ثم يرتفع صوت الموسيقى .

من منعطف شهر آرا هبطت . كنت أعرف هذا القسم الجديد من طهران الى حد ما . كان شهر آرا واحداً من مئات الأحياء المقامة حديثاً بلا حساب التي جعلت طهران تبدو ، في ربع القرن الأخير ، مليئة بالفطر الوحشي بعد ليلة ممطرة . وجدت منزل أوسامد آقا ـ عن العنوان المكتوب ـ عند رأس زقاق عرضه عشرة أمتار . كانت دار سكن أوسامد آقا أحد أشباه الفطر بمساحة مائة أو مائة وخمسين متراً ، من طابق واحد ، بناية عديمة الشكل ، ولها حديقة صغيرة وباب حديدي مثقب لم يصبغ . ضغطت الجرس .

بعد مدة سمعت وقع خفّ ، ومن شق ضلفتي الباب الحديد رأيت رجلاً يأتي بسروال بيجاما فيفتح الباب . كان رجلاً قميئاً في الخمسين أو الستين ، له شعر أبيض مجعد ، ووجه أبيض جداً وجميل جداً ولكنه منتفخ ، وعينان سكرانتان تدوران ، وبطن منتفخة ، يرتدي قميصاً

بلون القشدة وربطة عنق قهوائية اللون مرخاة تتدلى عوجاء . كان قد وضع على رأسه جريدة . من ورائه رأيت فولكس أوسامد آقا داخل الحديقة جنب حوض ماء مساحته متر في متر ونصف . تعثر أجعد السالفين ذو ربطة العنق فسقط على صدري . قلت :

- «أرجو المعذرة... منزل السيد كوه گرد ؟» . فقال :

- «نعم ؟» . كانت تنبعث من أنفاسه رائحة تبغ ورائحة كحول متحمض .

- «أريد السيد كوه گرد» .

- «ليس موجوداً» . وراح يدفع الباب كي يهرب من المطر . فقلت :

- «انتظر ، يا جناب السيد» . فقال :

- «ليـ.......س موجوداً» .

- «متى يأتي ؟» . فقال أجعد السالفين :

- «قلت لك ، ليس موجوداً ـ في هذا المطر» .

قدمت نفسي للمرة التسعين منذ الظهر حتى الآن . وقلت :

- «بخصوص خسرو إبن فرخ ديوان لقا» .

لم أفهم من سماع أي اسم من تلك الأسماء ارتعش وجهُ أجعدِ السالفين . كانت عيناه قهوائيتين فاتحتين ، وعديمتي اللون تقريباً ـ أما بياضهما فداكن باهت . لا يمكن ملاحظة أي نوع من الاضطراب والقلق والحس فيهما . ألقى عليّ نظرة غائمة . ألقى عليّ نظرة غائمة وطويلة جداً . تحول تعثّر بدنه الآن الى نوسان . وكرر كالبلهى :

- «ليس موجوداً» . فقلت :

- «مسألة حياة وموت» . ونظرت الى فولكس أوسامد آقا وراء

رأسه . فقال أجعد السالفين :

- «واللّه ليس موجوداً ، باللّه ليس موجوداً . ولكن تفضل» . فقلت :

- « لا بد أنه جاء الى البيت قبلي . لقد رأيته قبل ساعة أمام منزل السيدة منور السلطنة إيمان ، مع فولكسه . وها هي فولكسه» .

- «هو نفسه ليس موجوداً واللّه . سيارته هنا ، ولكنه هو ليس هنا» .

- «أين هو ؟ ينبغي أن أرى أوسامد آقا . وإلا رفعت صوتي» ، ورفعت صوتي ، السلاح الذي يصنع المعجزات في إيران ، سواء كان عنيفاً أو خالياً من العنف .

ذهل أجعد الشعر ، فقال :

- «حسناً تفضل الى الداخل من تحت المطر حتى يأتي» .

لم أفهم ما إذا كان مجرد يجامل أم يدعو . فقد كان ظاهراً أنه لا يمكن فهم شيء منه . سألته :

- «أين ذهب ؟» .

- «ذهب الى مكان قريب . سيأتي الآن . إن كنت تريد فتفضل انتظر حتى يأتي» .

- «ذهب يفعل ماذا ؟» . فقال أجعد السالفين :

- «لا شيء يا بابا . تفضل للداخل ، الآن إذ لا بد أن تتفضل . سيأتي الآن . ذهب الى أول شارع (تاج) هذا ، ليشتري زجاجة ما . نفد المشروب في البيت» . لا بد أن هذه الجملة الأخيرة كانت حقيقة حياته . قلت :

- «اسمح لي أن أضع السيارة في مكان جيد ، وأقفلها» ، وجئت

فشغلت السيارة وأوقفتها أبعد من المنزل التالي . أقفلتها وربطتها بسلسلة .

جئت وراء أجعد السالفين ، الذي كان ذاهلاً ، الى إحدى الغرف الكائنة على يسار صالة ضيقة عديمة اللون . كانت الغرفة ملخبطة وقذرة ، فيها أثاث حديث ولكنه عديم القيمة . كانت ثمة بعض الكنبات لها مقابض خشبية على الطراز الحديث ، منجدة بمخمل رخيص قهوائي اللون ، تستقر حول منضدة خفيفة للقهوة . وكانت سجادة خشنة مفروشة على أرضية الغرفة ، وعلى الرف لوحة من رسم المقاهي[٨٣] تصور جيشاً جراراً وقريباً منها إطار فيه تصوير لدرويش عجوز . لم أعرف من يكون . وعلى مائدة خفيضة ملطومة على رأسها وسط الغرفة كانت ثمة الآثار التالية حسب ترتيب الألفباء : أطباق شاي ملآى بالرماد وأعقاب السجاير ، جبنة إيرانية ، حثالة وعاء لبن وخيار ، خبز سنگك[٨٤] يابس ، زجاجة خالية من عرق (بالزام) ، زجاجة نصف خالية من (ببل آپ)[٨٥] ، صحن فضلات شيء كأنه كان يوما طبق لسان ولوبياء مشترى من محل لبيع الأغذية ، فضلات مكسرات ، وقشور خيار . كانت رائحة كريهة نفاذة من الأطعمة المتبقية والكحول والدخان وعرق الأجساد تملأ الغرفة . وعلى مدفأة (علاء الدين) نفطية كان وعاء ماء ووعاء شاي مغمومين يتناجيان واحدهما فوق الآخر .

جلسنا ، فقلت :

ـ « عندكم مكان جيد ومنزو » . فقال أجعد السالفين :

ـ « من فضل قصر جناب كوه گرد... نحن هنا ضيوف... لا ، بل طفيليون » . فقلت :

ـ « بل سيد » . قال :

ـ « نحن سكارى وخراب وفاقدو فؤاد ... » . كنت حائراً من عسى أن يكون جناب هذا المولوي[٨٦] . فسألته :

ـ «ألم يكن خسرو هنا اليوم يا حضرة ؟ خسرو ابن فرخ خانم ؟» .

ـ «لم لا ،كان هنا ، ذهب» .

ـ «متى ذهب ؟ » .

ـ «عصراً» .

ـ «كان يريد أوسامد آقا ؟» .

ـ «نعم ، كان يريد أن يكلم محمد آقا» .

ـ «أفلم ير محمد آقا ظهراً في منزل الدكتور إيمان ؟ »

ـ «لم لا . ولكن يبدو أن أوسامد آقا زرعه هناك . هه هه» .

إذن فقد كان أوسامد آقا أستاذاً في الزرع . سألت :

ـ «ألم يقل خسرو أين هو ذاهب من هنا ؟ .

ـ «لا ؛ لم أعرف . كنت والله قد غفوت على الكرسي . لم أفهم كم كانت الساعة . عندما نهضت عند المغرب رأيت أن خسرو قد ذهب» .

إن ما تحت عينيه المتهدل المتورم يحكي أنه لم يعد للزمان حساب أو كتاب عنده . كانت تقاطيع وجهه وشكله وقيافته تشبه قليلا صورة المرحوم السناتور الدكتور إيمان التي رأيتها قبل ساعة في صالة أرملة الدكتور . ولكن هذا الجميل ربما كان زير نساء ، أو لابد أنه كان . خمنت من يحتمل أن يكون . إن جمال فرخ لا يمكن أن يكون قد جاء إلا من هذا المولوي الدون جوان . قلت :

ـ «جنابكم العالي لا تقدمون نفسكم ؟» .

رفع عينيه المتكسرتين ، وفي حين كان ينقر برؤوس أصابعه على قبضة الكنبة إيقاعاً ضعيفاً ، قال :

- «العبد للّه المخلص أحمد وفا ، يا سيدي» .

- «ابن أخ الدكتور إيمان» .

- «ابن الأخ غير اللح للدكتور إيمان» ، ونزل على كلمة (غير اللح) بتلفظ ثقيل .

- «وزوج ابنته لي لي خانم» .

- «الزوج السابق لابنته» ، وعلى كلمة (سابق) أيضاً جاء بثقل ما .

- «كان أبو العبد للّه والدكتور إيمان شيرازيين ، من أب واحد ولكن من أمرأتين . ذهب الدكتور الى سويسرا وغير اسمه وصار دكتوراً . أما أبو العبد للّه فذهب الى الاشتغال بالترهات ، ثم ذهب بعدها الى الكحول والمخدرات وصار پروفسوراً . يعني صار خالي[٨٧] سور!» .

- «لا يمكن محاربة المقدر ، يا جناب وفا» .

- «لا يمكن محاربة المقدر... ولكن هذا كله صار رماد الماضي...» .

تذكرت تصوير خسرو لأحمدوفا : شيرازي حلو المعشر . كحولي ، قلّب ، ذي حياة ملآى بالارتفاعات والكبوات ، وأعمال مهمة في الوزارات ، مقاول ، زير نساء ، مقامر ، مفلس... واليوم سكران خرب في بيت أوسامد آقا كوه گرد... سألته :

- «ألم تشرفوا حفل عرس حفيدكم خسرو خان ليلة أمس ؟» . فقال :

- «لا...» ، ثم قال : «لم نعد مناسبين لذلك ، يا سيدي . أرسلوا بطاقة دعوة ، نعم ، بارك اللّه فيهم . ولكن عندما يدعون حماراً لحفلة عرس فليس ذلك لتفريحه وإنما لينقلوا الماء على ظهره ، وأنا لم يعد عندي ما أعطيهم إياه» . فقلت :

ـ «هذا من سوء الظن ، يا سيد وفا» . فقال :

ـ «وماذا رأيت يا سيد...» ، لم يكن اسمي قد بقي في باله ، فذكرته . قال : «ماذا رأيت يا جناب سيد آريان! ؟» .

رفع إحدى الزجاجتين ، التي كان في قعرها بمقدار سلامية أصبع . قدم لي ، فقلت إنه سبق أن صُرِف[٨٨] ، ليتفضل . صب المشروب باهتمام ومحبة في أحد الكؤوس التي أمامه . قال :

ـ «كانت أيام إذ كنا نأتي من شيراز بحقيبة ملابس ملآى بالرزم النقدية الى طهران ، من أجل القمار والنساء . وصار عرق سهرتنا اليوم في يد جناب أوسامد آقا كوه گرد . ثروتنا ثروة حاتم الطائي وتسوّلنا كشحاذي الازقة...» .

كان يشرب قليلاً . لا يدع الـ (بالزام) ينزل . كان يعاشق البالزام . سألته :

ـ «ما شغل أوسامد آقا ؟ ألَه عمل وحرفة ما ؟» .فقال أحمد وفا :

ـ «لا والله . عنده بيت أو بيتان هنا ، يأخذ إيجارهما» .

ـ «هل يتقاضى راتباً من عائلة إيمان أيضاً ؟» .

ـ «لا...أ . أفمنور السلطنة ، الأبخل من البخيلة تلك ، ينفتح كيسها عن شيء ؟ ولكن ،على أية حال ، كل ما لدى أوسامد آقا هو من هؤلاء ـ لا يزال خادما بلا أجر أو مقابل للقوم الكفرة» .

ـ «القوم الكفرة ؟» .

ـ «أصل وعرق بلا صفة . كل منهم مختل منفرد . كل واحد منهم لنفسه . كل واحد لحسابه وجيبه ومحفظته . كل واحد جميل مرتب محترم المظهر ، ولكن واحدهم أتعس من الآخر . ذاك الذي يزعمون أنه كان في أميركا ودكتوراه بالاقتصاد ويعمل في اليونسكو ، هو في الحقيقة مهيء أعمال باحدى وكالات السفر ـ زير نساء ومهووس

سيارات من الدرجة الأولى . وهذا الذي يقولون أنه عالم نفسي ، ولا يحب أن يفتح عيادة ، ليست عنده حتى شهادة الدراسة الإعدادية . أرسلوه سنتين أو ثلاثاً الى أميركا ، فلم يتعلم حتى اللغة ، وعاد ويده أطول من رجله وشاربه[٨٩] ، فقالوا صار عالماً نفسياً ولكن وزارة الصحة والحكومة الإيرانية لا عمل عندهما له . وهذا الآخر الذي هو آخر عنقودهم جننوه بأنفسهم » .

أشعلت سيجارة وقلت :

- « حدثني عن هذا الأخير ، يا جناب وفا » .

- « لم يكن الطفل المسكين في البدء مريضاً ، مجرد أنه لم يكن معروفاً ما خطبه . كان يمشي في نومه ليلاً . وبعد وفاة المرحوم أبيهم ، لكي لا يقوم الطفل فيمشي ليلاً كانت منور السلطنة مختلة العقل تلك تربطه بسلسلة في سرير نومه... فازدادت حاله سوءاً . عزّ عليها أن ترسله الى أوربا للعلاج ، أو أن ترسله في الأقل الى طبيب جيد هنا... من هذا تفهم لماذا تركهم سياوش جميعاً وذهب . في أواخر الأيام كان الدكتور المسكين ما يزال في البيت مطروحاً على فراش الموت إذ اشتبكو جميعاً يتعاركون على الإرث والميراث يطلق أحدهم على الآخر أقذع السباب ويتضاربون . في نفس تلك الأيام الأخيرة التي كان فيها الدكتور المسكين يوسخ ملاءاته ، كانوا يحبونه كثيراً بحيث أن زوجته وأولاده فروا كل واحد منهم الى جهة ، فذهبوا الى شيراز أو سويسرا أو أميركا . ليلة موته لم يكن عند رأس الدكتور إلا لي لي المسكينة تلك ، وممرضة... » ، راح الآن يهز رأسه ، وهو ينقر إيقاعاً على قبضة الأريكة . ولكن عيناه كانتا تذهبان على الدوام . قلت :

- « حدثني عن حادث وفاة سياوشهم ، يا جناب وفا » . صرت أستريح له . كان راوية مر الذكريات خاسراً تماماً . لا بد أنه يخلط الصدق والكذب معاً . ولكن كان عنده عِرق استقامة .

ـ « سياوشهم ؟ » وكأنني سألت عن موجود آخر في كرة وسماوات أخرى .

ـ« نعم سياوشهم » . فقال :

ـ « كان سياوشهم شيئاً آخر » .

ـ « أعرف . سمعت كثيراً . حدثني عن موته » . فقال أحمد وفا على عجل :

ـ « لا أدري... تلف على أية حال . كان ذلك قبل ثلاث أو أربع وعشرين سنة . خسرو أيضاً سأل اليوم عدة أسئلة . لا أدري والله ما أقول . في الليلة السابقة لوفاته ذهبت الى كرج لرؤيته » . فنظرت اليه .

ـ « كنت هناك ؟ » .

رفع كأسه فجرعه . ثم جمع ملعقة لبن وخيار من قعر الصحن ولكنه انصرف عنها فلم يأكلها . سحب ، بدلاً منها ، نفساً من سيجارته . أرسل موجة من دخان فوق رأسه ، وقال :

ـ « نعم كنت هناك يا جناب آريان » . كان واضحاً أن الجو الوحيد الذي يمكن لذهنه أن يشتغل فيه هو موج الدخان وثمل السكر . قال :

ـ « كنت ذهبت والله تلك الليلة كي أراهم ساعة أو ساعتين . أعرض عليك ، كانت ابنتي فرخ تلك السنة ، على أية حال ، زعلانة مني . كانت قليلة الاهتمام بي ، لأنني كنت طلقت أمها . ولكن سياوش ، كان ذا صفاء ومحبة فائقتين . كان باب داره وغطاء زجاجته مفتوحين دائماً وللجميع... كان هو يصنع الشراب ، نعم ، هناك بالذات ، في سرداب البستان ، كان يصنع شراباً خالصاً ، ويعطي أكثره لهذا وذاك » . سألته :

ـ « كيف كان حاله ذلك اليوم ؟ » .

ـ « نعم ؟ » .

ـ « حاله ، ذلك اليوم... كيف كان حاله ؟ » . فقال أحمد وفا :

ـ « جيد . موزون . أصرّ ذلك اليوم أن أبيت الليلة عندهم . قال إن من المقرر أن يأتي أوسامد آقا فيجلب له كتباً ، أو مالا ، أو كليهما . قال : ابق لنجلس معا ونستمتع . كان عنده صفاء ومحبة مع كل الدنيا » . فسألته :

ـ « أبقيت الليلة ؟ » .

ـ « لا ، عدت المغرب الى المدينة » .

ـ « عندما عدت ، ألم يكن أوسامد آقا قد جاء بعد ؟ » .

ـ « لا بعد ، فجئت » .

ـ « ألم يكن هناك شخص آخر » .

ـ « لا ، الى أن عدت لم يكن ثمة أحد . كانت عندهم فقط هذه الكلثوم كچل تعدّ لهم ،في زاوية الفناء ، في قدرين أو ثلاث منبعجة شائهة ، ما يسمى طعاماً ما . أي شيء يمكن تدبيره ويصلح للأكل . ولكنهم كانوا مسرورين جميعاً . شنگول ومنگول وحبة العنب » . فسألت :

ـ « تقصد بحبة العنب بالطبع خسرو » .

ـ « نعم... سياوش وفرخ وخسرو ابن السنة » . كان البالزام قد جعله ساخناً مهذاراً . فسألته :

ـ « كانت فرخ أيضاً فرحة تلك السنة ؟ » .

عند سماع هذا السؤال ، رفع وفا كأس عرقه مرة أخرى وشرب . حاول أن يذيب نفسه في البالزام . ثم أجاب جواباً ذا وجهين . قال :

ـ « إن لم تكن تريد فما كانت لتبقى عنده » . فقلت :

ـ « يا جناب وفا ، كنت الليلة في المستشفى عند العقيد ديوان

لقا ، أصيب بجلطة قلبية ، ولا بد أنه يحتضر . لقد استفسرت منه ومن عدد من الآخرين . بمقدورك أن تساعد كي توضح موضوع هذا المسكين خسرو . لقد كنت ، قبل ثلاث أو أربع وعشرين سنة مخالفاً لزواج فرخ وهذاالديوان لقا... لماذا ؟ » .

مرة أخرى رفع أحمد وفا كأسه الفارغة تقريباً ، وراح يحركها في يده وكأنها أسطرلاب ، وكأنها كان يريد أن يلعب مع قدره الفاني لعبة الحصيّات(٩٠) . قال :

ـ « لقد كان ابن المحروق ذاك على الدوام ماكراً حيالاً » .

ـ « ديوان لقا ؟ » .

ـ « نعم » . فقلت :

ـ « حسناً... » . قال :

ـ « كان منذ البدء عميل الدكتور إيمان وخادمه . بروجني سيء محتال . كان قد زرع أخاه غير اللح ، أوسامد آقا هذا بالذات ، في بيت الدكتور إيمان . وجلب كلثوم كچل أيضاً من ريف بروجن فزرعها في بستان كرج سياوش . فكان يستعملهما للنميمة والإيقاع بين الجميع » . فسألت :

ـ « وكيف كان مع سياوش ؟ » . فقال :

ـ « كان ينزعج من سياوش كما لو كان عشيق أمه الذي يضربها » .

ـ « من أجل فرخ ؟ » . فقال :

ـ « من أجل فرخ يعني ماذا ؟ » . فقلت :

« يعني لأنه كان يريد فرخ... إننا كلينا رجلان كبيران وقد رأينا برد الزمان وحرّه ، فالأفضل ألا تتظاهر بالبلاهة » .

كان لأحمد وفا بأصابعه أوركسترا خصوصية على الدوام على مقبض الكنبة . نظر اليّ بذهول ، ثم تنهد ، وقال :

- « يا جناب سيْ... » ، ولكنه تعطل . فقلت :

- « آريان... » . فقال :

- « يا جناب آريان ، أنت ، جنابك العالي تعرف كل شيء عنا من آلفه الى يائه . إن بمقدور جنابك العالي أن تجلس فترسم شجرة وأصل ونسب عائلة إيمان وفا وتكتب تاريخ الأنساب ، فلماذا إذن انطلقت في منتصف الليل لتلف طهران فتسأل هذا وذاك عن أصول الدين ؟ والله! » . فقلت :

- « لأنني أريد الحقيقة . كما أن حفيدك خسرو يريد الحقيقة . حتى يرتاح باله ويعود الى حياته » .

سحب وفا نفساً ضعيفاً من سيجارته . وهز رأسه هزاً سيئاً . ثم قال :

- « حسناً... ولكن ـ ولكن لا أنت ولا خسرو ، أيا منكما ، إذا ما جريتما منذ الليلة حتي يوم القيامة نفسه في هذه المدينة ، فلن تحصلا على الحقيقة . سواء أكان ذلك بعد ستة ملايين سنة ، أو في الساعة السادسة من صباح الغد » .

كانت عيناه المخمورتان تعاودان الضياع وسط الدخان . لا بد أن القيامة كانت ، بالنسبة له ، وقد جاءت قبل ثلاث وعشرين سنة ومضت كالبرق ـ في تلك السنة التي ترك فيها إمرأته وأطفاله . قلت :

- « انظر ، يا جناب وفا . أنا أيضاً لست عاشق الوضع الحالي في هذه الليلة . لقد طلبت مني أختي ، فجئت الى هنا ، الى هذه المدينة ، إن شابين من شباب هذه البلاد واقعان في مشكل وتعاسة ، أريد أن أساعدهما لحل مشكلتهما » . فقال :

ـ « حسناً فلتحلَ ، أقلتُ ألا تحلّ ؟ بابا ، أنا لم أتدخل . أفقلت ألا تحلّ ؟ ماذا قلت ؟ أنا لم أقل شيئاً » . قلت :

ـ « وثمة موضوع آخر » . فقال :

ـ « حسناً ، تفضل » . قلت :

ـ « أتذكر السنة السابقة لذلك ، الربيع الذي ذهبت فيه فرخ الى سياوش ؟ » . فقال :

ـ « سلني ما تعشيت البارحة ؟ » .

رفع الزجاجة الخالية عن المائدة ، هزّها ، وفحص ثمالتها . ولم يكن ثمة أمل ، فوضعها أرضاً . قلت :

ـ « لا بد أن تتذكر ، يا جناب وفا ـ كان ذلك الربيع الذي افترقت فيه عن لي لي خانم... » فقال :

ـ « رح أسألها هي » . فقلت :

ـ « صر درويشاً ، أرجوك ، يا جناب وفا : أتذكر ؟ » . هز رأسه ، وقال :

ـ « ثمة أشياء لا ينساها الإنسان . وثمة أشياء لا يستطيع أن ينساها الإنسان... لتفاهتها البالغة » ، وسحب نفساً آخر من سيجارته . فقلت :

ـ « اترك الفلسفة جانباً الآن . في تلك السنة ، أكان لديوان لقا تزاور مع سياوش وفرخ في كرج ؟ » . فقال :

ـ « لا أدري . ربما كان عنده ، وربما لم يكن عنده . كان يساعدهما مالياً . ولكنني لست أدري . كنت لا أرتاح لابن المحروق ذاك » .

اشتد الإيقاع بأطراف الأصابع على قبضة الأريكة . فسألت :

ـ «إذن فكان لديوان لقا تزاور معهما ؟... كان عنده أم لم يكن ؟ لماذا لا يوجد مصران واحد مستقيم في بطنك ، يا أخ ؟» . فقال :

ـ «بابا ، ما أدراني أنا ؟ لقد وقع هذا قبل ربع قرن أيام المرحوم الدكتور مصدق . أنا لست بالعاً كومپيوتر . أتذكّر فقط أنه عندما كان خسرو على وشك أن يولد جاء ديوان لقا ، أي نعم ، كان يساعدهما من فضله ، دفع نفقات المستشفى ، يعني أعطاهما قرضاً كي يسدده سياوش فيما بعد بأقساط بالتدريج » .

ـ «إذن فكان لديوان لقا تزاور معهما على الأقل من بعد مجيء خسرو الى الدنيا » .

ـ «نعم ، كان عنده» .

ـ «كيف كان سياوش مع طفله ؟ » .

ـ «مع من ؟ » .

ـ «مع الصغير خسرو . أكان يحبه ؟ » .

ـ «نعم بابا . كان حدقة عينه . كان دائماً على ركبته ، أو على كتفيه دائماً ، في البستان . كان يأخذ الطفل إبن السنة الى حافة النهر فيجلسه قربه ، ويقرأ له كتاب زرادشت بصوت عال . لم يكن الطفل ينزل عن حضنه . عندما كنت أذهب كان يعطيني حفيدي بالقوة كي أضمه الى صدري» . فسألته :

ـ «هل أخذ له دفتر نفوس باسمه ؟ » .

ـ «ماذا أدري . واللّه! في تلك السنة كان سياوش درويشاً ومجنوناً . لم يكن يهتم لهذه الأمور أو للمجتمع . كانت أميركا تعد تلك الليلة انقلاباً وتبدل الحكومة ، ولكن سياوش كان في دنياه الخاصة» .

ـ «إذن لم يأخذ ؟» .

ـ «لم يأخذ ماذا ؟» .

ـ «دفتر نفوس...» .

ـ «لا بابا . أي شيء فيهم كان تلك السنة يشبه البشر كي يشبه حصولهم على دفتر نفوس ذلك ؟ كان سياوش قد قال لفرخ أنه سيذهب ذات يوم الى دائرة السجل المدني كي يأخذ دفتراً للطفل . وبقيت فرخ لا تفعل شيئاً ، تؤجل الأمر من اليوم الى الغد» .

ـ «أتكلمت مع خسرو الليلة عن هذه الأمور أيضاً ؟» .

ـ «نعم ، سأل فأجبت» . فقلت :

ـ «يا جناب وفا ، ألم تقل لخسرو الليلة شيئاً جديداً ومثيراً عن أبيه الواقعي ؟» .

ـ «لا ، في الحقيقة كنت أخاف . كان مملوءاً جداً ، كما لو أن كل شيء...» .

ـ «كما لو أن كل شيء ماذا ؟» .

ـ «لا شيء بابا . كذبت . كان خسرو أصلاً قد أصابه الغثيان . بعد نصف ساعة من الأسئلة الملتوية ، اكتفى بالجلوس وانطوى على نفسه . جلس في تلك الزاوية مثل بخت النصر(٩١) تماماً يدخن سجائر وينستون مولعاً إحداها من الأخرى . كان ينتظر أوسامد آقا . ثم نهض مرتين فذهب الى الحوض ، واعذرني لسوء الأدب ، فتقيأ ، والقى بعض الماء على وجهه ورأسه» .

راح رأسي هو الآخر ، مثل أرومة حطب نصف محروقة داخل وحل ، يدخن الآن . استللت من صدري آهة ، وسألت :

ـ «يا جناب وفا ، أليست عندك رسالة لخسرو ؟ الحقيقة عن الأب الحقيقي لحفيدك ؟» .

خفض أحمد وفا ـ والكأس الخالية في يده ـ رأسه الى أسفل. وهزّه . هاع فقط ، فمد يده وسحب منديلاً ورقياً من العلبة الموضوعة على المائدة ومسح ما حول فمه ، كما لو كان يمسح لطمة عار عن شفتيه . كانت حركاته بطيئة ضعيفة . كانت عيناه تتغامضان . كان يعود الى عالم سكره .

وكان صوت المطر الملحاح وراء النافذة يجعل سكوته أكثر عبوساً .

ـ ١٤ ـ

جاء صوت اصطفاق باب الحديقة ، وبعده وقع خفق أقدام شخص (لا بد أنه أوسامد آقا) بين الماء والمطر . كان هو ، وعندما دخل فكأنما تخثر نظره على نظرتي وسلامي . ولكنه لم يصب باضطراب . كان أوسامد آقا أوسامد آقا حقاً . وقف عند عتبة الباب ، ومثل ممثلي دور المُعَزِّين فتح إحدى يديه ، وقال :

ـ « بيت بلا رئيس... بخ بخ ، جناب المهندس ، أهلاً وسهلاً ، جليت الصفاء ، قدمك على حبات عيوننا... » ، كان قد أطلق العنان قليلاً للّهجة الشيرازية ـ البروجنية . كان ثملاً الى حد ما ، الى حد ربع زجاجة . في نور الغرفة كان وجهه يبدو أسن وأكثر إحتراقاً . وكان مرسوماً على خطوط وجهه وعينيه الصغيرتين نوع من الألم والاضطراب الدائمين . قلت :

ـ « تفضل ادخل... بيتك! » .

وتحرك أحمد وفا أيضاً على أريكته قليلاً ، وقال :

ـ « تفضل يا سيد كوه گرد » . فتوجه أوسامد آقا اليه قائلاً :

ـ « بيت بلا رئيس... خادمك . العبد للّه عبد رقيق » .

كانت في إحدى يديه مظلة وفي الأخرى زجاجة عرق ملفوفة بجريدة . في يدٍ كأس شراب وفي الأخرى سالف حبيب! لم يتح له أن يترك المظلة في الصالة . قلت :

ـ « يا أوسامد آقا تفضل اجلس . العبد لله جئت أريد أن أسألك من آبادان صباح اليوم وجئت ، من أجل مساعدة أختي وصهرها ، الى هذه المدينة الجميلة لم أخلع ، وحياتك ، حذائي حتى الآن » .

فقال ضاحكاً :

ـ « تفضل » . ثم قال : « يقولون عن هنا : المدينة السائبة... » . لم أفهم ما إذا كان قصده من كون المدينة سائبة عدم لياقة الناس أم كوني جئت في منتصف الليل أزاحمهما . قال :

ـ « تفضل اسأل . روحنا وجسمنا وحياتنا تحت اختياركم » كانت عيناه قلقتين ، تتحركان في الأنحاء . وضع الزجاجة بين الأزبال على المائدة . أخرج سيجارة ، وراح يبحث في جيوبه عن ثقاب . قلت :

ـ « يا حضرة ، إنني أبحث عن خسرو . وخسرو أيضاً كان يبحث عنك منذ البارحة حتى الآن ، ولا بد أنه لا يزال يبحث . ثمة أمور عن أبيه يريد أن يفهمها » . وقال :

ـ « والله لا أدري في هذا الاضطراب واللغو والزاريات أي دخل يمكن أن يكون لهذا الحقير الفقير الذي كله تقصير في الأمر ؟ ولكن تفضل » .

ـ « له دخل » .

ـ « والله بربوبية الرب نحن لسنا رأس البصلة ولا... » . فقلت :

ـ « لن تتضح المسألة الحالية ما لم تنحل وتتضح للمرة الأولى والأخيرة مسألة سياوش إيمان ومعمّى أبي خسرو الحقيقي » . فقال :

ـ « لست أدري ما أقول والله » . وجد في ممتلكاته ثقاباً ، فأشعل

سيجارة . قلت :

ـ «قبل أن ندخل هذه المسألة ثمة سؤال أو اثنان بعنوان مقدمة» . فقال :

ـ «الحمد لله أننا لا شيء ، قسماً بعلي ملك الرجال» ، ورفع يديه ورأسه كأنه يدعو . فقلت :

ـ «اسمع يا أوسامد آقا . ليلة أمس تأخذ الإبن المجنون للدكتور إيمان سراً وتضع عليه اللباس المسخرة وتضع تحت إبطه حملاً ، كما تضع في جيبه سكيناً وتأخذه الي عرس ـ عرس خسرو ابن فرخ والعقيد ديوان لقا والإبنة البريئة لأخت المخلص . فلنترك هذا الآن . تعلمّه ، يعني تملؤه ، أن يأخذ الحمل الصغير الى وسط حفل العرس فيقطع رأسه ثم يصرخ إن هذا دم أخيه البرىء الذي يدفعون القصاص عنه . ويقوم شهروز بهذه الأفعال . يتخرب حفل العرس . وهذه أيضاً حقيقة . ولنترك الآن ما إذا كان هذا عملاً جيداً أم لا يفعله المرء بطفلين بريئين . والعقيد أيضاً يصاب بجلطة» .

ـ «أنا ؟» . لم تكن لهجة إنكار أو حيرة . حتى عيناه كانتا تنطويان على لمحةغرور وسخرية . فقلت :

ـ «العقيد الآن مطروح في المستشفى . وخسرو أيضاً ، كما قلت ، جعل كل مكان من ليلة أمس حتى الآن كن فيكون . قلب العائلة والأقارب رأساً على عقب كي يفهم ما أساس القضية . حسناً يا أوسامد آقا خان ، لقد أخذت شهروز الى هناك ؟ لماذا ؟» .

رفع أوسامد آقا رأسه الى أعلى ، وقال :

ـ «العبد لله ، بالله بإلوهية الله بحق الشيخ وحق النبي ، إن روحي لا تعلم شيئاً عن هذا الشرح وهذه التفصيلات» .

ـ «روحك أصلاً لا تعلم ؟» .

- «ها» .

- «تعلم» .

- «بروح وتربة الدكتور ، بالحد القاطع المجرد للمولى علي الملك الصادق لرجال العالم» ، فقطعت كلامه :

- «لقد تكلمت الآن للتو ، قبل ساعة ، مع شهروز . هو نفسه قال إنك اخذته» .

- «بابا ، هل شهروز آدمي ؟ إنهم يبدلون له سرواله الداخلي مرتين أو ثلاثا يومياً» .

اخذت عصايَ ، التي كانت تتكيء على الاريكة ، بيدي . ورفعت صوتي أيضاً . قلت :

- «هذه الواقعة حقيقة . لقد أخذته الى هناك... لقد قرأت في أذنه قصة سودابةِ الشاهنامه المحتالة وسياوش الطاهر وگرسيوز القذر أخي أفراسياب وغيرهم وغيرهم وكيف أنهم تواطأوا فأمروا بقطع رأس سياوش وأراقوا دمه في الطشت ، فيجب أن تدفعوا القصاص والخ والخ...» .

حدّق إليّ ، وفي لحظة ما مرت حالة خوف ، وربما سمّ ألم وغم . ولكنه مع ذلك قال :

-«والله بأبي الفضل[٩٢] بالشيخ[٩٣] والنبي لو كانت روحي تعلم . أصلاً من أنا ، من أولئك ، أي سبب ، أي دليل هناك...» ، فقلت :

- «اجلس وأشعل سيجارتك يا أوسامد آقا . افتح هذه الزجاجة . اجلس وإهدأ . كن منطقياً . كن من أهل هذه الدنيا . إن قليلاً من الفكر أمر حسن . أنا لا أريد منك شيئاً . ليس ثمة سبب يجعلني أقوم من آبادان فأجيء الى هنا كي أؤذيك بلا داع . لا أريد إلا أن أساعد . لا أريد سبباً ولا دليلاً . كما لا أريد قسماً ولا آية . دع هذا الكلام جانباً ، يا أوسامد آقا . أنا لا شأن عندي مع الشرطة ، ولا مع أحد ولا

مع أي مقام . وما فات مات . وليس عند أحد شكوى أيضاً . ليس عند أحد ادعاء . لا أريد إلا أن أجلس معك بهدوء وبساطة هنا ، فتقول لي الحق والصدق ، كي أعثر على خسرو ، وأفهمه ، على نحو ما ، الحق والصدق . وبعدئذ آخذ يده ويد عروسه فآخذهما معي الى آبادان وأجعلهما يبدآن حياتهما . أفهذا التوقع والرجاء كثيران ؟ » .

حكّ أوسامد آقا رأسه وطأطأه ثم هزّه . ذهبت يده نحو الزجاجة ، فخلص الزجاجة على مهل من الجريدة ، كما لو كان يفك جرحاً قديماً . قال :

- « في هذه البلاد ، في هذا الزمان ، يا سيدي المهندس ، إن الحق والصدق هما نفس الحق والصدق اللذان كانا مرام سياوش » . فسألت ببساطة :

- « أي سياوش ؟ » . فرفع رأسه وراح ينظر اليّ في ذهول . فسألته :

- سياوش الشاهنامه أم سياوش إيمان ؟ » . كان أوسامد آقا لا يزال يحدق إليّ ، قال :

- « يا سيدي المهندس ، كف عن السخرية بي... سياوش إيمان » .

- « استمر » . فقال :

- « كان مرام سياوش مرام الحق والصدق ، مرام العشق الخالص . إن كل من استطاع في هذا الزمان أن يبعد نفسه عن المال والماديات فهو درويش الله الطاهر . حارسه ملك رجال العالم . كل من تطاول من الصباح حتى المساء ، كل من دارى حرصاً وطمعاً من الصباح حتى المساء ، يتعثر أكثر . كل من كان سطح منزله أكبر كلما تجمع عليه جليد أكثر ، كلما عانى أكثر... كل من هو أكثر كذباً ورياءاً ، كل من لا يفعل غير : ماذا قلتَ وماذا قلتُ ، يسقط على مخه... كل من قام بتحريض شخص على آخر وإيقاد الفتنة بين الناس والاهتمام بنفسه

أكثر يلقى عناءً أكثر . إن الإنسان ابن الموت» .

نظرت اليه ، كان أعجوبة . كان الماضي والسّنة واللّه جزءاً من الديكور الآثاري لرأسه المرفوس . كانت يداه ترتجفان ، فمد الزجاجة نحو أحمد وفا ، وقال :

ـ «يا أحمد آقا ، قرباناً ليدك ، خذ فتحها أنت ، ليست عندي أعصاب . دعني أجلب فنجاناً نظيفاً للسيد المهندس» .

في تلك الثانية لم يكن عندي أية رغبة أو ميل الى الشراب ، ولكنني رفعت أحد الفناجين عن المائدة :

ـ «هذا جيد ، تفضل اجلس . كنت تتفضل بالحديث» . فقال :

ـ «العفو يا سيدي المهندس ، هذا ليس مناسباً» . كان التقطيب والمجاملة والاحترام تختلط في وجهه فتلتحم مع بعض . قلت :

ـ «اجلس يا أوسامد آقا! أرجوك كن درويشاً» . فقال :

ـ «على عيني... ولكن العبد للّه واللّه بأبي الفضل العباس لا شيء عندي لأقوله . إنني مثل شعاع الشمس طاهر . كان عمري ثلاث عشرة سنة عندما أخرجوني من ريف بروجن . ذهبت الى بروجن ، حائراً وتائهاً . ذهبت أولاً للخدمة الإلزامية . وذهبت أخيراً الى شيراز ، الى منزل المرحوم الدكتور إيمان ، للخدمة المنزلية . ليمطر اللّه النور على قبره . كان الدكتور ، يرحمه اللّه ، في الأصل ، طبيب مخ وأعصاب . كان قد أتم دراسته في سويسرا[٩٤] (لفظ « سويس » على وزن «خُمَيْن») . في ذلك الوقت كان منزلهم في شيراز» . فسألت :

ـ «لماذا ذهبت من بروجن الى شيراز ، يا أوسامد آقا ؟» .

كان ينظر الى زجاجة البالزام ،في يد أحمد وفا ، في حالة تولد وتفتح ، فكان ذلك كافياً لانتعاش روحه . وراحت لهجته البروجنية تظهر بالتدريج . قال :

ـ «يا بابا ، كان ذلك خيراً من جمع روث البقر ، لا ؟» .

كان جيداً . ضحكت مضموم الفم ، ورحت أهز صدري وبطني . ففرح ، وقلت :

ـ «حسناً جداً ، استمر» . فقال :

ـ «العبد لله خدمت هذه العائلة خمسين سنة في هذه البلاد . قمت بالخدمة البيتية . كانت يدي على صدري دائماً(٩٥) . كنت مربي أطفال . وعندما جاؤوا الى طهران جلبونا معهم أيضاً . وهنا مارست الخدمة لكل أولادهم أيضاً . ومارست الخدمة للي لي خانم أيضاً ، التي كانت أمها قد ذهبت الى سويسرا . ومارست الخدمة لهذا السيد أحمد أيضاً . أفتخر بذلك» . فقال أحمد وفا ، الذي كان قد عمر الكؤوس :

ـ «أنت سيد ، يا أوسامد آقا» . فقال أوسامد آقا :

ـ «أنا خادم . خادمكم جميعاً ، بعليّ ملك الرجال» .

تم شرب نخب السلامة ، ووضع أوسامد آقا مقدار رأس أصبع من الملح على طرف لسانه مزةً . ثم صب بنفسه فنجاناً آخر وشربه فوق هذه المزة نفسها . وترك بقايا اللبن والخيار أمامي .

سألت مبتسماً ، وبلا اهتمام :

ـ «يا أوسامد آقا ، جناب العقيد عباس ديوان لقا أخوك غير اللح ، ما محله من الإعراب بين كل هذا ؟» . فقال أوسامد آقا باهتمام وبلهجة بروجنية راحت تتخذ قواماً :

ـ «أعرض عليك ، يا سيدي المهندس ، إنني وعباس جئنا من أم واحدة وأبوين مختلفين . يعني إن الأم لم يكن عندها ، في البدء طفل غيري أنا . بعد وفاة أبي ، صارت صيغة(٩٦) حائك گليم(٩٧) بروجني أمور معيشته دارجة . تركتني أمي في أمان الله . في زاوية كوخ ، في زاوية شارع ، في زاوية اصطبل ، أينما كان . ثم ولدت عباساً تربى

في ريش البجع - وأنا في روث البقر . وذهب عباس الى طهران فدخل كلية ضباط الشرطة ، بينما ذهبت أنا الى شيراز لخدمة الأسياد . يقول المثل : لا يمكن تبييض گليم مَن حيك في الأصل أسود - لشخص ما - بماء الكوثر وزمزم » . كان مَلامه ، سَواء بلحنه أو بدون لحن ، صافياً . فقلت :

- « إذن ، فعن طريقك تعرف ديوان لقا في طهران على عائلة إيمان ؟ وأخذ فرخ خانم » .

كان أوسامد آقا يحدق مرة أخرى الى كأس عرقه الخالية ، كما لو كان يبحث عن شيء فقده هناك في القعر منذ سنوات . وقال :

- « نعم... في السنة التي أطلقوا فيها النار على صاحب الجلالة الحالي في الجامعة ، جاء هذا السيد أحمد ولي لي خانوم من شيراز الى بيت أخي الذي كان بطهران . استأجرا الطابق الأعلى وأقاما فيه . كم كان عمر فرخ في ذلك الوقت ، يا سيد أحمد ؟ » . فقال أحمد وفا :

- « أكان عمرها ست - سبع سنوات ؟ » .

- « لا يا بابا ، كان عمرها عشر أو إحدى عشرة سنة . لقد شربنا كثيراً ، يا أحمد آقا . لماذا تخلط ؟ » .

ضحك أحمد وفا ضحكة بطنية ، ولكنه هز رأسه وقال :

- « لا... كما قلت ، كان عمرها ست - سبع سنوات ، لا أكثر من ثماني سنوات » .

- « لا يا بابا ، كانت ژاله في ذلك الوقت في السابعة حين أدخلتموها درس الفاليه » .

- « بعد زمان مصدق ، أدخلت الأم ابنتها ژاله درس الباليه » .

- « أ... بابا ، أفليس تفاوت أعمار البنات سنتين بين الواحدة والأخرى ؟ أفلم تأت ژيلا الى الدنيا في ليلة ٢٨ مرداد الشهير ؟ » .

هز أحمد وفا رأسه باسماً . مرة أخرى راح يضرب الإيقاع بأنامله على مقبض الأريكة . قال :

– « من الذي يخلط يا أوسامد آقا ؟ كان خسرو هو الذي جاء الدنيا في ليلة الثلاثين من تير[٩٨] الشهير لقوام السلطنة[٩٩] . ويبدو أن ژاله جاءت الدنيا في ٢٨ مرداد إياه » . فقال أوسامد آقا :

– « ربما » . فقلت :

– « تحدث عن الليلة الشهيرة » وقال أحمد وفا :

– « كان خسرو في الواحدة » . وكان يجدد ملء الكؤوس . فرفع أوسامد آقا كأسه وسرعان ما شربها . مع رأس أصبع من الملح . وصب أحمد وفا الفودكا مرة أخرى ، فيما يبدو أنه رسالته الوحيدة في هذه الدنيا .

– « إنك لا تتفضل بالشرب ، يا سيدي المهندس ؟ » .

– « على عيني . قليلاً قليلاً » .

– « أكان اللبن والخيار جيداً ، سيدي المهندس ؟ » .

– « ممتاز... » . كان أشد خيار ولبن حموضة وعفونة وبعثاً على الغثيان ، مما التصق بفمي حتى الآن ، بحيث يبدو أن لبنه جمع من الوحل المتعفن لقعر خزينة[١٠٠] حمام من منخفضات بروجن ، وخياره من مراحيض دولاب[١٠١] . وبدلاً من الطرخون والكشمش كان فيه دود .

أعدته الى أصل الموضوع . قلت :

– « يا أوسامد آقا ، اتضح لي الكثير من أمور ذلك الصيف . أعرف واقعة غرام فرخ وديوان لقا . كما أعرف قضية الطفل » . لبثت قليلاً ، وتركت هذا الكلام يستقر في ذهنه ، ثم قلت :

- «أريدك الليلة أن تشرح لي قضية الليلة الأخيرة التي رأيت فيها المرحوم سياوش حيا مثلما رأيته» .

تخيطت عينا أوسامد آقا الصغيرتان بفمي وبعيني ، كما يستقر سهم في الهدف . رفع كأسه ، شربها وجاء برأس أصبع ملح الى لسانه . وقال بلا اهتمام :

- «في تلك الليلة لم أبق هناك إلا بمقدار شربة ماء» .

- «بعد أن كان السيد وفا قد جاء وراح ؟» .

- «ها» .

- «أية ساعة كنت هناك ؟» .

- «لا أدري ، بعليَ ملك الرجال . أول الليل . لا أذكر . يبدو أنه كانت مضت منه ساعتان أو ثلاث . كانت المدينة مضطربة . كانت ثمة ثورة وانقلاب . كان الأميركان ينفذون انقلاباً كي يخربوا بيت مصدق ذاك . يا سيدِ أحمد ، ألم تكن تلك الليلة التي رزقت ولي لي خانوم فيها زيلا ؟» . كان يشط عن الموضوع .

لم يكف أحمد وفا نفسه حتى هزة رأس . كانت أصابعه فقط مشغولة ، وكان ما يتبقى من وجوده متروكاً سائباً على الأريكة . قلت :

- «حسناً ، يا أوسامد آقا ، لقد وصلت ليلة السابع والعشرين من مرداد الى كرج . ماذا كان هناك ؟» . فقال :

- «كانوا قد تناولوا العشاء وقد ناموا . العبد لله ذهبت الى عند الباب . كان ثمة من المال خمسمائة ، وبضعة كتب ، لسياوش خان . كنت جلبتها ، فأعطيته إياها» .

- «كيف كانت حال شياوش ؟» .

أوقد أوسامد آقا سيجارة من أخرى ، وكانت عيناه الى أسفل .

قال :

- « قالوا إن سياوش خان لم يكن على ما يرام » .

- « من قال ؟ »

- « فرخ » .

- « ما كان بسياوش ؟ » .

- « لا أدري والمولى . قالت إنه ليس على مايرام . كان سرير نوم سياوش خان في الغرفة الخلفية . قالت فرخ خانوم إن سياوش خان نائم في الغرفة الخلفية ، ليست حاله على ما يرام . الصدق والكذب في رقابهم . قالت إن سياوش خان تناول العشاء ونام ، وإنه مريض ، وجاء عباس بعدئذ ليأخذه الى المستشفى » .

- « ومن عباس ؟ حضرة العقيد ؟ » ،

- « نعم ، عباس ديوان لقا . هذا الذي أعرضه في خدمتك بالله الذي لا شريك له لم يخرج من شفتيّ المهمورتين المختومتين منذ ثلاث وعشرين أو أربع وعشرين سنة . وأقوله الآن حباً لوجه خسرو ولمجرد التفكير بخسرو خان » . فقلت :

- « إذن ففي تلك الليلة كان الشمع والوردة والفراشة والبلبل(١٠٢) مجتمعين في بستان كرج » .

كان أحمد وفا جالساً والكأس بيده ، دائخاً ، ينظر . كأنه لا يزال يستمع . وقال أوسامد :

- « قسماً بقبلة الحاجات هذا ، بأرواح الدكتور وتربته ، وقسماً بروح سياوش ذاته ، إن كنت أنت قد رأيت سياوش خان تلك الليلة فقد رأيته أنا » .

- « صحيح » .

- « قالت فرخ خانم إنها ذهبت الى الشارع تلفنت كي يأتي جناب النقيب ديوان لقا فينقل سياوش الى المستشفى . قالت إن سياوش خان نفسه لا يريد الذهاب للمستشفى » .

- « فرخ نفسها قالت هذا الكلام ذلك اليوم ؟ » .

- « إي والمولى . أو : لا أدري ، لا أذكر ، ربما قالت إن النقيب جاء وذهب كي يجلب سيارة إسعاف لسياوش خان كي يأخذه الى المستشفى . قالت إنه يقول : لا شيء سيتحسن » .

- « إذن كان المرض محسوساً تلك الليلة » .

- « ها... فرخ خانم نفسها في البدء كان عندها خوف وبلاء . قالت لي أن أذهب فأرسل كلثوم كچل أو أذهب بنفسي فأجلب دواء قيء واستفراغ لسياوش خان » .

- « أكانت فرخ خانم مريضة أيضاً ؟ » .

- « ها ، كانت مثل زوجها . كانت نفسها مثل سذاب على النار ، مثل البندول تدخل وتخرج » .

- « صحيح » .

- « كان لونها كالجص تماماً . شعرها مضطرب . كان خسرو يبكي في حضنها . بنت الستة عشر عاماً تلك صارت تلك الليلة فجأة امرأة في الثلاثين أو الأربعين » .

- « ومتى جاء ديوان لقا » .

- « أعرض لجنابكم... لم تكن حال سياوش خان على ما يرام » .

- « قلت إنك لم تر سياوش تلك الليلة » .

- « لم أره - ولكن كان معلوماً أن ثمة أمراً » .

رفع كأسه فشربها . سكت . نظر من النافذة الى الخارج . وراح

يصغي للمطر . وحاولت أن أضع أمامه طريقاً أكثر راحة ، فسألته :

- « أيمكن أن يكون سياوش قد أكل شيئاً ؟ يعني أيمكن أن يكونوا أطعموه شيئاً ؟ » .

وضع أوسامد أقا رأس أصبع ملح على أسلة لسانه . وقال :

- « هذا لا يعرفه إلا هما وربهما » .

- « إذن فإن فرخ خانم لا تقول الحق عندما تدعي أن موت سياوش كان نتيجة للانتحار في النهر ؟ » . ولم أنظر الى أحمد وفا .

هز أوسامد آقا رأسه ، واكتفى بالقول :

- « يا الهي ، ليكن فأل زينب حقاً... » ، وهو أيضاً لم ينظر الى أحمد وفا ، الذي كان لايزال ملقى على الأريكة فقلت :

- « حسناً ، كنت تصف تلك الليلة ، يا أوسامد آقا » .

سكب أوسامد آقا لنفسه كأساً أخرى . كان نطقه يزداد انفتاحاً ولهجته البروجنية تزداد حيوية . لو كان عندي مقياس لغة معياره الكحول لقست ارتفاع لهجته بارتفاع نسبة الكحول في بدنه . كلما كان يزداد سكراً كلما كان يعود أكثر الى أصله ، ويزداد بروز استعداده الرائع للتلاعب بالألفاظ . قال :

- « نحن ، أيها السيد الذي هو أنت ، نجيء الى آخر البستان ، نحو المطبخ . كلثوم كچل هناك بجثتها الفائضة تجلس القرفصاء متكومة . أقول : كلثوم كچل . تقول : ما هناك لا تدعني أنام ؟ ما لكم الليلة كماء الحقنة في رواح ومجيء دائماً ؟ أقول : أي كلثوم كچل ابنة الكلب ، تلخبطت حال سياوش خان ، يحتاج الى دواء وعلاج ، قومي وإلا يموت . كلثوم كچل تقول : واي ، لا تقل . واي ، ليمت أبي ، خرب بيتنا . أقول : ليحثوا التراب على رأسك الأقرع هذا ، إنه لم يمت ، فقط تلخبط حاله . عنده قيء واستفراغ . لابد أنك أعددت طعاماً

.... نيكن في مخك التراب . أو ماذا فعلت ؟ قومي ، قومي ضعي ... صلاتك على رأسك وحذاءك في قدمك . واركضي اذهبي الى رأس جسر . الصيدلية مفتوحة ، ادفعي هذين التومانين وقولي إنك تريدين دواء قيء واستفراغ . خذيه وهاتيه . لا تأتي دون دواء وإلا يموت سياوش خان . فتقول كلثوم كچل : واي ، لاتقل ، ليحثوا تراب العالم على رأسي . لاتقل . فأقول : يا بنت الكلب قومي اذهبي ، خذي الدواء ، لا تعرضي عليّ الاعيب : أنا غريبة ولا أعرف . أفالموت والحياة في أيدينا ؟ الموت بيد الله . وتقول كلثوم كچل : لاتقل ولا تقل وإلا صار التراب على رأسي . إذا فهمت الخانوم ، إذا فهم الآقا ، سيصير التراب على رؤوسنا كلنا! » . فقلت :

– « حسناً جداً يا أوسامد آقا ، لا تُطل . أذهبت كلثوم سلطان ؟ » .

– « ها . أعطيناها تومانين ، وأرسلناها كي تذهب » .

– « لماذا لم تذهب أنت الى الصيدلية ؟ بقيت أنت في البيت وأرسلت خادماً قروية لا تميز شيئاً » . حدّق إليّ طويلاً ، كما لو كان لا يراني أصلاً . كما لو كان هو نفسه في كرج الآن ، عشية ٢٨ مرداد إياها . وقال :

– « كانت فرخ تخاف ، قالت أن أبقى أنا ، وتذهب كلثوم » .

– « مم كانت تخاف ؟ »

– « والله لو كانت روحي تعلم » .

– « حسناً ، ماذا فعلت بعد ؟ » .

– « جلسنا على حافة الحوض ، صببت قليلاً من الماء على رأسي ووجهي . أية ليلة! ضيق ، حرارة ، اختناق ، تشابك . الخلاصة : بعد نصف ساعة جاء صوت (جيپ) عباس . أوقفها وراء الباب . ذهبت

ففتحت الباب . كان عباس وحده . بلباس الخدمة . المسدس معلق بالنطاق . جاء فدخل ، دخل غرفة سياوش خان... تكلم مع فرخ . تهامسا فيما بينهما . يعلم الله أي تقرير قدمه الواحد منهما للآخر» .

نظرت نحو أحمد وفا . وكان الآن ينظر ثملاً الى أمام ، ووجهه مثل داتورة[١٠٢] مرة بالضبط . فسألت :

– «أعندك علم عن هذه الأمور يا جناب وفا ؟» . فهز أحمد وفا رأسه المجعد الجليل الأشمط . سألته :

– «ألم تقل لك فرخ ذلك اليوم شيئاً عن مرض سياوش ؟» . فهز رأسه .

– «متأكد ؟» . فقال :

– «ماذا أقول بالله ؟» . لم تعد له طاقة على الكلام . أو لم يكن له رمق للكلام . فالتفتُّ نحو أوسامد آقا :

– «كنت تقول...» .

أخرج أوسامد آقا من جيب صداره أفيوناً فوضعه في فمه . ثم قال :

– «كل ما كان وما لم يكن فهو من تحت رأسيهما» .

– «من يكون «هما ؟»» .

– «فرخ وعباس... ليلى ومجنون ، شيرين وفرهاد[١٠٤]» .

–«حسناً جداً . ماذا جرى أخيراً ؟» .

– «بعد كم دقيقة يخرج عباس وفرخ . يقفان عند عتبة الباب . يتثاءب عباس . يلوي عباس يديه لينشطهما – يعني أنه ليس ثمة شيء . ثم يقول : أوسامد آقا تفضل نذهب فليس ثمة شيء ، الحمد لله . يقول : إن سياوش خان قد نام . ليس ثمة خبر أو أمر .

لنذهب» .

نظرت في عيني أوسامد آقا ، وسألته :

- «وهذه هي الحقيقة والحق والصدق التي لا كذب ولا رياء فيها ؟» .

- «بأبي الفضل العباس - ماذا أقول» .

- «الحقيقة أم لا ؟»

- «أقول لا ؟ أقول ها ؟» .

فهززت رأسي . لاتبدو كلمة واحدة من هذا الكلام صحيحة . سألته :

- «ثم ماذا ؟»

- «ثم انتهى كل شيء» .

- «وعدت أنت وديوان لقا الى المدينة ؟» .

- «ها» .

- «وفي اليوم التالي قالوا إن سياوش غرق في النهر» .

- «ها» .

- «كم كانت الساعة تلك الليلة عندما عدتما ؟» .

- «ماذا أقول بالله . لا أذكر» .

- «خمّن» .

- «كانت ساعتان أو ثلاث من الليل قد مضت . كانت العاشرة أو الحادية عشرة . قال عباس ألا أقول لأحد إنه جاء الى هنا» .

- «لماذا ؟» .

– «أفلم تكن تلك الليلة عشية الثامن والعشرين من مرداد ؟ كنت كل القوات المسلحة في حالة إنذار . وكانت تتهيأ للثورة والانقلاب . لم يكن عباس يريد أن ينتبه أحد الى أنه كان قد هرب من الخدمة ، أنه كان قد خرج» . وأخرج حبة دقيقة أخرى وضعها في حلقه وابتلعها .

– «لم يكن ثمة سبب آخر ؟» . نظر إلي أوسامد آقا دون أن يرفع رأسه . وقال :

– «الله نفسه العالم» . وصب لنفسه قعر كأس آخر ، فسألته :

– «عندما عادت كلثوم ، ألم تكن أنت هناك ؟» . فقال :

– «لا . كان قد انتهى ، انتهى . غربلوا الغلّة وعلقوا الغربال(١٠٥) . جلب عباس العبد لله الى المدينة . جاء بي فأنزلني قرب ميدان (تمثال ٢٤ اسفند) ، وقال : اذهب . لم تسمع ولم تر شيئاً . وذهب هو أيضاً الى إدارة الشرطة ، مقر خدمته...» .

نظرت الى أوسامد آقا وأحمد وفا . كانا مثل ظلّين بالضبط ، يجلسان وفي اليدين كأسان خاليتان – غارقين في غبار الماضي وضبابه وكحول الحاضر . مبهوتين . خاليين . لم يكن يملأ سكوت الغرفة غير بقبقة وعاد الماء يغلي . والمطر لا يزال يضرب ما وراء النافذة . قلت بعدئذ :

– «يا أوسامد آقا ، تلك الليلة كان سياوش ميتاً... صحيح ؟» .

رفع أوسامد آقا رأسه . كانت عيناه حمراوين متعبتين... وثقيلتين . ثم اكتفى بأن مد يده صامتاً نحو الزجاجة ، كما لو كان يريد أن يتشبث بشيء كي لايقع . وصب لنفسه عابساً ، ثم قال :

– «الله نفسه يعلم» . فكررت :

– «كان سياوش تلك الليلة ميتاً ، أوسامد آقا . لم يكن موجوداً في اليوم التالي . لم تكن ثمة سباحة . لم يكن ثمة غرق . هذا ما

أردت أن تقول ؟» . رفع أوسامد آقا عينيه السكرانتين نحوي ، وقال :

- «آخ ، إلهي...» . وأخرج مسبحته من جيبه . فرّ خرزاتها مطقطقاً ، ثم قال :

- « (ضرب فأخذ يد الشاهنشاه ولحيته

وجره ذليلاً الى التراب ، فوا عجباً)[١٠٦] » .

نظرت إليه ، وفكرت في أن ما كان ينبغي أن أعرفه عن سياوش إيمان قد عرفته الآن . لم يكن المدرك والسند والاعتراف وحكم المحكمة لازماً .

ولابد أن خسرو فهم الأمر على ذلك النحو عصر اليوم .

فنهضت .

كان أوسامد آقا لايزال في خانة الشعر ، فقال متمتماً :

- «(مهموم من شرارة العشق والانتقام)»... كانت لهجته البروجنية تتلاطم في الشعر . كنت ما أزال أنظر إليه . فقال :

- «من نظم الدكتور حميدي شيرازي . (ودمرنا العشق والانتقام) .» .

نهضت فأخذت عصاي . سحبت آهة طويلة وأفرغت رئتي بغيظ ، وقلت :

- «في أمان الله أيها السيدان . أشكر لكما ضيافتكما . أريد أن أعرف فقط إن كان يمكنكما أن تخمنا أين يمكن أن يكون خسرو الآن ؟» . فقال أحمد وفا :

- «في بيت فرخ... جوابه هناك» .

- «أأنت واثق أنه هناك ؟» .

- « طبعاً إن لم يكن قد ذهب حتى الآن فمزق بطن أمه . مثل رستم البطل الذي شق بطن سودابه بالخنجر » . فقال أحمد وفا :

- « إيه... أوسامد آقا ، لا تقل أمثال هذه الخزعبلات بعد » . فقال أوسامد آقا :

- « على عيني... على عيني » . ثم قال : « ما رأيك أنت ، يا سيدي المهندس ؟ » . فقلت :

- « ربما » . قال :

- « (إذا ذهبوا لقعر البحر كالسمك

وإن غاصوا في سواد العالم كالليل

ولو مثل النجمة غابوا في السموات السبع عند الفجر)[١٠٧] فليس لهم منجى من حقد خسرو . هذا هو الطريق ، وهذه هي العلامة! سيعثر عليهم خسرو ويجازيهم » .

- « من هم ؟ » .

- « كلاهما » .

- « وهذا هو ما كنت تريد يا أوسامد آقا ، ها ؟ » .

- « ها . أنا الخادم فادي روحه للجميع » . أخيراً ، سألت :

- « يا أوسامد آقا ، خادمتكم ، كلثوم سلطان ، تذهب في اليوم التالي لذلك ، من البستان فتغيب ، ألم تكن أنت الذي أخذتها من هناك ؟ » . فقال أوسامد آقا :

- « فادي روحه خادمك ، وروحي تجهل هذا الأمر جملة وتفصيلاً ، بأبي الفضل » . فقلت :

- « ذهبت فرأيتها مغرب هذا اليوم . لقد قطعوا لسان المرأة

المسكينة . لقد رأت شيئاً حمل أحدهم على قطع لسان المسكينة مع شفتيها وبوزها ، ليستأصله وروحك تجهل الأمر جملة وتفصيلاً بأبي الفضل» . فقال أوسامد آقا :

- «ها . لا أدري ما أقول والله» .

لم يعد الجدال معه ذا جدوى . ودّعت وانطلقت خارجاً ، تحت المطر الذي كان - أسوأ من خسرو - قد قبر كل المدينة في طياته .

- ١٥ -

عندما خرجت من منزل أوسامد آقا في آذار كان المطر قد صار أدق وأكثر تناثراً . وكانت ريح قوية جداً وباردة تهب الآن من جبال (ألبرز)[١٠٨] . من بين حفر الإسفلت الخرب ، والحفريات المتعددة للماء والغاز والتلفون ، وظلمة وضياء حي شهرآرا ، انطلقت باتجاه البولوار . كان راديو السيارة قد بقي مفتوحاً ، وها هو الآن وسط المطر والطين يغني لنفسه (زهور الخالدين) ، كما لو أنه وجد لنفسه روحاً مستقلة ، فراح يغني عن وضعية الشعب الإيراني . في برنامج الزهور يطلب الشاعر السمح الكريم من الله مائة ألف روح في اليوم كي يموت مائة ألف مرة من أجل المعشوق . كان ذلك حسناً . يأخذ من الله فينقل للمحبوب - أصل عمل جعبة الترانزيستور . أما أنا فلم أكن أريد غير سرير نوم يريح عضلاتي وساقيَ وحوضي المتعبة . ولكن الموجود فعلاً هو مجرد شارع (أمير آباد) ، خالياً خالياً ، معتماً ، تتغامز المصابيح الحمر والخضر والبرتقالية عند تقاطعاته معاً وتغازل إحداها الأخرى فتذوب فيها . كانت المدينة الملخبطة ترتخي قليلاً قليلاً تحت السواد . منذ العصر ، حين خرجت تحت المطر من منزل فرنگيس ، حتى الآن ، كان يبدو عصراً ومغرباً وليلاً طويلة وزائدة عن الحد - بلا نهاية تقريباً .

فكرت في خسرو . في هذه الليلة الطويلة المخيفة الباعثة على الجنون ، لم يكن قلبي يحب لي أن أكون مكان خسرو إيمان - ديوان لقا . كانت ليلة ما بعد عرسه ، بفتاة مثل ثريا ، وكان يمكنه أن يكون الآن في آبادان ، أن يكون غارقاً في الحب والجنس والحياة ، ولكنه ينبغي أن يكون في هذه المدينة ، في تلاطم وطوفان ، تائهاً يدق أبواب سوء حظه بقبضنه كي يبلغ حقيقة جذر حياته الموحل : من أن أباه قد قُتل... والأكثر إرعاباً من ذلك : من أنه لم يكن من صلب أبيه العظيم .

وكنت أفكر في سياوش إيمان أيضاً . كان سياوش إيمان رؤيا دنيا هؤلاء المؤسفة ، الذي تمرد قبل ثلاث وعشرين سنة في حدود أرض الجواهر[١٠٩] ، فهلك ، طبَق مُثُل أهورا مزدا[١١٠] داخل الأوضاع الراهنة فلقي لطمة على فمه وصار تراباً .

في مكان من البولوار ، من كشك تلفون عمومي ، تلفنت لفرنگيس ، كي آخذ منها رقم تلفون أم خسرو إن كان عندها . كانت فرنگيس تلازم الخفارة عند التلفون ما تزال . لم يكن ثمة خبر عن خسرو بعد ، قلت لفرنگيس إنني حصلت على أشياء . ولكن لايمكن قولها بالتلفون . أخذت رقم تلفون أم خسرو من فرنگيس . ومرة أخرى ودعتها .

وضعت قطعة أخرى من فئة الريالين وأخذت رقم منزل أم خسرو . لم يرفع أحد السماعة . تركت التلفون يرن أكثر من عشرين مرة . ضغطت القلاّب ثم طلبت الرقم مجدداً . قلت أدق عشرين مرة أخرى ثم أترك . عند الرنة السادس عشرة رفع أحدهم السماعة ولكنه لم يقل شيئاً . قلت :

- «منزل جناب العقيد ديوان لقا ؟... يا سيدتي أنا من أصدقاء خسرو . هلو ؟» . يبدو أنني أدق - أنا الآخر - أبواب سوء الحظ والوحل .

جاء صوت شبيه بصوت فرخ خانم أن :

– «نعم ، ماذا ؟» .

– «السيدة ديوان لقا ؟» .

– «نعم ؟...» . فقلت :

– «ألتمس المعذرة إن كنت ايقظتك من النوم» ومرة أخرى قدمت نفسي ، وذكرتها أننا التقينا عصر ذلك اليوم في المستشفى . لم تجعل نفسها قرباناً وصدقة من شدة الاشتياق . قالت :

– «ماذا أيضاً الآن ؟ في هذا الوقت من الليل ؟» . فسألتها :

– «خسرو عندك ؟» .

– «لع!» .

– «ألم يأت هناك ؟ ألم يتصل ؟» .

– «لع! لع!» .

– «متأكدة ؟» .

فاستلت آهة مليئة بالغيظ ، ثم قالت :

– «ما هذا الاستنطاق ، يا سيد ؟ إن عندك – ما شاء الله – العادة الرجولية السيئة في أن تسأل فقط» .

– «أرجو المعذرة ، إنني...»

– «انطلقت تسأل عن حياة الناس الخصوصية ، أنا زوجي المسكين في المستشفى ، وراح ابني فصار متمرداً ، انطلق في المدينة ، مغشوشاً مختلاً يتقلب وسط التعاسة والبؤس ، ولا أدري أيضاً أين هو الآن . قلبي يفور...» ، فقلت مرة أخرى :

– «أرجو المعذرة ، إنني...» .

- « ... وصلت المنزل الساعة التاسعة . وحيدة ، تعبى ، ميتة ، لم أتناول عشاء . ابتلعت ست حبات آسبرين . أطفأت الأنوار ، وجئت لأنام . وها أنا اضطر للنهوض من النوم كي أجيب على تحقيقك» .

كانت عندها العادة النسوية الحلوة ، إذ بمقدورهن أن يتكلمن باستمرار وبلا توقف . قلت :

- «سيدتي ، خسرو إنسان ، وبالنسبة لي صديق ، وحالياً : قريب . لقد تزوج خسرو من ابنة أختي - أختي الوحيدة . وهو الآن جزء من عائلتي الصغيرة . نحن نحبه جميعاً . وعندي دليل كاف على أن حياة خسرو الآن في خطر» .

- «ماذا... ؟» .

- «ذكرت أن ثمة دليلاً كافياً على أن حياة خسرو يمكن أن تكون في خطر . أريد - إن أمكن - أن نساعد خسرر . أن نحميه» .

- «حسناً ، ماذا أفعل أنا ؟... أفآخذه فأقمطه ؟ أشد يديه ورجليه ؟ ماذا أفعل ؟» .

- «فكري إيجابياً» .

- «ماذا أفعل ؟» .

- «فكري إيجابياً . فكري بمحبة . لنساعد خسرو» .

- «هوم...» ، كما لو كنت ضربتها على مفرقها .

- «صدقيني ، إن كل ما نريده هو أن نساعد خسرو إن أمكن» .

- «حسناً ، ساعدوه... لماذا تسألني ، أنا المسكينة ، كل هذه الأسئلة المعقدة ؟ أي سوء فعلته لخسرو ؟» .

- «لم يقل أحد إنك فعلت سوءاً لخسرو» . عندها عادة حلوة أخرى إذ كان يمكنها ، عندما يتكلم الآخرون ، أن تصم أذنيها معاً ،

تواصل هي الكلام . قالت :

- «من أجل أن يكون لخسرو أب ذو اعتبار وشرف ضحيت بكل روحي وعمري وحياتي من أجله منذ أن كان في سنته الأولى . لم ألد طفلاً آخر . كان العقيد يريد أن يكون لنا أطفال ، ولكنني قلت لا . استعملت مانعاً . لم أكن أريد أن يكون أحد أبنائي من زوج ، والآخرون من زوج آخر» . فسألتها :

- «أكان سياوش أبا خسرو الحقيقي ؟» .

بقيت صامتة بضع ثوان . ولكنها تجاهلت هذا السؤال بعدئذ وقالت :

- «لقد ضحيت بالدنيا كلها من أجل هذا الطفل . وها هو العالم كله منكب على رأسي يسألني لماذا فعلت هذا ولماذا فعلت ذاك» .

- «أريد فقط أن أعرف أين خسرو الآن ؟» . حافظت على هدوء صوتي .

- «ما أدراني ؟! الكل يصرخ بي الليلة» .

- «الكل ؟» .

- «ما أدراني ؟ أنا متعبة» .

قررت ألا أكرر السؤال عن أبي خسرو الحقيقي ، فقد كنت أخشى أن تضع السماعة . سألتها :

- «إذن فقد جاءك خسرو ؟» . فقالت :

- «لا أدري . كنت نائمة . جاء أحدهم فرن الجرس كثيراً . رن الجرس بعصبية . مثل أجلٍ معلق! والى أن ذهبت كي أفتح الباب كان قد انصرف» .

- «أكان خسرو ؟» .

- « لا أدري . كنت لا ألبس غير ثوب شفاف . أفكان بمقدوري أن أطير هكذا فأفتح الباب ؟ » .

- « طبعاً لا » .

- « نظرت من وراء الستارة » .

- « كان خسرو ؟ » .

- « كأنه كان خسرو » . فقلت :

- « جاء خسرو فرنّ الجرس كثيراً . ثم ماذا جرى ؟ أفليس عنده مفتاح ؟ » .

- « لم لا ، عنده مفتاح . ولكن يبدو أنه لم يكن معه » . فتذكرت إضمامة مفاتيحه .

- « إضمامة المفاتيح في سيارته - موجودة » . فقال صوت فرخ من داخل التلفون :

- « الى أن لبست ملابسي كي أذهب فأفتح الباب كان قد انصرف . ماذا أفعل ؟ أفعندي حظ ؟ » .

كانت منذ ولادتها كثيرة الشكوى نوّاحة مضطربة وفي وضع رديء، قلت :

- « إذن فلم تفتحي الباب - فذهب خسرو » .

- « يا بابا ، ماذا أفعل ؟ وا! كنت عارية . وفي الخارج كان المطر يهطل مدراراً . أفما كان واجباً أن أضع على جسمي شيئاً ؟ أوا لتصبني كارثة » .

- « كم كانت الساعة ؟ » .

- « الآن بالضبط . قبل ساعة واحدة » .

– «أدقَ قليلاً...»

– «لا أدري . قبل ساعة ، قبل ساعتين ، كنت قد أتيت لتوي . أنا لا أظن أصلاً أنه كان خسرو» .

– «يا سيدة ، لطفاً لا تغالطي . الآن ونحن نكاد نصل الى شيء ما» .

– «لا أدري . أنا متعبة . كل بدني يرتجف» .

تصورت جسدها الأبيض في قميص النوم الشفاف . كان حسنا . قلت :

– «إذن فقد كان أول الليل . أتظنين أنه اعتقد أنك لست في البيت فذهب ؟ أم أنه ظنك في البيت ولكنك لا تفتحين له الباب ؟ أيهما ؟» .

– «وما الفرق ؟ ما هذه الإيرادات وأسئلة بني إسرائيل ؟» . لم أعرف إن كانت لهجتها خائفة أم مخادعة .

– «الفرق هو أنه يمكن أن يعود – يمكن أن يعود إذا ظن أنك لم تكوني في البيت» .

– «يعني ماذا ؟» .

– «يعني يجب أن نكون على حذر . أأنت وحدك في البيت ؟» .

– «ماذا ؟» .

– «لا شيء ، لا شيء...» . ثم سألتها : «ماذا تظنيه قد تصور ؟» .

فتنهدت مرة أخرى تنهيدة مليئة غيظاً . أحسست ارتعاش نفسها في التلفون في صمت الليلة المطيرة وسوادها ، النفس الذي كان يشبه هسيس أفعى ينبعث من قعر جحر . سألت :

- «ماذا ؟ لماذا تحاكمني ، وتعدمني ؟ كل انزعاج وعقدة عندك من أي مكان في آبادان جلبتها لتخليها فوق رأسي . إن عائلة تناسب أخرى إنما تفعلان كي تفرحا ببعضهما ، تعيشا معاً ، تجلسا فتتحدثا وتضحكا وتكونا حميميتين ، ولكنك الليلة ، بوصفك - زعماً - من طرف عائلة كنّتي المدللة تحاكم وتعدم» . كانت قد ناشتها النار ، فكانت تقول كل ما يخرج من فمها ، دون أن تهتم منّ الذي تصيبه بجراح . قلت :

- «هذه الأعمال من أجل نجاة حياة خسرو ، يا سيدة . إذا ما فهمنا تفكيره ، فسيساعدنا هذا على أن نخمّن أية خطوة يكون خطاها بعد هذا ، أي عمل يمكن أن يكون قام به» . فقالت :

- «أفعندي علم الغيب ؟» . قلت :

- «إنه منذ ليلة أمس حتى الآن ذهب الى بيت جدته لي لي خانم . الى المستشفى عند العقيد . لا أدري ، الى منزل كلثوم سلطان . ذهب الى بيت جدته لأبيه السيدة دكتر إيمان...» .

- «وا! لم هو حمار لهذا الحد ؟» .

- «ماذا تقصدين ؟» .

- «لماذا يفعل هكذا ؟» .

- «وذهب مرتين أيضاً الى منزل أوسامد آقا... لف المدينة كلها كالمجانين ودوّخها ، ترك سيارته في طين زقاق حاج رضا معزز أمام جحر كلثوم سلطان . ولا أدري الى كم ألف مكان آخر ذهب ، وأية أمور أخرى فهم . آخر مكان سمعت أنه ذهب إليه هو بيتك . لكي يسمع ، ولا بد ، الحق والصدق من فمك» . فقالت :

- «ماذا ؟ يسمع ماذا ؟» . قلت :

- «الحق والصدق . الحقيقة عن أبيه» . إن هذه الكلمات ، عن

هؤلاء ، صارت تهيج قلبي . قالت :

- « آه! الحقيقة ، الحقيقة ، الحقيقة... أفنزلت آية أصلاً ؟ أصلاً ما الحقيقة ؟ » .

عندما كانت تنطق هذه الجمل بقيت مدة ساكتاً في كشك التلفون تحت المطر . جلبت التلفون الى أمام وجهي ، وحدقت في شيء أسود فظ في يدي - كي أسأل جواب جملة من شيء أسود في يدي... وعندما ألصقت السماعة مرة أخرى بأذني كان صوت فرخ ديوان لقا يقول :

- « آخر... ما يسمى بحقيقة الماضي ، ما يمكنه أن يفعل لخسرو ؟ غير أن يجلب تعاسات جديدة للجميع ؟ ها ؟ قلت إن الأمر الوحيد الذي يمكن للماضي أن يفعله لخسرو هو أن ينمحي ، أن يضيع ، أن يترك الجميع يرتاحون . والله ، بالقرآن المجيد . آخر... ماذا ؟ يفهم ماذا ؟ الحقيقة . آه! لتأخذ الكارثة هذا الوضع . لتأخذ الكارثة هذه الليلة السيئة . ما هذه الألاعيب التي يقوم بها! الحق والصدق!... أسوأ من سياوشه ذاك » .

حتي لفظ كلمتي « الحق والصدق » - اللتان هما كلمتا خسرو - كان منفراً لفرخ ديوان لقا . قلت :

- « أكان سياوش هكذا أيضاً ؟ » .

- « ماذا ؟ » .

- « أكان سياوش يتحدث عن الحق والصدق أيضاً ؟ » .

- « ذاك أيضاً أسوأ من هذا . الحمد لله أن ذاك لم يعد له وجود لكي تريد أن تنبش قبره فتستنطقه » .

- « إنني لا أستنطق أحداً . وخاصة سياوش » .

- « كله تقصير ذاك . بأفعاله تلك . بكلامه ذاك - بخصوص هذه الترها... » .

- «أكان تقصير سياوش أنك ذهبت إليه ؟» .

- «لا ربط لهذا بأحد» .

- «ولكنه مربوط بخسرو» .

- «وما شأني ؟» . فقلت :

- «سيدتي ، أرجوك كوني منطقية قليلاً . إنكم أخذتم ، منذ ليلة أمس حتى الآن ، فتى فحطمتم روحه ، ومرغتم - أمام عينيه وعيني عروسه - رؤيا أبيه ، التي كانت مهمة بالنسبة له ، بالدم والوحل . والآن تقولين ما شأني» .

- «أنا ؟ أنا مرغت بالوحل ؟ أكان حادث ليلة أمس تقصيري ؟» . فقلت :

- «ليس قصدي ليلة أمس ، كما أنني لا أقصد شخصك بالذات . ولكنك أمه» .

- «ألم أربَ ولدي بحيثية واعتبار وشأن في هذه البلاد ؟ والآن صرت أنا التعيسة المسكينة مقصرة ؟ أنا التي لوثت عرس طفلي بالدم ليلة أمس ؟ أنا التي فعلت تلك الأعمال ؟ أنا التي قلت ذلك الكلام المحير ؟ أنا التي قمت بأعمال الحقد والضغينة البعيرية تلك ؟» .

- «لا . ليلة أمس لم تقومي بأي من هذه الأعمال» .

- «فما الذي تدّعيه عليَّ إذن ؟» .

- «أنت وشركاؤك قبل ثلاث أو أربع وعشرين سنة زرعت بذرة هذه الفاجعة في بستان كرج...» .

- «أنا وشركائي من ؟» . كان صوتها الآن ، علاوة على كونه موبّخاً ، خائفاً ذليلاً ، فقلت :

- «لقد فهم خسرو كل شيء ، يا سيدتي ، صدقيني . كل

موضوع أبيه الحقيقي وعشية السابع والعشرين من مرداد المشؤومة في بستان كرج ، وسمع كل شيء ، صار كل السيناريو واضحاً له . وإن واجبك الآن أن تساعدي خسرو وتوفري له الحقيقة والهدوء الذي يحتاجه . أرجوك أن تفهمي سبب قلقنا وحبنا من أجل خسرو » . فصرخت مرة أخرى :

– « كلهم أساوا ، كلهم كذبوا . كما خدعوني وسياوش كلهم قبل أربع وعشرين سنة كذبوا » .

– « من خدعك ؟ النقيب ديوان لقا ؟ » .

– « ماذا ؟ » .

– « خسرو يعرف بما جرى لك قبل لجوئك الى سياوش في بستان كرج » . فصرخت :

– « كذب! هذا كذب محض! » . فقلت :

– « هل أعمالك عشية السابع والعشرين من مرداد في بستان كرج كذب أيضاً ؟ هل تدهور حال سياوش كذب ؟ مجيء النقيب ديوان بسيارة جيب كذب ؟ أعمال أوسامد آقا . أعمال كلثوم سلطان ، وباختصار : الأعمال التي قمتم بها كلكم تلك الليلة ، تلك أيضاً كذب محض جميعاً ؟ » . فقالت :

– « أنا أصلا روحي لا تعلم شيئاً عن هذه الأكاذيب والكلام الذي تقول . آخ ، لو كانت يدي تطول هذا الأوسامد آقا لخنقته . آخذه فأخنقه بيدي أنا ، بالقرآن المجيد » . فقلت :

– « إن هذه المدينة مليئة الليلة جداً بالأكاذيب والحيل . ولا أحد تعرف روحه شيئاً عن أي أمر . والكل يريد أن يخنق الكل إن طالته يداه » .

– « سواء تلك الليلة أو هذه الليلة أو دائماً ، ألم أقم بالتضحية

والفداء من أجل حياة طفلي ؟ » .

- « لماذا ؟ أهناك سبب خاص ؟ » .

- « ألست أمه ؟ » .

اتكأت على جدار الكشك وسحبت نفساً عميقاً . حدقت من الزجاج في ظلام الليل . كان الزمن الماضي والزمن الحاضر مختلطين في ذهني المتعب . قلت :

- « ياسيدة فرخ ديوان لقا ، عندي رجاء إليك » . وعندما لم تقل شيئاً ، أضفت :

- « من أجل المحافظة على حياة خسرو ، ومن أجل الحفاظ على حياتك أنت ، أستحلفك بالله أن تُصغي ، أن تفكري . إذا ما عاد خسرو ، إذا ما عاد خسرو ، لا تفتحي له الباب الخارجي ، تكلمي معه من شق الباب . بلّغيه سلامي ، وأبلغيه أنني وثريا ننتظره . وقولي خصوصاً إن عندي شيئاً مهماً له » . فقالت :

- « ما هذه الألاعيب ؟ أفعندي خوف وخشية من طفلي ؟ أف ... » فقلت :

- « انتهى » ، وأسكتّها .

وضعتُ السماعة .

خرجت . تركت المطر يبلل وجهي ، ثم ذهبت الى البيكان فجلست فيها .

مسكين خسرو .

جلست ، أشعلت سيجارة ، ودخنتها عن آخرها . أصغيت لوقع المطر . كان فمي مرّاً وكأن رأسي ولّد دخاناً ، من الألم . لم أكن أدري ما ينبغي أن أفعل بعد . لم يعد ثمة مكان ولا رأس خيط يمكن أن أقتفي

به أثر خسرو . أدرت محرك السيارة ، وتحركت باتجاه منزل فرنگيس . كان المطر يوقع على سقف الپيكان ضرباً كأنه إيقاع رقص الموت .

في منتصف جادة پهلوي ، بين مفترق يوسف آباد وتخت طاووس ، كان لابد أن يسعفني الحظ فأقع فجأة بين أقذر سوّاقي طهران السكارى في هذه الليلة المطيرة من سنة ٢٥٣٥[١١١] الشاهنشاهية السعيدة ، ممن كانوا يشكلون قافلة زفاف لعروس . كانت أربعون أو خمسون سيارة ، يضغط سواقوها أبواقها ، ويرتفع منها صوت الغناء والتصفيق ، تسير بسرعة مرعبة عن يميني ويساري ، وتحاصرني من أمام ومن وراء . وكان السواقون مثل أطفال سكارى أو خيل عربات مجنونة جامحة يتسابقون معي ومع أحدهم الآخر . تشهدت على نفسي وعلى پيكان فرنگيس . التصقت بالمقود بكلتا يدي ، وانتقلت من وسط الشارع من أقصى اليسار الى أقصى اليمين ، وإذ ضغطت الكابح على إطارات سيارتي في الجادة المبللة راحت تتراقص . كان كفاحاً في نزاع البقاء . أخرجني السواقون المحترمون في آخر القافلة ، عمداً ، بالضحك والسباب المقذع والنكات من الجادة ، وكانت المعجزة هي التي جعلت قنطرة صغيرة أمام زقاق فرعي تحملني الى الرصيف ، حتى غابت قافلة العروس ، بين الأبواق والضحك والصخب البانخ وسط ظلمة الجادة ومطرها المصاب بالجنون .

وعندما وصلت أخيراً الى نقطة توقف سحبت يديّ اللتين كانتا مصمغّتين بالمقود ففصلتهما عنه . خرجت وسحبت نفساً عميقاً . أشعلت سيجارة . دخنت نصفها . قلت لنفسي : لا شيء ، أنت متعب يا هذا . أعصابك محطمة ، اذهب الى فرنگيس ، اذهب الى مكان ما ونم قليلاً . حدقت في ظلمات الرصيف . كانت ثمة الى أعلى قليلاً دكة . مطعم (صفاء طهران) . كان لايزال نوره موقداً . تمتمت شتيمة مقذعة على مخترع الزفاف . كما أقذعت لمخترع المحركات والسيارات أيضاً . أقفلت الپيكان ، وجئت نحو الدكة . قال أوسامد آقا شيئاً صحيحاً . إن

المدينة بلا ضابط .

كانت دكة (صفاء طهران) تحمل لوحة صغيرة لـ (كالباس)(١١٢) آرزومانيان(١١٣) . كانت نصف دكان ضيق وطويل ، قذرة ، يتسرب منها ضوء قليل معتم باعث على المرض من مصباح نيون طويل . كان في جانبٍ رفُ المواد ، وفي الطرف الآخر على الجدار شريط من رف خشبي وبضعة مقاعد ، يعني ، للاستقبال . وضعت نظارتي السوداء على عيني وذهبت فطلبت قدح ماء من المسيو - الذي كان هو الآخر متعباً سيء الأخلاق ولا ينظر الى الإنسان أصلاً .

- « ماذا ؟ » .

- « قدح ماء فقط » .

ظن أنني أريد أن ابتلع قرصاً . أو لابد أنه ظن حالي أكثر من ذلك خراباً .

مد قدح ماء من حنفية المغسلة ، فجلست قرب الباب على أحد المقاعد وسكبت الماء قليلاً قليلاً في جهاز الدورة الدموية لبدني ، الذي كانت حرارته وقذارته قد ارتفعتا . كان في آخر المقهى ثلاثة أشخاص أو أربعة يفحّشون ، ويعلقون تعليقات بذيئة على العروس التي مرت وليلة العرس والفعاليات المتعلقة بها . ولكن الزاوية التي كنت أجلس فيها - أمام جواز كسب المسيو ، المؤطر والمسمر بالجدار - وأضع رأسي على جدارها ، كانت هادئة ومنزهة ، مثل محراب كنيسة المسيو بافليك چاپار باريان .

حتى أثناء بضع الدقائق التي أغمضت فيها عيني كي أزيل تعب جنوني ، تراكض النوم والإرهاق الشديد حد الموت الى عيني . كنت في آبادان ، وكان الوقت فجراً ، والطائران البحريان مكسورا الرجلين يناديانني من وراء النافذة . ثم رأيت حلماً آخر وبحراً أحمر آخر في بلد آخر . وكان طائراً بحرياً آخر ، وكانت حياة أخرى ولكن الدم

القاسي أخذها مني . كان كابوس ، مثل فوج من الجن المنفلت ، ينطلق من تلافيف دماغي . كان الموت مستقراً في الكابوس وفي المطر – في تابوت على شكل پيكان مزينة بورود الزفاف... كانت أشباح مختلفة متعددة تتخثر في ظلام الجادة ، أشباح أنصاف بشر وأنصاف حيوانات ، تنحل في بعضها على الدوام ، وتكتسب أشكالاً من جديد ، وترقص في كهف جمجمتي الفارغ . من زجاجة الپيكان رأيت وجوه ضيوف الليل التي رُش عليها الدم ولكنهم كانوا جميعاً يفحشون في القول في پيكاناتهم ويهربون .

لكي أشغل ذهني بضع دقائق مددت يدي الى جيبي وأخرجت الدفتر الذي كانت ثريا قد أعطتني إياه ، حاولت أن ألقي عليه نظرة – دفتر مذكرات سياوش إيمان ، منذ سنوات ، في كرج ، على شكل خاطرات . كان الدفتر انتقل بعد ذلك الى خسرو . وقد احتفظ خسرو بجوهر أبيه الغالي – يعني ، ثم أعطاه لثريا . لم يعد حبر الكتابة الأسود ، من فرط بهوت اللون ، سهل القراءة ، وقد امّحت كلمات هنا وهناك تماماً .

« ... عندما أقرأ الـ « گاتـ » ات وترانيم زرتشت ، يربطني عرق دم من سرتي بأم الدهر ، بجوهرة كانت ذات يوم مائدة عنصري الوحيدة ، بالمائدة الوحيدة التي كان بمقدورها أن تكون رأسمال كون المرء إيرانيا » .

هات[١١٤] ٢٨ ، بند[١١٥] ٥ ، مع بعض التفسير .

« يا جوهر الطهر والحق – متى سأراك ؟– يا جوهر الفكر السليم – في أي مكان سأتعرف عليك بالعلم الإلهي والمعرفة ؟ أيمكن قط أن أقود الضالين بنور الكلام الى أفضل طريق ، الذي هو الاستقامة والفكر السليم ؟ » .

هات ٣٠ ، بند ٧ ، مع بعض التفسير .

«هو الذي يتمتع بقوة «آشا» – جوهر الحق والطهر – و«آرميتي» – جوهر الفكر السليم – ترسّخ بالعشق والإيمان ، هو الذي – في امتحان الحياة الصعب – استمال فيروزا وسيصير في زمرة عباد الخالق الحاصلين على ثواب» .

هات ٣٣٢ ، البنود ١٠ – ١٢ مع بعض التفسير .

«زعماء الكذب معلمو التفكير المعوج . إنهم يمنعون النساء والرجال الطاهرين البسطاء عن أمانيهم وعن الطريق الرباني . إنهم – بالتعليم الخاطئ – يمنعون الناس عن التفكير الخيّر وانتخاب الخير ، وبالقول الخادع أضلوا الناس ويتلفون حياتهم» .

هات ٣٢ ، بند ٦ ، مع بعض التفسير .

«يا أهورا[١١٦] – مثل عابد بسيط يؤمن إيماناً راسخاً بالحق والطهر – أمجدك بكل جرأة ، وأطلب من فكرك المليء بالحكمة أن تجعلني أؤدي عملي وفق إرادتك . يا أهورا ، رب الروح والعقل ، وأتمنى أن أحظى برؤيتك ، أن أستمع لكلامك ، وأرتبط ارتباطاً محكماً وأبدياً...» .

أغلقت الدفتر ، بخوف وخجل ، محكماً ، وحشرته في جيبي ، سحبت نفساً عميقاً ، ونهضت . وعندما ودعت المسيو حدق الى وجهي مبهوتاً قليلاً . لابد أنه أراد أن يتأكد من أنني لم أخطف شيئاً . أجاب على قولي «وداعاً» بتقطيبة جانبية ، ثم رفع سكيناً ودفع بذؤابتها فضلات الخضرة والخيار والملح . ثم مسح المائدة بمنديل فنظفها .

خرجت وذهبت الى البيكان .

- ١٦ -

كان الوقت منتصف الليل حين أوقفت السيارة أمام شقة فرنكيس .

كان محمد آقا الرجل ، صبي الميكانيكي في زقاق حاج رضا معزز قد جلب سيارة خسرو . كانت الترايومف الغارقة في الطين مثل متحجرة المصير عديمة الاسم والعلامات ، في جانب شارع تكش ، تفقأ العين . فتحت فرنگيس باب المبنى ، وأفسحت لي . صعدت ، ضالعاً ، الى الطابق الثاني . ألقت عليّ أختي نظرة وسألت عن أوضاع حرب السبعين أمة . لا – كنت عائداً من الحرب مع قبيلة ماو ماو آكلة لحوم البشر في زامبيا... أبقيت صوتي خفيضاً ، لأن فرنگيس قد قالت في التلفون أن ژيلا ، خالة خسرو الصغيرة ، عند ثريا . لم يكن ثمة خبر عن خسرو .

علقت العصا على أحد مسامير شماعة الملابس ، وخلعت معطفي المطري فشنقته قرب العصا ، وترسبت فوق أول أريكة فمددت رجلي المجبسة على حافة الأريكة . لم أكن أريد عشاءاً ، ولا فاكهة ، ولا شيئاً بارداً . لا شيء قط . مجرد قهوة . فذهبت فرنگيس لتأتي ببساط القهوة .

وضعت يدي تحت رأسي ، واتكأت على الأريكة ، ورحت أنظر الى مرآة عقد(١١٧) خسرو وثريا ، وزجاجات مصابيح الفرح والورد الموضوع على الرفوف وأطراف الغرفة . جاءت ثريا نفسها الآن من غرفة النوم ولفت ذراعها حول عنقي وقبلتني بدفء . وجلست أمام قدمي . كانت حالها أفضل . إن مجيء ژيلا ، خالة خسرو القريبة منه في العمر ، والمنسجمة المتفاهمة معه ، قد رفع معنويات عروس خسرو ، ولابد أنه جعلها متفائلة بمجيء خسرو .

كانت ثريا طرية طازجة ، بلباس نوم من قطعتين : سروال طويل فضفاض من الحرير الأبيض ، وبلوز من الساتان الأحمر الملتهب . كان ما تحت حنجرتها وفوق قفصها الصدري رخاماً أبيض . وكان قلبي الآن يحترق لأنني لم أجلب لها أخبارا طيبة عن خسرو . كنت مهموماً لأنني ينبغي أن أفجّر في وجهها روايات مرعبة عن خسرو .

جاءت فرنگيس ببساط القهوة . وقد جلبت في زاوية الصينية أيضاً

زجاجة خارجية لم أعرف محتوياتها ، كي تنير الليل والشقة نوعا ما . عندما جلسنا ثلاثتنا ، حدقت الأم والبنت فيّ . كانت ژيلا في إحدى غرف النوم . قالت فرنگيس :

- « يا جلال ، ثمة إحدى سيارات المنظومة الشمسية - لا أدري إن كانت نپتون أو أيها - سمعت أن يومها يستغرق مائة وخمسة وستين ساعة . وقد مرت الفترة منذ ليلة أمس حتى الآن عليّ كما لو كانت مائة وخمسة وستين قرناً . حسناً ، ماذا فهمت ؟ » .

أفضل الطرق أبسطها . أعدت نقل الوقائع ببساطة ، بصوت خفيض جداً . قلت :

- « رأيت العقيد أبا خسرو الرسمي وتكلمت معه . ورأيت أم خسرو أيضاً - وسمعت كلامها . ورأيت أيضاً شهروز المجنون ، وفهمت أشياءً معينة . ورأيت جدة خسرو (مع التحفظ) أيضاً . ورأيت أوسامد آقا كوه كرد ذا اللحية الذي كان قد جلب شهروز ، وسمعت العديد من الأمور . ورأيت حتى خادم سياوش وفرخ العجوز - ولكنني لم أسمع ، لأنهم لم يتركوا شيئاً في فمها تكوّن بواسطته كلاماً ، صارت خرساء . ورأيت ناساً كثيرين آخرين . وسمعت أشياء أخرى كثيرة » . شربت جرعة قهوة ، وقلت :

- « يا ثري ، لقد قلت الحق » . فبقيت ثريا تنظر إليّ ذاهلة .

- « إن مركز عاصفة حياة خسرو هو أبوه سياوش . وهذا ، ليس مجرد شاب باسم سياوش إيمان ، وإنما مفهوم « سياوش إيمان » - الذي لابد أن يعني ، في خضم هذا المرام الوحيد والطاهر - التحرر والاستقامة ، التفكير بالعشق والطهر في هذا المجتمع ، وأمثال هذه الخزعبلات . وسياوش إيمان رمز تلك . وخسرو لايؤمن فقط بهذه الأمور ، وإنما هي في دمه . يا ثري . لقد قلت أنت أيضاً إن خسرو كان يظن دائماً أن أباه سياوش رحل عن هذه الدنيا بدون حق . للأسف ، كان إحساس خسرو صحيحاً . لا أدري كم يعرف الآن ، أو كم يحس ،

عن حقيقة موت سياوش . طبيعي أنهم قالوا له إن أباه انتحر في النهر ، أو غرق صدفة... ولكن الحقيقة - بقدر ما فهمت - هي أن سياوش مات في الليلة السابقة على اليوم الذي يدعي فيه الجميع أنه غرق فيه ، وباحتمال كبير في بستان كرج - حيث كان يعيش الأشخاص الذين كانوا هناك عصر ذلك اليوم وليلته . لقد اعترف محمد كوه كرد أمامي وأمام أحمد وفا جد خسرو وبصراحة أن سياوش كان ميتاً تلك الليلة ، أو مقتولاً . إن ذهن شخص محايد مثلي يعمل على نحو لا يحتاج معه الى سند وشهادة وحكم محكمة . عندما يعرف المرء شيئاً فهو يفهم . وكذلك خسرو عرف ، وهو يفهم الآن . كان سياوش قد مات تلك الليلة . أو قتل . وفي اليوم التالي يفتعلون قضية الغرق في النهر من أجل الظواهر . ولابد أن جسده دفن في ذلك البستان نفسه . ويقطعون لسان الخادم القروية أيضاً ويأخذونها فيلقون بها من مكان ما جنوب المدينة ، وراء المسلخ » .

كانت عيون فرنگيس وثريا تحدق فيّ ذاهلة . فقلت :

- « والمؤسف أن هذه المصيبة العجيبة هي نصف القصة فقط » .
فقالت ثريا :

- « أولها بقية أيضاً ؟ » . فقلت :

- « من أجل نصفها الباقي اللعين يجب أن أبث - كمحول جهاز تسجيل الصوت - الكلام الذي سمعته منذ الظهر حتى الآن عن أبي خسرو الحقيقي من هذا وذاك ، كي تتنورا بنفسكما قليلاً قليلاً ، أمبيراً أمبيراً ، وڤولتاً ڤولتاً » .

حدقت كلتاهما اليّ بعيون فاغرة .

أشعلت سيجارة وسحبت نفساً عميقاً ، وقدمت تقريراً مختصراً بالكلام الذي كنت سمعته منذ الثانية الأولى لرؤيتي العقيد في المستشفى . وكيف أن العقيد ، حتى في لحظة موته ، يعبد ابن زوجته .

كانت آخر أمنيات حياة العقيد ديوان لقا سعادة خسرو . طلب مني أن أقول لخسرو أن يسامح الجميع . وأن خسرو ينبغي أن ينسى الماضي . ينبغي أن يكون خسرو سعيداً مع ثريا . ولكنني عندما ذكرت أمام العقيد اسم سياوش استولت الرعشة على روح العقيد ، أصيب برجفة حقاً .

أوضحت أن خسرو كان قد ذهب قبيل الفجر الى المستشفى عند سرير العقيد ، وأنه سأله عن أبيه الحقيقي ألف نوع من الأسئلة ، كان يريد الحقيقة . كان العقيد مخدراً ، أو كان ذاهلاً ، وليس معلوماً ما كان جوابه . ولا شك أن خسرو اشتبك مع العقيد ، ويحتمل أنه لجأ الى العنف معه .

وشرحت عن أم خسرو ـ فرخ لقا ـ التي كانت سنة ١٣٣١ فتاة في الرابع عشرة أو الخامس عشرة ، في عائلة على وشك التفكك ، في بيت مستأجر من النقيب ديوان لقا . كان مقرراً أن تتزوج فرخ والنقيب ديوان إيمان وناثر آيات المديح له . أو ربما كان عنادهما وزعلهما أكثر تجذراً ، أعتق . كانت العائلتان كالجبنة والسكين فيما بينهما ، وما تزالان .

وحدثت عن بقية عائلة وفا . أحمد وفا نفسه (ليس واضحاً تماماً) يبدو أنه كان في تلك السنة على رابطة مع امرأة اخرى ، وأصيب بخسائر مالية كبيرة ، فكان محطماً . إن حياة أحمد وفا طريق مليء بالتعاريج ، أحياناً في الذرى وأحياناً أخرى في المهاوي . ملآى بمطبات من الجنس والمال ـ بدون حب وفهم صحيح لأطفاله . حسب قوله : ثروتنا ثروة حاتم الطائي ، وتسوّلنا كشحاذي الأزقة . كان النقيب ديوان لقا في تلك السنة صاحب منزل أحمد وفا وعائلته ، يكن ميلا شديداً لفرخ . في تلك السنة ، ليس واضحاً ما كانت علاقة فرخ على وجه الدقة بالنقيب ديوان لقا . ربما كانت عاشقة النقيب ، وربما كانت ثمة أمور أخرى . على أية حال ، في أوائل ربيع ١٣٣١ تظهر فرخ فجأة

عند سياوش في بستان كرج .

ولسياوش في هذا الخضم ملحمة مستقلة . كان سياوش إيمان متمرداً اجتماعياً على النمط الإيراني ، وعاشق زرادشت . حسب قول من يعرفون سياوش ، كان هو نفسه أصلاً نوعاً من نبي للطهر والحق والصفاء . في أواخر ١٣٣٠ ، يترك سياوش عائلة الدكتور السيد فخر الدين إيمان ـ السناتور المعين من قبل الشاه ـ الأصيلة كما يترك كل شيء ويذهب . يذهب ممارساً حياته البسيطة معلماً أفكاره لهذا وذاك .

وحدثت عن زوجة السناتور إيمان ، الخانم منور السلطنة زند والا ، التي كانت مليونيرة عجوزاً في دخان ورماد نار الماضي وسياوش المفقود ـ ذات الأدلاء الذين واحدهم أكثر زيفاً من الآخر . وهي ما تزال تظن أن سياوش أضاعه أصدقاء السوء من أبناء جنوب المدينة ـ وباحتمال قوي أبناء لي لي وأحمد وفا .ولكنها كانت على جهل بواقعيات الحياة بحيث لم تكن تدري كم يجعل الخدم من ولدها المريض مسخرة ، أو لم تكن تدري أي حيف وقع على ولدها الأكبر .

رويت أن فرخ ـ حسب قول زوجة السناتور ـ قبل أن تذهب الى كرج كانت حاملاً ففرضت نفسها على سياوش... لا بد انها كانت حبلى من النقيب ديوان لقا . ويأخذ سياوش فرخ تحت جناحه يعقد عليها ، ويصير أباً لابنها . ولكن لا بد أن فرخ لم تكن قط تريد سياوش باعتباره زوجاً لها أو أباً لابنها ، ولا أن تأخذ لابنها دفتر نفوس باسم عائلي هو إيمان . أو أنها تأخذه ثم تبدله فيما بعد . فالاسم العائلي في دفتر نفوس خسرو إيمان الحالي هو ديوان لقا .

وتحدثت عن محمد كوه گرد الذي كان خادم بيت الدكتور إيمان ، وكان فيما يبدو عاشقاً في ذلك البيت للي لي خانم عديمة الأم ، ثم يصير عاشقاً متيماً بفرخ ، ويتورط فيما بعد في مغامرة فرخ مع النقيب ديوان لقا وسياوش . كان محمد كوه گرد ـ أو أوسامد آقا ـ والنقيب ديوان لقا كلاهما بروجنيا ومن أم واحدة ، وأبوين مختلفين . أحدهما منبوذ

والآخر نور العين . وكلاهما محب لفرخ ـ فتسحب دائرة نفاقهم ومثلث حقدهم وجود سياوش الى دائرة الموت . وعندما يأتي خسرو الى الدنيا يذهب النقيب ديوان لقا فيأخذ فرخ الى المستشفى ـ مع وجود سياوش حيا ـ ويتحمل كل النفقات والعناء . وبعدئذ ينصرف عمراً كاملاً الى أبوة خسرو . وفي مغرب اليوم ، عندما كان خسرو يتحدث الى جده السكران ، وتأكد أخيراً من حقيقة هوية أبيه الأصلي ، يصاب بالغثيان . ثم ذهب أول الليل الى بيت أمه ، ذهب فدق الباب بقبضتي يديه وبالركلات ، ولكن أمه لم تفتح له الباب . ورويت أيضاً مكالمتي التلفونية الأخيرة مع فرخ لفرنكيس وثريا ، إذ قالت فرخ إنه لا ينبغي لخسرو أن يفهم الحقيقة فمعرفتها لن تأتي إلا بتعاسات جديدة . وأنهيت الرواية والتقرير على هذا النحو : إنني أنا نفسي قلت قبل نصف ساعة لفرخ أن خسرو إن عاد اليها ثانية فعليها أن تبلغه عن لساني أنني وثريا ننتظره... وطبيعي أنه كان من غير المحتمل حالياً أن تفعل فرخ شيئاً كهذا الليلة .

جلسنا نحن الثلاثة مرة أخرى زمناً ما في الغرفة الأمامية ، يقابل أحدنا الآخر ، نحلل التفاصيل ـ والمطر السمج يدق على النافذة من الخارج ـ وأبعد من ذلك ، وسط عاصفة الليل ، كان يأتي صوت بوم ، فيتلوى صوت طائر الليل بين الريح . كأنه كان يدري أن الأوضاع خراب . وهو محق . كانت الأوضاع خراباً وملوثة . فأين خسرو الإبن الطاهر لسياوش إيمان من النغل نطفة العقيد ديوان لقا ؟! .

كانت الساعة في حدود الثانية او الثالثة بعد منتصف الليل عندما طلبت مني فرنكس وثريا ان انهض فأصعد الى الطابق الأعلى لأستريح بضع ساعات . ثم خرجت ژيلا وفا أيضاً من غرفة النوم وانضمت الى السهرة البائخة . كانت ترتدي سروال (جين) وبلوزة ارجوانية اللون تضفي على صدرها لون وتموج شراب شيراز . تبادلت معها التحية مرة أخرى . جاءت قريباً من ثريا فجلست قبالتي . كانت تتذكر انني احب ابتساماتها المنيرة ، فلم تتردد . ولكن ذلك كان كل نصيبي من العشق

والبهجة هذه الليلة .

حملت معي ابتسامة ژيلا وفا والزجاجة ، وأخذتهما راقيا السلالم الخالية الى شقة وحدتي ـ التي كانت فرنگيس تحتفظ بها نظيفة مرتبة وجاهزة . في غرفة النوم فتحت أزرار صداري وارخيت ربطة عنقي . نظفت فمي وأسناني بمحلول (زكريا) ، وابتلعته . وتمددت على سرير النوم ، والضوء منير . أصغيت ، متعباً محطماً ، الى صوت المطر .كان قلبي يريد أن أغفو في ابتسامة ژيلا وفا الحلوة ، أو في عيني ژيلا وفا ، ولكن ذلك لم يكن ميسوراً .

ـ ١٧ ـ

بعد مدة من التلوي والتقلب عن هذا الضلع على ذلك الضلع وإطفاء النور وإضاءته ، استسلمت لأرق ، وفي حالة التمدد تلك أخرجت كتاب الغريب وعدت الى حياة مورسو ـ الذي كان قد استقر خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة كالبعبع في زاوية دماغي . حاولت أن أقرأ . في الأسفل ، يبدو أن فرنگيس وثريا وژيلا كنّ لا يزلن جالسات يتحدثن في الصالة ، وينتظرن خسرو ، أو ينتظرن الصباح ، أو ينتظرن الحب ، أو أنهن كن في انتظار «غودو» .

في الغريب أيضاً تستمر حياة مورسو ابن الميتة ، النمطية ، في جذب وقذف كما في السابق في الجزائر ـ حياة يومية وليال ميتة عديمة الحس ، ملآى بالكسل ، وأحياناً ـ إن تيسر ـ باطلالة على الخمرة والجنس . في أواخر القسم الأول من الكتاب ، كان مورسو قد ذهب مع ماري كاردونا وريمون الى ساحل البحر ، وكان ذلك أمراً حسناً . وكان ثمة شخص آخر اسمه ماسون مع زوجته . يسبحون تحت الشمس المحرقة في البحر ، يخرجون ، يتمددون على رمال الساحل ، ينامون

على صدورهم مثرثرين ، ولم يكن هذا ـ أيضاً سيئاً . ولكن ريمون تشاجر مرة مع بعض الأعراب فانجّر عمله الى استلال السكاكين .

ولكن فجأة ، تحل بحياة مورسو فاجعة . فعند الساحل ، تحت الشمس المحرقة ، على أثر حركة غير عادية وفجة ، وربما كانت عرضية بعد (جريان عرق الحرارة على جبهته وحاجبيه) يرمي مورسو ، بالمسدس الذي أعطاه إياه ريمون ، عربياً فيقتله . ثم يلقى عليه القبض ويرمى به في السجن . في أوائل القسم الثاني من الكتاب ، يريدون محاكمة مورسو ولكنني لا أعود قادراً على الفهم .

أطفأت النور ، ولكنني تركت الكتاب مفتوحاً على وجهي ، وأغمضت عينيّ اللتين حميتا الآن .

رأيتني في المنام مع شخصين أحدهما على هيأة أوسامد آقا والآخر بشكل أحمد وفا ، وربما كان بشكل مورسو ، في مدينة بعيدة نائماً في مستشفى عجيب ، قرب خرابة... وربما كانت سجناً . ولكننا نحن الثلاثة كنا قراضة . كنا ثلاثتنا على أسرة نوم ضيقة ولكن طويلة نتمدد قرب النافذة . كان أحدنا يحمل فتحة كبيرة عند صدره . وقد زرعوا ماكنة قلب ورئة على رؤوسنا . وكان لأحدنا فتحة في جانب الظهر محل الكليتين ، وعند أحدنا جهاز تنقية بول غير أنيق من صنع إيراني مع أنبوبته وملحقاته . ولكن لا تنبثق من أي مكان منا قطرة دم أو قطرة ماء واحدة . لم يكن ثمة دم وماء ورمق . مجرد جفاف الموت وضيق النفس . كان أحمد وفا قد استقر على إيقاغ «دَدَم دَدَم رينگ» ، بأصابعه المريضة ، على حافة الفراش ، أو كان يفرقع أصابعه . وكان أوسامد آقا يقرأ أشعار الشاهنامه ، وكنت أنا صامتاً ، أقرأ كتاباً إنكليزياً . أردت ان أسألهما سؤالاً ، ولكن فمي ما كان لينفتح . كما لم يكن بمقدوري أيضاً أن أدير رأسي . لم أكن أعرفهما في الواقع ، مجرد أنهما كانا بشكل أوسامد آقا وأحمد وفا . وإضافة الى ذلك . فانني لم أكن أعرف أيا من هذين على نحو دقيق . لم أكن أدري كيف

جئنا الى هذه الخرابة . لم أكن أدري إلا أن أبا أوسامد آقا احترق بالتنور ، وأن أحمد وفا زعلان مع نسوته وأنه بات مؤخراً مع امرأة اخرى ، وأنني أنا أيضاً ـ بعد وفاة «أنابل»(١١٨) ـ تزوجت الضياع والإكراه .

كانت غرفتنا ضيقة جدا ، وتنفتح نافذتها على مزبلة . يجلبون فيرمون . أحسست أن في الغرفة امرأة أيضاً واقفة عند عتبة الباب . أو أنها كانت الى أمام جالسة على كرسي تراقب أحمد وفا . أو تراقب أوسامد آقا . أو تراقبني . أو كانت تقرأ كتابا . ربما كانت لي لي إيمان . وربما كانت فرخ وفا . بل ربما كانت ژيلا وفا .

فجأة ، تصاعد دخان أبيض من هواء الخرابة . وربما كان ضباباً يهب من ريش البجع . كائنا ما كان ، ضبابا أم دخاناً أبيض ، فقد دخل من المزبلة الى النافذة . فالتفّت حالة جنون ومرارة غير قابلتين للتحمل داخلةً الغرفة الصغيرة . وفجأة ، جلس رجل عجوز القرفصاء على حافة نافذتي! .

كان العجوز من أولئك الدراويش المتعبين المغبرين المختلّين ، ولكنه كان نظيفاً ونورانياً ـ يعتمر غطاء رأس أبيض طويلاً ، ويلبس جبة بيضاء طويلة ، وفي إحدى يديه عصا على شكل أفعى ، وفي يده الأخرى كتاب مخلّع... وعلى كتفه الأيمن يجلس طائر عجيب أكثر منه ذهولاً وجنوناً . كان يجلس هكذا ، لا يتحرك ولا يحدث صوتاً ، كجلوس العجوز نفسه على حافة نافذتي القرفصاء .

قال العجوز أولاً لي ـ الذي كنت عند النافذة ـ أشياء بلسان فارسي ولكنني لم أفهمها . فهززت رأسي . ثم صرخ : «قلت أين هو ؟!» . ظننت أنه يريد أحمد وفا أو أوسامد آقا . ظننته جاء للزيارة . أردت أن أقول لا تصرخ ها هما نائمان هنا . ولكن صوتي لم يكن يخرج . لم يكن قلبي ورئتاي يخصانني . فصرخ العجوز مرة أخرى : «قلت أين هو ؟ أين ؟» . لم أستطع أن أحرك حتى يديّ اللعينتين لأشير بهما .

قلت لنفسي إنه لا بد سيقفز الآن على صدري ويهوي بعصاه على مخي . ولكنه صرخ : « أين إيمان ؟ » . فهمت الآن أنه يقصد مدللهم سياوش . أردت أن أقول لا تحرق نفسك ، لقد تخلصوا منه ليلة السابع والعشرين المشؤومة ، عشية مصدق تلك ، لم يعد موجوداً ، مات... ولكن أين لي الصوت . فصرخ الدرويش هذه المرة بصوت أعلى : « أين إيمان ؟ » . أردت أن أقول مات يا بابا ، ومات أبوه أيضاً . وإن أحد أولاده جُن ، وابنه الآخر في أميركا أو لا أدري في أي قبر ، والآخر منهم في فندق آريا ، أو شيراتون ، الليلة . وإن كذبتني فاذهب وسل استعلامات الفندق . وأن إحدى بناته زوجة أحد الكبار . وابنته الأخرى أرملة تسكن بيتاً مستأجراً في شارع بهار! ولكن العجوز رفع عصاه الى ما فوق رأسي وصرخ : « ماذا حل بكم ؟ أنسيتم كل شيء ؟ لا علم لكم بشيء » . ثم لزم الصمت . ظننته سيصرخ الآن أين مورسو ؟ أو أين ماري كاردونا ؟ أو ماذا فعلت بريمون ؟ فقد قلت إنه مجنون .

عند تنفس الفجر قفزت من النوم . كان كل ما حولي مظلماً . ظننتني أولاً مع مورسو في سجن الجزائر العاصمة . في الخارج ، كان المطر ما زال يهطل . كان الكتاب قد سقط عن وجهي . وكان أثر مرارة الليل قد زال عن جسدي أيضاً . عدت أنا نفسي . وحيداً . فمي يابس مر . داخلي خال . لم يكن العجوز الكابوسي موجوداً . ولم يكن مورسو موجوداً . كان جلال آريان ، نائماً في طهران ، أو حاول أن ينام . كنت أسمع أصوات سيارات متفرقة وهي تمر في الجادة القديمة .

ولكن الشيء الذي أيقظني كان صخب الطابق التحتاني ، صوت بعيد مكتوم لفتح وغلق أبواب ودواليب ملابس ، وتكلم اضطراري ، ووقع أقدام عجلى . نهضت وهبطت السلالم مسرعاً .

دققت الباب بظهر أصبعي وناديت أختي التي فتحت لي . كانت ثريا عند التلفون ، تستمع ، وبؤبؤا عينيها مهتزان مضطربان . كانت فرنگيس تقف جنبها . وژيلا أيضاً وراءها . كان يبدو أن هاتين قد

حاولتا أن تغيرا ملابسهما على عجل . كان واضحاً أن أحدا لم يأت . وأنني كنت الوحيد الذي نام .

عندما وضعت السماعة ، سألتها فرنگيس :

ـ « ماذا جرى ؟ » . فلم تخرج من فم ثريا غير كلمتين :

ـ « انتحر خسرو » .

ـ « ماذا ؟ » .

ـ « انتحر » .

ـ « انتحر ؟ » .

ـ « انتحر ؟ » .

سبق لي أن رأيت وجوه كثير من الناس ، وهي تتحطم لوقوع مصيبة . ولكن تحطم وجه ثريا في تلك اللحظة كان منظرا آخر . عند تكرار كلمة « انتحر » ارتعش الجلد على طرف من وجهها ، ورأيت بوضوح أن لون وجهها تلاشى . سألت :

ـ « من هذا الذي تلفن ، يا ثريا ؟ » . وتوسلت أمها أيضاً :

ـ « أوضحي يا عزيزتي... ماذا جرى ؟ أين ؟ » . بعد بضع ثوان ، قالت ثريا :

ـ « كان رائداً... رائداً من أصدقاء العقيد ديوان لقا... من الشرطة » .

ـ« حسناً ؟ » .

لزمت الصمت .

ـ « ماذا قال ؟ » .

ـ « قال إن خسرو في مستشفى (پرند) في شارع (باغ صفا) .

قال إنه يبدو أن الخطر زال حالياً . ولكنه قال إنه قد قطع شرايين كلا معصميه» .

- «اذن فهو حي ؟» .

- «قال إن حاله ليست حسنة كثيراً... قال إنه تلفن لبيت والدته ، ولكن التلفون لا يرد . إما أن يكونوا قد رفعو السماعة وإما أن التلفون عاطل . قال إنهم عثروا على عنواني ورقم تلفوني في جيوب خسرو» . ثم تحطمت وراحت تبكي . أعلنتُ :

- «انهضن لنذهب... باغ صبا قريب في هذه الأنحاء» . فسألت فرنگيس :

- «مستشفى پرند ، أتعرف أين يكون ؟» .

- «نعم ، أظنني أدري أين هو . تعالي ، سنجده» .

في ظرف أقل من دقيقتين كنا جاهزين جميعاً . نزلنا السلالم أحدنا بعد الآخر : تق تق تق . كان وقع أقدامنا على موزائيك الأرضية مثل طبل شوم يحطم حدة صمت الفجر .

كانت ثريا لا تزال تبكي ، والمطر في الخارج لا يزال ينهمر . ركبنا البيكان جميعاً . أنا وفرنگيس في المقدمة . الجيل الفتي في المؤخرة . في السيارة سيطرت ثريا أخيراً على نفسها وذكرت آخر تفاصيل الخبر . عثروا على خسرو في حدود الحادية عشرة في دورة مياه مطعم في شارع شميران أدنى من مفترق طريق السجن . ولم يكن ذلك يبعد كثيراً في الواقع عن شارع تكش وشقة فرنگيس . يبدو أنه كان يريد أن يأتي الى البيت عند ثريا ، ولكنه لم يستطع . وبعدئذ ، بعد الإقدام على الانتحار ، لا بد لأن السندات التي في جيبه تعرّفه على أنه ابن عقيد في الشرطة سرعان ما أوصلوه الى أقرب مستشفى .

هبطنا من الجادة القديمة ، وعثرت على مستشفى پرند في نهاية

شارع صبا . كان باب المستشفى الصغير مغلقاً . خرجنا نحن الأربعة مسرعين من السيارة . تجمعنا أمام باب المستشفى ، وقرعنا الجرس والباب والحيطان وكل شيء . كان شيئاً شبيهاً بالثالثة والنصف صباحاً . بعد مدة جاء خادم يرتدي البياض يبدو أشبه بدلال معاملات أملاك ، ففتح ضلفةِ الباب ، إلا أنه لم يدعنا ندخل .

ـ «نعم ، ماذا تأمرون ؟» . فقالت ثريا :

ـ «نريد أن نرى الشاب المنتحر...» ، ففتح الباب . كان صوته مكسراً وأخنّ . حدّق إليّ والى فرنگيس .

ـ «أأنتما والداه ؟» .

فدفعته ثريا ، ودخلنا الحديقة ، وكان الخادم لا يزال يصرخ . دخلنا المبنى رباعي الطوابق من حديقة صغيرة . كانت تشكيلات المستشفى وجهاز استقبالها في الداخل أكبر مما يبدو من الخارج ، ولكن لا أثر من الإدارة . لا أثر من أي شيء . في آخر الممشى ، رأينا ممرضة سمينة قصيرة ومساعد طبيب أصلع يضع نظارة واقفين يثرثران عند الجدار . ذهبنا أربعتنا مسرعين اليهما ، نظرا الينا ببرودة واستخفاف . ولكن الممرضة ضحّت أخيراً ، فردت على تحيتنا ، وعندما علمت من نريد أشارت الى آخر الممشى . وركضت ثريا وژيلا قبلي وقبل فرنگيس . لم أكن أدري ما كانت ثريا تتوقع . على أية حال ، لم يكن سلوك الممرضة يدل على أن خسرو قد مات .

صرنا داخل غرفة صغيرة خفيضة السقف فيها أربعة أسرة صغيرة عليها أربعة مرضى ضعفاء محطمين منحلين . لم يكن ثمة مكان لنا نحن الأربعة في الغرفة . وكان نور برتقالي سيء اللون يجعل الغرفة تسبح في نور ظليل . كان المريض القريب من الباب خسرو ـ أو جثة خسرو . مضمد اليدين ، تحت الأنابيب والحقن ، غائبا عن الوعي . العنقاء مكسورة الريش ، الجريح . أحطنا برأسه .

كان يتنفس بصعوبة . كان لرأسه وصدره اهتزازات وسكونات سيئة . خرجت أبحث عن الطبيب . في وسط الممشىَ ، كان مساعد الطبيب والممرضة السمينة القصيرة لا يزالان يتبادلان القلوب والكُلى . سألتهما عن خسرو والطبيب المسؤول عنه . قال مساعد الطبيب إن الموضوع غير مهم ، شرَّفوا بالذهاب الى البيت ، لا تزعجوه ، إنه يرتاح ، وسيشرِّف الدكتور بالمجيء صباحاً . لم يكن عنده اطلاع واسع عن وضع المريض . قال إن الدكتور الذي تسلم المريض شرَّف بالذهاب الى مريض آخر ، وإنه سيعود .

تركته .

إن كنتَ محظوظاً ، فستجد العامل الوحيد الصالح للعمل ليلاً في مستشفيات طهران عدا عزرائيل هو التلفون . عثرت على التلفون داخل غرفة الإدارة ، فتلفنت لبهرام آذري . كانت الساعة الرابعة صباحاً ، أو الرابعة من الأبدية ، عندما اتصلت به . كنت أريد طبيباً يهتم . وكان بهرام يهتم . لم أكن أرجو إلا أن يكون صاحياً ، أو أن يكون في شقته .

بعد دقيقتين أو ثلاث ، ايقظت بهرام آذري من فراشه ، من حضن إحدى نساء طهران . ارتفع صراخه ، ولكنه عندما عرف صوتي علا صراخه أكثر . قال لماذا إذن لم يكن يدري أنني في طهران . كان بهرام رفيقي وابن محلتي في الـ (گرمابه)[١١٩] والـ(گلستان)[١٢٠] . أخبرته في جملتين أو ثلاث ، وطلبت منه أن يأتي فوراً . أعطيته العنوان . طلب بهرام أن أمنحه دقيقتين كي يرتدي ملابسه وخمس دقائق حتى يوصل نفسه . وسمعته يقول لضجيعته ألا تتحرك ، أن تبقي الفراش دافئاً حتى يعود .

وانتهت الليلة المجنونة على هذا الترتيب : عندما كان ضوء النهار ينتشر رويداً رويداً نقلنا خسرو بكل طلوع الروح الى غرفة خصوصية وتحلّقنا جميعنا حوله . حصل خسرو على اهتمام ومراقبة أكثر تأثيراً .

والطبيب الذي استقبل خسرو في البدء ثم غاب ، ظهر الآن . تشاور بهرام وهذا الطبيب . وظهر الرائد صديق ديوان لقا . كان يمر للتفقد . زال خطر الموت الآن . مع أن خسرو يحتاج الى عناية لمدة أربع وعشرين ساعة واستراحة تامة . إن الدواء الذي أعطوه لخسرو يبقيه نائماً اثنتي عشرة ساعة . ففكرت أنه من الأفضل أن يبقى حيثما كان ، أينما كان : في غيبوبة ، في حلم ، في أسطورة ، أو في أي مكان .

في حدود السادسة ، وبينما كانت ثريا وفرنگيس الى جانب خسرو تتهامسان ، تمشينا أنا وبهرام آذري في المماشي نحو باب خروج المستشفى ، وثرثرنا سوية . تواعدنا على لقاء محتمل الليلة . كنت متعباً متبلداً ، وكان رأسي كقطعة حجر يثقل علي رقبتي . اقترح بهرام أن أترك زمام الأمر أصلا بين يديه ، وأذهب أنا أيضاً الى شقته فأتسلم زمام أمور العشق والمسرة في الفراش . استحمرت وقلت : فيما بعد . ورأيت في آخر الممشى قرب باب المبنى قدّ ژيلا وفا الدقيق ، وكانت هي أيضاً متعبة ناعسة في مكتب المستشفى ، بين يديْ ورجليْ كنّاسة تغسل الأرض ، واقفة عند التلفون تنقل آخر أخبار خسرو لأمها أو لأختها . وقرب المكتب ، كانت راقصة إحدى علب الليل ، التي تلقت طعنة سكين ، تئن وتتأوه . وكان سكرانان مسمومان مطروحين أرضاً في زاوية غرفة الطوارىء . كان ثمة شرطي يحرسهما .

ودّعت بهرام عند باب الخروج . عدت وكنت متهيئا كي أنقل الملة الى المنزل ، إذ ربما سنستطيع أن نحظى ببضع ساعات نوم . عبر الممشى الخالي عدت الى غرفة خسرو . وكانت ژيلا ، التي أنهت مكالمتها ، قد جاءت هي الأخرى الى آخر الممشى . كانت تبدو أسوأ مني تعباً وخلوًا . كانت قد قرفصت قرب النافذة الصغيرة وراحت تلقي النظر الى الفجر الذي كان يلوح قليلاً قليلاً ، وتحدق الى الحديقة وحوض الماء القذر ، كما لو كانت تقرأ في لوح وحل الحوض مرثية حياة خسرو فتركتها لحالها .

في غرفة خسرو ، كانت ثريا الآن قد أمسكت بإحدى يديه ، جالسة ، وكأنها تحدق ذاهلة الى كل وجوده . قالت لي فرنگيس :

ـ « جلال ، خذ ژيلا فأوصلها الى بيتهم » .

ـ « أهذا لازم ؟ » .

ـ « نعم ، إنها متعبة . كأنها تريد أمها » .

ـ « على عيني » .

ـ « قلقة » .

ـ « أهي قلقة من أمر بالذات ؟ » .

ـ « لا ، قلبها منقبض كما أنها متعبة جداً . خذها الى بيتهم . ما ذنبها ؟ » .

ـ « حسناً ، سآخذها » .

ـ « نحن باقيتان هنا » .

ـ « حسن » .

ـ « وأنت نفسك اذهب بعدئذ للبيت فاسترح . مفاتيح البيت في إضمامة مفاتيح السيارة . أنا وثريا عندنا مفتاح إضافي » .

ـ « سأرى فيما بعد » .

ـ « لا تعد بعد الى هنا... أحدانا هنا ، حتى الظهر أو العصر أو أي وقت آخر يفتح فيه خسرو عينيه » .في آخر الممشى ، قرب النافذة الصغيرة ، كانت ژيلا وفا لا تزال تحدق باهتة الى حوض الماء . بمعطفها المطري الداكن ، وقدميها الصغيرتين ، وبدنها الدقيق ، كانت تشبه الآن منمنمة لشاحة نبات(*) حافظ الشيرازي أكثر منها الحفيدة الأثيرة لبوف

(*) اسم حبيبة الشاعر الكبير

كور من بنته . أبلغتها رسالة فرنگيس واقتراحها . قبلت ساكتة ، وتحركت . خرجت وإياها بعد التوديع ، وتبادل القبلات بين النسوان .

ـ ١٨ ـ

الوقت الآن فجر اليوم التالي . توقف المطر . نام الهواء . ثمة قطع زرق ظاهرة في السماء ، وحتى الهلال كان معلقاً في زاوية ما من ضوء الفلق .

جئنا من (باغ صبا) الى الجادة القديمة . شوارع صباح طهران المبكر تصحو من النوم . تصرخ الحافلات ذات الطابقين بوقودها ودخانها . الكناسون النعاسى يكنسون الأزبال . وتغادر الكلاب الضالة الجحور التي انحشرت فيها فراراً من المطر . وانكب الخبازون وباعة الألبان والكوارع والحساء على تهيئة إفطار الأمة . وكان الغيم والريح والضباب والشمس والفلك في نشاط حثيث .

كانت ژيلا ساكتة قربي . سألتها :

ـ «تعبة جداً ؟» . فقالت :

ـ «لا ـ أتمنى من أعماق قلبي أن أموت» .

حدقت فيها . وهي الآن في نفس الحالة التي رأيتها فيها أمس . كانت وحيدة ، وحيدة ومنطوية على ذاتها . فقلت :

ـ «لا تشتدي على نفسك كثيراً . حسناً ؟» .

ـ «لا» .

ـ «بعد شهر واحد سيكون هذا الحادث خاطرة» . فقالت :

ـ «لا... ليلة أمس عندما رجعت أنت ، وجلستم تتحدثون ، سمعت أكثر كلامكم» .

ـ «حسنا...» .

ـ «كنت تتحدث بصوت خفيض جداً ، ولكنني أصغيت بشكل خاص ، فسمعت : عن فرخ ، عن العقيد ، وكل عائلتي العزيزة... أتعلم ؟ إنه بالضبط كما كنت أخمّن دائماً» .

ـ «جديا ؟» .

ـ «لا ، لم أكن أخمّن ، بل كنت أحس» .

ـ «ولكن عندما وقع ذلك لم يكن لك عمر يذكر» .

ـ «لا» .

ـ «عندما تعلقت فرخ والنقيب أحدهما بالآخر فأنت ، أظن ، لم تكوني جئت الى الدنيا بعد» . فقالت :

ـ «لا ـ عندما تعلقت فرخ والنقيب ـ حسب قولك ـ أحدهما بالآخر كنت جنيناً في رحم أمي... أنا من نفس عمر هذه المصيبة ، أليس هذا رمزياً ؟» . فقلت :

ـ «أيمكن ألا تصيري شديدة التأثر الآن ؟» . ووضعت يدي لثانية واحدة على كم معطفها المطري ، بدون اهتمام . قالت :

ـ «لا ، لست شديدة التأثر» . ثم قالت : «شديدة التأثر بأي معنى ؟» . ونظرت الي مبتسمة . فقلت :

ـ «يعني أن تكوني عاطفية» .

ـ «لا أفهم» .

ـ «لا تبالي . فليس حديدك أنت على النار . إن عندك معادلة حياتك الخاصة ، وعندك مثلك الأعلى الذي تفكرين فيه...» ، فعادت تحدق إلي . وقالت :

ـ «إن التحدث معك سهل» .

- «ينبغي أخذ الحياة بيسر . كان عندي أخ اعتاد أن يقول : غن واقفز راقصاً عن الصخور» .

- «... أية صخور ؟» .

- «عندما كان يقول ذلك كنا على صخور في أحد متنزهات كاليفورنيا . ولكنه كان يقصد صخور الحياة» .

ضحكت . لكزتني بكتفها . وقالت :

- «جيد» . ثم قالت : «الكل يمدحونك» .

- «حسن» .

لم تكن الساعة قد بلغت السابعة ، ومع ذلك فالسيارات تنهمر من جحوز طهران السبعين ألفاً . كان الناس واقفين في صفوف الحافلات الطويلة ، أو ينتظرون سيارات الأجرة ، أو يرفعون أيديهم طالبين توقف أي شيء يتحرك . نظرت ژيلا وفا الى نفسها في مرآة السيارة ومسحت رأسها بيدها . وقالت :

- «إذن لا أكون شديدة التأثر» . فنظرت اليها وتبسمت :

- «ألا زلت تفكرين بهذه الكلمة ؟» .

- «ولا زلت لا أفهم» .

- «كون المرء شديد التأثر هو أن يُلصق - في هذه الدنيا الجميلة - بشيء ما أو بأحد ما أو بحدث ما محبةً وعاطفة أكثر مما ينبغي ، أو لا يستطيع أن يلصق» .

- «بمن مثلاً ؟» .

- «بالخال سياوش مثلاً ، أو بخسرو - أو بهذا الحادث» . فقالت :

- «لا - أنا لم ألصق بخسرو محبة وعاطفة أكثر مما ينبغي . إن خسرو ليس ابن اختي الوحيد فقط . ولكنني أحبه أيضاً ، كما أحب

ثريا أيضاً . لقد ترعرعنا أنا وخسرو منذ الصغر معاً... وها هو الآن هذا الـ...» . مع كلمة «هذا الـ...» التف شيء كالغصة في حنجرتها . فقلت :

- «اسمعي ، يا ژيلا - أتسمحين بأن أدعوك ژيلا ؟» .

- «أرجوك» .

- «لقد جئت من آبادان الى هنا كي أساعد ثريا وخسرو إن أمكن . لقد عثرنا على خسرو ولكنه لم ينج بعد . قصدي هو أنه عندما يصحو خسرو ، ويجد أنه ما يزال في هذه الدنيا المشعة - في هذا الوضع المنير - وحيّاً ، فاللّه وحده يعلم على أي جنون سيقدم . إن أناساً من أمثال خسرو لا يسكتهم شيء عدا الحق والصدق والطهر . أتوافقين ؟» . فخفضت رأسها ، مع أنني لا أظنها كانت على طول موجتي بالتمام والكمال . وقالت :

- «ينبغي حل الموضوع» .

- «أتساعدينني على أن نحلّه ؟ أتساعدينني في العثور على كل تفاصيل هذا الحدث ؟» .

- «يعني ماذا نفعل ؟ لقد فعلت أنت كل شيء» .

- «يعني أن نوضح جذر القضية وعرقها الحق الصحيح فنضعه أمام خسرو . إننا ندري أن سياوش كان ميتاً عشية السابع والعشرين من مرداد ، ولكنني أريد أن أفهم ما الذي جرى على وجه الدقة تلك الليلة ، ماذا وقع» . فقالت :

- «ماذا يمكنني أنا أن أفعل ؟» . كانت تبدو وكأنها خالية من أي شعور وعمل اجتماعيين . كانت تكتفي بالجلوس ، والمجيء معي ، وتسمح للهواء أن يعبث بشعرها . ضغط سائق حافلة أمامنا الوقود فبعث دخاناً أسود الى حلقومينا معاً . قلت :

- «لنذهب الى منزل فرخ خانم . أنا وحدي لا يمكنني ذلك . لا بد

أنها لن تفسح لي » .

- «لع - يا للطلب!» .

- «لم تفسح لخسرو ليلة أمس . ولا بد أنها كانت محقة . كانت تخاف . وهي لا تزال خائفة . شكراً لله أن خسرو لم يوقع ليلة أمس أذى بغير نفسه . هيا ، لنذهب أنا وإياك الى هناك ، فنجبر أختك أن تقوم فتأتي عند خسرو...» ، ولم أقل الباقي . فهمتْ ، فقالت :

- «لع!» ، وكانت لهجتها سلبية تماماً .

- « يجب » .

- «لن تفعل فرخ هذا العمل ولو في ألف سنة» .

- «هذا هو الطريق الوحيد » .

- « إن قطعوها إرباً ففرخ لن تفعل هذا العمل » .

- «لماذا ؟» .

- «لأنها إن فعلته تتحطم» .

- «حسناً ، إذن يموت خسرو ، أو يُفني امه» .

- «لع...!» . وأدارت رأسها وراحت تنظر الى الخارج : «لماذا ينبغي أن يكون الأمر هكذا ؟» .

- « إما دنيا خسرو وإما دنيا فرخ . إما هذا وإما ذاك... مما يؤسف له أن هاتين القوتين استقرت إحداهما أمام الأخرى» .

- «الملاك وأهريمن(١٢١) » .

- «أحسبيه كيف تشائين» . فتنهدت . مرة أخرى راحت تنظر ذاهلة من النافذة الى الخارج . كان المرور مزدحماً متراكماً . كانت عيون الناس وأوجههم تحدق إلينا باكية من كل طرف . أنا نفسي كنت

أحس شعوراً سيئاً بالتعب والجفاف . قلت :

ـ «أنذهب ؟» . كنت قد خفضت سرعة السيارة ، واتخذت يمين الشارع كي تحزم أمرها . قالت :

ـ «لا أدري» .

ـ «خلاصة الأمر إن خسرو بحاجة الى عون» . فقالت :

ـ «لماذا ينبغي أن يكون الأمر هكذا ؟» .

ـ «في بعض الأحيان لا يتوفر الجواب على كل شيء» .

ـ «أي حساب وكتاب هنا أصلاً ؟» .

ـ «في الحال الحاضر ينبغي أن نسدد حساب وكتاب ذهن خسرو» .

ـ «لماذا ؟... لا أفهم . لقد عاش آلاف الناس في هذه الدنيا في كذب ونصف كذب وتغطية حقائق الحياة . ولا أحد يهتم لأمرهم» .

ـ «ليت ثمة جواب... نذهب ؟» .

ـ «ها هو صبرك ينفد أيضاً من كوني متقلبة المزاج» .

ـ «أبداً» . كنا أدنى من مفترق تخت جمشيد ، حيث لا بد أن نصمم إن كنا سنلف الى بيتهم في شارع بهار أو أن نقطع شارع ثريا نحو پهلوي وزرتشت . قالت :

ـ «أريد أولاً أن آخذ حقيبة يدي من بيت ثريا . أعندك مفتاح ؟» .

ـ «المفتاح في إضمامة المفاتيح» .

ـ «حسناً لنذهب» .

استدرنا ، وعدنا نحو الشمال . نسيم الجبل البارد واللاسع يسفع

الوجه الآن فيطير النعاس والتعب من الرأس . قالت ژيلا وفا :

- « أنت نفسك لست قليل التأثير وغير عاطفي » . فقلت :

- « ثمة فرق بين أن يكون المرء مصاباً بالماليخوليا وأن يكون عاطفياً » . فضحكت ، تلك الضحكة الواسعة الجميلة إياها . وقالت :

- « لا ، لا فرق » .

كان عندها هدوء وخفة جديدين ، انتقلا الي . فقلت :

- « إذن فأنتِ موافقة على أني مصاب بالماليخوليا ؟ » .

- « كلا . أنت حساس . إن المرء يصاب أحياناً بمثل هذه الحالات نتيجة لحياة الوحدة » .

- « من أين تعلمين ؟ أنتِ لم تكوني وحيدة قط » .

- « لا - ولكن أنا نفسي بي عرق ماليخوليا ، أعزف... » . وضحكت مرة أخرى . ثم سكتت قليلاً . وقالت فيما بعد :

- « أما أنت فتريد أن تبقى وحيداً . وهذا يختلف » .

لم أفهم ما وجه الاختلاف ، ولكن التحدث معها لم يكن سيئاً .

- « كيف تعرفين أنني أريد أن أكون وحيدا ؟ » .

- « لا أدري . . . ولكنني أدري أن المرء يتعذب من الوحدة » .

- « أتعذبت أنت أصلاً ؟ » . فلزمت الصمت ، ثم قالت :

- « أسبوعين... » .

- « أي أسبوعين ؟ » .

- « الأسبوعان الجهنميان اللذان كنت فيهما متزوجة » .

- « أوه ؟... » .

ـ « قبل سنتين... » ، كان صوتها خفيضاً . وكان رأسها خفيضاً أيضاً .

كان هذا جديداً ، ومهما . قلت :

ـ « لم أكن أدري أصلاً... » . فقالت :

ـ « مضى... » .

ـ « أي امرئ محظوظ كان ؟ » .

ـ « هاه! ولد مختل ومدلل عائلته » .

ـ « من كان ؟ » .

ـ « إبن أحد أقرباء السيدة منور السلطنة . إبن أخت السيدة ـ إن هاتيك الأخوات والخالات إحداهن أسوأ من الأخرى » .

ـ « أكنت تحبينه ؟ » .

ـ « حب ؟... » ، كما لو أن كلمة عبرية خرجت من فمي . ثم قالت :

ـ « كنت أظن » .

ـ « لهذا تستائين الآن منهم الى هذا الحد ؟ » .

ـ « ثمة بعض القيح عصيّ عِلى التطهير » .

ـ « ولكنك خرجت مما كان طاهرة حرة على نحو كالمعجزات » .

ـ « لا... » .

ـ « إن لك روحاً طليقة » . ظننت أنني إن لمست يدها تعاطفاً ، فإنها ستضغط أصبعي أيضاً . قالت :

ـ « لا... داخلي محطم » .

ـ « إن إحدى خواص الانسان ، وكونه حياً وخاصة كونه شاباً ، أنه يتحمل فيعبر . أنا نفسي عبرت تجربة أليمة . وترين أنني حي » . فقالت :

ـ « سمعت » .

ـ « إذن فلا نذكرها » .

ـ « حسناً » . فقلت :

ـ « قالت ثري أنك ترسمين أيضاً » .

ـ « لا ـ ليس شيئاً ينفع هذه الدنيا العفنة الخالية من الحب » . كان قلبها يريد لها الخروج من موضوع زواجها ، ولكنها لم تكن تستطيع . أو ربما أنها كانت تريد إبقاء الحديث على موضوع الزواج . أو إبقاءه على الجنس ، الأمر الذي لم يكن سيئا أصلاً . قالت :

ـ « إنني لا أريد أن أكون أي شيء أصلاً . لا أريد أن أعمل عملاً . لا أريد أن يكون عندي أي شيء » .

ذكرتني بمسؤولة مكتبة عرفتها في سن الثانية والعشرين في (ميني سوتا) ـ پرسي . مع أن جسم پرسي وروحها كانا ملكي ، وكان بي جوع عنيف للزواج منها ، إلا أنها ضربت نفسها فانقتلت . وبقيت سنة ، سنتين ، أضرب رأسي وأصفعه ، ولكنني لم أفهم قط ما كانت تريد من حياتها ومن نفسها . سألتها :

ـ « ماذا تريدين من حياتك ـ غير أن تأتي الآن فتأخذي حقيبتك ؟ » . فضحكت ژيلا ، وقالت :

ـ « لا شيء » .

ـ « جديا ، ماذا تريدين ؟ فكل امرىء يريد شيئاً ما على أية حال » .

ـ «الآن لا أدري . ولكن قبل سنتين ، أتدري ما كنت أريد من كل قلبي ؟ يعني ما كان قلبي يريد أن أعمل ؟...» .

ـ «ما كان قلبك يريد أن تعملي قبل سنتين ؟» .

ـ «كان قلبي يريدني أن أقوم بأعمال عجيبة ورهيبة... كان قلبي يريد لي أن أصعق الناس ، أن أهزهم» .

ـ «لا!» .

ـ «كان قلبي يريد أن أفضح نفسي ، والناس ، جميعاً ، على النحو الذي هم عليه . أن أشق الستائر . نفس هذا العمل الذي تقوم به أنت الآن» .

ـ «وماذا بعد ؟» ، حاولت أن أبقى هادئاً .

ـ «كان قلبي يريد ألا أضع على جسدي ، ذات ليلة ، شيئاً غير معطف مطر وزوج حذاء . وأن أزين رأسي ووجهي . ثم أخرج الى الشارع . أجيء أمام اولئك النسوة العبوسات المتظاهرات بالنجابة ، اللائي يأخذن أولادهن الى المدرسة ، أو أمام الرجال الذاهبين الى دوائرهم ، أو الخارجين مثلاً من مكاتب التسجيل العقاري . كان قلبي يريد أن أقف أمام هؤلاء . فأسلم عليهم وأسألهم عن أحوالهم أولاً ، ثم فجأة أفتح معطفي فأريهم نفسي» .

ـ «يعني تقومين بعرض خاطف ؟» .

ـ «أي شيء» .

ـ «لا!» .

ـ «أريهم أنفسهم!» . التفت ونظرت اليها بتصور جديد . كانت تحتفظ ببسمتها المضيئة . سألتها :

ـ «أهذه فكرتك ؟» . فقالت :

ـ « لا ـ سرقتها من دستويفسكي! » . وضحكنا كلانا .

كنا قد وصلنا الى أوائل شارع تكش . فقلت :

ـ « إذن نأخذ الحقيبة ونذهب نحو منزل أم خسرو » . فقالت :

ـ « حسناً . ولكن الوقت مبكر . أأنت مستعجل جداً ؟ » .

ـ « لا » . ومسحت وجهي بيدي : . « يمكنني أنا أيضاً أن أصعد وأحرك الماكنة على وجهي » .

ـ « حسناً » .

وجرى تبادل رسالة ميتافيزيقية فيما بيننا .

ـ ١٩ ـ

ها نحن مرة أخرى في السيارة ، نتحرك باتجاه (كاخ) الشمالي و(زرتشت) . كانت ژيلا على هدوء أكبر . كانت تجلس على ركبتها جنبي ، ووجهها يشع . وأنا نفسي كنت أحس إحساساً طيباً . قلت :

ـ « حالك جيدة ؟ » . فقالت :

ـ « مسرورة » . فجأة ، كان الصباح جميلاً . قلت :

ـ « عم نتكلم ؟ » .

ـ « عن أي شيء » .

ـ « عن أي شيء أم عن كل شيء » .

ـ « أي شيء وكل شيء » .

هي أيضاً كانت تجد إحساساً طيباً . كانت لطيفة حساسة ومحبوبة . قلت :

- «البارحة ارتحتُ لأبيك» .

- «بابي ؟ نعم...» . كانت كلمة (لا) قد اختفت من لسانها وبيانها مؤقتاً .

- «أين رأيته ؟» .

- «في بيت أوسامد آقا» .

- «إيه... أكانت حالة جيدة ؟» .

- «هو فريد عالمه» . جسمت أحمد وفا في نظري : بشعره الأجعد ، ووجهه الأبيض ، وربطة العنق المرخاة ، والقميص كُريمي اللون ، وسروال البيچاما ، وفنجان العرق ، وتلك الأصابع التي تضبط الإيقاع على قبضة الأريكة .

- «بابي قمر» . كانت لهجتها رقيقة تحوي حنيناً .

- «أتحبينه ؟» .

- «كثيراً . بابي لم يكن له حظ في الدنيا ، هذا كل ما هناك . وأنا الوحيدة في هذه الدنيا التي تحب هذا الرجل . يعني أحبه حقاً . عندما كنت في الثالثة أو الرابعة من عمري كان الجميع في عائلتنا قد رسموا عن أبي هيولى سكراناً ومتلوناً وسيئاً . جدياً . وبعدئذ ، عندما كان أبي يأتي أحياناً لرؤيتنا - وكان يأتي من أجلي فقط - وقد عاد مرة الى حياتنا تماماً لزمن - صرت أجده قليلاً قليلاً امرءاً طيب القلب ولكنه ساذج ومسكين . وحماراً أيضاً نوعا ما : ويشرب الكثير من العرق . أمام أمي خصوصاً لا قدرة عنده أبداً . أذكر يوماً ، كنت طفلة ، كل شيء قابل للكسر كان عندنا حطمته أمي على رأس بابي» .

- «لا يبدو...» .

- «لم لا ، مامي عندما تريد تصير نمرة» .

ـ «أأنت نمرة أيضاً ؟» .

ـ «لا ، أنا مثل بابي حمل . أحبه . ولكن لا أحد يستطيع أن يساعده . وكل حياتي ـ مهما كانت ـ تدور حول بابي . مع أنني لا أستطيع أن أساعده . لحد الآن تزوج أمي مرتين ثم تركها» .

ـ «إيه ؟... لم يكن عندي علم بزواجهما الجديد» .

ـ «المرة الثانية لم يدم زواجهما غير سنة أو أقل... وفي أثناء هذه البضع السنوات قام بقطع ووصل رسمي مع زوجته الأخرى تلك ، ملي خانوم» .

ـ «لع لع ، لا تصوري الأمور بمرارة! فاليوم جيد» .

ـ «في عائلتنا نكتة تقول إن بابي يأخذ سجلّه في أول كل شهر الى المحضر فيقول له اشطب لي لي وسجل ملي ، أو أشطب ملي وسجل لي لي» ، وضحكت . فقلت :

ـ «عندما تحبين شخصاً يجب ألا تضحكي منه» .

خفضت رأسها . لا بد أن ظل السخرية والشيطنة قد وصل إليها من عائلتها . تركت هذا الأمر يمر . حاولتُ أن أعيدها الى موضوع أوسامد آقا . قلت :

ـ «ماذا يفعل أبوك الآن عند أوسامد آقا ؟ أفليس عنده بيت أو مكان ؟» .

ـ «لا ، حالياً لا . لقد وقع أبي ، منذ العام الماضي حتى الآن ، مرة أخرى في إحدى مهاوي سوء حظه . وقد تركته زوجته الثانية أيضاً . وليس عنده عمل . أمي أيضاً ، مهما حاولتُ معها فهي لا تريده بوصفه زوجاً . ولا أستطيع أنا غير أن أجلس جنبه عندما يكون سكراناً فأبكي معه» .

عندما وصلنا جادة پهلوي سألتها :

ـ « منزل فرخ في شارع زرتشت ، قرب مستشفى (مهر) ، صحيح ؟ » .

ـ « نعم » .

ـ « ماذا عن فرخ ؟ كيف علاقتها بأبيها ؟ » .

ـ فرخ لا تحب بابي ولا شأن لها ببابي ، متخاصمان . لقد خرجا من حياة بعضهما » .

ـ « أب وابنته يخرجان من حياة بعضهما ؟ » .

ـ « إن رأى أحدهما الآخر في مكان ما فهو يسلم عليه ، فقط... ولكن لا أن يشتاقا ـ كما يقال ـ لأحدهما الآخر... » .

ـ « وماذا عن ژاله ؟ » .

ـ « ژاله في دنياها الخاصة . مع حالها ولباسها ولوازم زينتها » .

ـ « لماذا تخاصم فرخ ؟ » .

ـ « بشأن ماذا قلتُ أنا وماذا قلتِ أنتِ . لا شيء ، تريدان أن تتخاصما » .

ـ « هي أيضاً لا تحب بابي ؟ » .

ـ « لا تستطيع ژاله أن تحب أحداً لإنها عاشقة نفسها من صميم قلبها » . فقلت :

ـ « عدت الى المرارة التامة » . فقالت :

ـ دنيانا هكذا . لا يحب أحدٌ هنا . حقا . وعندما يوجد شخص يحب فإما أن يكون هذا الحب أحادي الجانب ومؤلماً ، وإما أن يكون على قدر كبير من الاستثنائية والكبر ، بحيث يرعب الباقين فينهالون عليه جميعاً ضاربين على أم رأسه . ويواصلون الضرب حتى يذهب الى تحت التراب » .

ـ «مثل سياوش ؟» .

ـ «مثل سياوش» .

وتحركنا مدة في صمت .

ـ «في العام الماضي ، ذات يوم عندما كان خسرو في بيتنا ، وكنا نتكلم معه ، وكان قلبه منقبضاً ، وكان مستاءاً من فرخ ، أتدري ماذا قال ؟» .

ـ «ماذا قال ؟» .

ـ «قال : إن تحت جلد هذه العائلة الجميلة المتزينة نقطة سرطان . لا أنسى قوله : نقطة سرطان موجودة» .

ـ «موجودة دائماً» .

ـ «كان قلب خسرو مليئا» .

ـ «متى كان ذلك ؟ ما كان قد جرى ؟» .

ـ «لا أذكر . ربيع العام الماضي ، مثل هذه الأيام . كانت فرخ والعقيد يريدان الذهاب الى إنكلترا . في الوقت الذي كان لفرخ دعوى مع أوسامد آقا بشأن معاملة أرض . وكسبتها فرخ» .

ـ «أكان بين فرخ وديوان لقا وأوسامد آقا نزاع ؟» .

ـ «إن فرخ وديوان لقا على نزاع دائم مع أوسامد آقا» .

ـ «نزاعات انتهت أخيراً بليلة أول أمس ؟» .

ـ «للأسف» . فسألت :

ـ «ما كان أصل موضوع هذه الأرض والمرافعة بين فرخ وأوسامد آقا ؟ أهو يتعلق بالماضي البعيد جداً ؟» . فقالت :

ـ « لا أدري... أرض ، مال ، آكلة . ثمة أرض أعطتها فبرخ ، قبل

سنوات عديدة ، لأوسامد آقا نظير مال كانت مدينة به لأوسامد آقا... عشرة آلاف متر أرض بائرة ، في جادة كرج ، قرب نزل قوافل (سنگي) . طبيعي أنه في تلك الأيام لم تكن ثمة أوراق رسمية للأراضي . أعطت فرخ الأرض لأوسامد آقا هكذا ، بتحويل خطي » .

- قبل كم سنة ؟ قبل اثنتين وعشرين سنة ؟ » .

- «لا أدري . نحو ذلك» .

- «ثم ؟» .

- «ثم بعد ست سنوات أو سبع عندما تصير الأراضي مرغوبة ، وتشعر فرخ بالندم ، تقرر أن تدفع أصل مبلغ دَيْنها نقداً . وأوسامد آقا ، الذي كان في تلك السنة بحكم القضاء والقدر بأمس الحاجة الى المال ، يقبل المال كارها وغير راض . يعطي إيصالاً ، وتلغي فرخ بدورها تحويل الأرض . ويبدو أن القضية حسمت» .

- «وصار أوسامد آقا وفرخ منذ ذلك الحين كالسكين والجبنة ؟» .

- «لا أدري . ربما . اللعنة على طمع الإنسان» . فسألت :

- «كم كان أصل الدين ؟» . قالت :

- «لا أدري ، كأنه كان عشرة آلاف تومان . من مال تلك الأيام[١٢٢]» .

- «عن الأيام التي كانت فيها فرخ مع سياوش في بستان كرج ؟» .

- «شيء من هذا القبيل ، يعني» .

- «أتعلمين على وجه الدقة متى ؟» .

- «لا» .

لا بد أنها تقول الحق . ولكنني أنا نفسي كان عندي حدس خام : ليلة السابع والعشرين من مرداد . بستان كرج . فقلت :

- «قلت إن فرخ لا شأن لها بأبيها ، هما متخاصمان . ألم يكن هذا بسبب ديوان لقا ؟» .

- «لا أدري . ولكن لا بد أن جذره تحت رأس ديوان لقا» .

- «والأعمال التي جرت قبل أربع وعشرين سنة ؟ خالف أبوك زواج فرخ وديوان لقا . وأعمى الغرامُ فرخ» .

- «أنا لا أستطيع التفكير في أن تكون فرخ قد عشقت ديوان لقا قط . أو أن تكون عاشقة لأي رجل ، أو عاشقة أي شخص . إنها مادية جدا ، و... لا أدري كيف أقول... منصرفة الى ماديات الحياة» .

- «ربما لم تصر يوما ما خاماً ولم تفسد بعد...» .

- «ربما» . ثم : «فرخ تريد المال والاستقلال ، أما الزوج فماذا أقول ـ أما العشق فلا ، إنه هذر» .

- «كيف ؟» .

- «كيف يمكن القول . فرخ لا تؤمن بشيء . لقد رأت فرخ الكثير من الكذب والملعنة من رجال هذه الدنيا حتى صارت روحها حجراً كدرا . خاصة كلمة العشق ، تبخرت من لوح روح فرخ وبنيان فكرها ، إنمحت . مثل عدم إحساسها بشيء نحو بابي . وكذلك ژاله . لا تحس أي منهما شيئاً نحو بابي . منذ أن طلق بابي مامي ثانية ، تظاهرت فرخ وژاله كما لو أن أبي والماضي لم يعد لهما وجود... إلا عندما يكون للأمر علاقة بمصلحتيهما» .

- «أتظنين أنت أيضاً أنه لا عشق في هذه الدنيا ؟» .

- «في هذه الدنيا ؟» . أطلقت بسمتها الوضاءة ، وشدت كم معطفي المطري . فقلت :

ـ « أقصد في دنيا أولئك... لا وجود للعشق أصلاً ؟ » . فقالت :

ـ « لا ـ شيء دائمي ، وليس قذراً ، لا . ولكن ، ربما تكون فرخ قد تحملت في هذه الدنيا ما يكفي لتكون سيئة الظن ومريرة . منذ سنوات تلقت فرخ فلسفة الشر والعمى عن كل ما هو رجل وزوج . فلسفة إجبار الإحساس على التحمل والنفس على الصبر . سرعان ما تعارض أي شيء وأي شخص . سرعان ما تلدغ . وسرعان ما تندم أيضاً . في الحقيقة كانت فرخ تريد طوال حياتها شخصاً ينقذها من نفسها . وربما كان سياوش ذاك وحده القادر... » .

التفتُ ونظرت اليها مرة أخرى في ضوء نور وتفهم جديد .

ـ « من أين لك كل هذا العلم ؟ » . فضحكت :

ـ « منك... » .

ـ « منذ أمس الى اليوم ؟ إذن فأنت تلميذة هائلة » .

ـ « أنا بليدة الله ـ كسول العائلة العاطلة » . فقلت :

ـ « أحاولت قط أن تنقذي فرخ من نفسها ؟ » . فقالت :

ـ « أنا نفسي أريد شخصاً ينقذني من نفسي » .

ـ « أنا أيضاً أريد شخصاً ينقذني من نفسي . نحن متشابهان في نقاط كثيرة » . فالتفتت ونظرت اليّ . ونظرت اليها أنا أيضاً . ثم سألتها :

ـ وماذا عن ديوان لقا ؟... أحاول أن ينقذ فرخ ؟ » . فقالت :

ـ « ذاك كان دائماً يطارد البغايا ويبحث عن المال والأعمال » . وبقيت ساكتة مدة . كانت عينها مشدودة الى سيل السيارات المتشابكة السمجة ، دون أن تراها . قالت :

ـ « إن نساء عائلتي وأزواجهن ـ ما دمن نساءاً وأزواجاً ـ هم

نساء وأزواج مصلحيون ومجبورون . أكنت تعرف هذا ؟ » . فحاولت أن أبتسم :

ـ « لا ، لم أكن أعرف » . فقالت :

ـ « أتريد أن تعرف شيئاً ؟ كانت لفرخ طول عمرها أمنية واحدة . يعني أن فرخ كانت تحيا على أمل واحد . على أمل أن يموت ديوان لقا يوماً . أو كما تقول هي : أن ترتاح منه » .

ـ « أحقاً قالت هذا الكلام ؟ » .

ـ « تقول إنها تريد من صميم قلبها أن يصاب عباس بالعمى كي تكف عيناه عن السفاهة . تقول إنها تريد أن يصير عباس كسيحاً كي تعرف أنه غير ذاهب الى مكان ما . تريد لعباس أن يصاب بالخرس كي لا يلقي عليها أوامره » .

ـ « لع لع لع... لقد وسّعت خيالاتك وتصوراتك كثيراً ، يا ژيلا » . فقالت :

ـ « أتعرف إمرأة وزوجاً لم يناما معاً في غرفة واحدة طوال ثماني سنوات ؟ ولكنهما حافظا على الظواهر الكذابة ؟ » .

ـ « ثماني سنوات ؟ » .

ـ « ثماني سنوات! » .

ـ « لم أكن أعرف أن العقيد رديء الذوق لهذا الحد » . فضحكت مقهقهة :

ـ « لقد استولى عليك جمال فرخ تماماً... » .

مررنا من أمام سينما أمپريال . كان ملصق مرسوم باليد كبير وتافه ومثير للغثيان لإمرأة عارية ، ثدياها بحجم يقطين الحلوى(١٢٣) يغطي الجدار العلوي للسينما . وثمة رجل ضخم الشارب وضع رأسه بين

ساقي المرأة ، يضحك . كان اسم الفيلم «إمرأة بليّة وقسيس رزيّة» . قلت :

ـ «أنا أعرف في هذه البلاد نساءاً وأزواجاً لم يناموا معاً عشرين أو ثلاثين سنة ، ولكنهم حافظوا على الظواهر» .

ـ «حسناً . فأنت تدري إذن» . فقلت :

ـ «إنك ترسمين عن أهلك وعائلتك وعشيرتك صورة عديمة الحب ومخنوقة» . فقالت :

ـ «هم كذلك» .

قدنا السيارة مدة في صمت . دخلنا (كاخ) الشمالي من تقاطع ما فجئنا الى شارع زرتشت . قلت :

ـ «الآن وقد جرى حديث الجنس ، فعندي سؤال : هل كان فرخ وسياوش...» فقالت بحدة :

ـ «لا!» ، وألقت عليّ نظرة حادة ، كما لو كنت قد ارتكبت غلطاً فاحشاً . ثم قالت :«كنت أظنك تدري ـ من الكلام الذي قلته ليلة أمس لثري وأمها ـ ظننتك فهمت . لم يمد سياوش أصبعاً على فرخ . كل ما هنالك أنه كان يفعل كل ما تريد فرخ... لقد ضحى بنفسه من أجل فرخ . أنا نفسي أيضاً تأكدت لي أمور منذ ليلة أمس حتى اليوم . يعني كثير من الأمور التي كنت أخمنها فقط ، أحسها فقط ، تبلورت الآن فجأة مثل البلور . وهو تقصيرك» .

ـ «تقصيري ؟» .

ـ «ليس تقصيراً ، لقد جئت ، حسرت الستائر ، فتحت الجروح القديمة ، ألقيت أسئلة ، وفضحت ما كان يجري التكتم عليه ، والأسرار التي كانت تعامل في عائلتي كالزبالة المخبوءة تحت السجاجيد ألقيتها خارجاً» .

ـ « قولي أيضاً... » فسكتت .

حدقت إليها ، وكانت نظرتها هي أيضاً مسمّرة فيّ . لأول مرة كان قلبي يبغي أن أكون معها ، وأن يكون أحدنا للآخر . سألتها :

ـ « أمن الضروري فتح الجروح القديمة وكشف كل الكلام ؟ » . لم تجبني . ربما لم تسمع سؤالي . قالت :

ـ « كان خيراً لهم . كان ذلك لازما لهم » .

ـ « لمن ؟ » .

ـ « كلهم . للخانم وأولئك ، لفرخ وديوان لقا . كما أنه كان لازما لخسرو أيضاً » .

ـ « كيف ؟ » .

ـ « كان فتح الجروح القديمة باعثاً على أن تلتئم جروح الآخرين الجديدة أيضاً . فثمة شيء يموت ، ويتقيح شيء آخر . هذا أمر طبيعي » .

مرة اخرى حدقت الى عينيها . كنت أرتاح اليها أكثر فأكثر كل دقيقة . قالت :

ـ « كانت عندي صديقة تقول : تحمل الألم ، في الجهل ، أمر مرعب ، ولكن من يتحمل الألم عن وعي ليستأصل جروح الآخرين وآلامهم أمر آخر » .

ـ « أية صديقة ؟ » .

ـ « لا أذكر . وربما كنت قرأت هذا في مكان ما » .

ـ « صحيح » .

ثم قالت بحذر :

ـ « أنت أيضاً عندك جرح قديم » .

ـ « جرح حياتي الكبير الوحيد كان قبل سنين عديدة » .

ـ« لقد سمعت موضوع زواجك ، ووفاة زوجتك ، من ثريا » .

ـ « عندما وقع ذلك الحادث ، ظننت أنه لا يوجد أسوأ من هذا الجرح في العالم لأي رجل ، وأنني لن أحصل على التئام أبداً » . وارتجفت يداي مرة أخرى ، فأطفأت سيجارتي وألقيت بها خارجاً .

ـ « ولكن الإنسان يواصل » .

ـ « لأن ثمة أمل ؟... » ، كانت تحدق إلي . فقلت :

ـ « ثمة أمل دائماً » . فقالت :

ـ « على أية حال ، لقد جئت وسط حياتنا فأزحت الستر ، وأخرجت صديد الجروح » .

كانت تبدي حقا ، قليلاً قليلاً ، ثباتاً واعتماداً على الذات .

ـ « أحاولتِ يوما أن تكتبي هذا ؟ إن عندك نبوغا كبيراً في وصف وتحليل وتفسير الحياة... تفهمين ، تحسين » .

ـ « أنا ؟ » .

ـ « أو حاولت أن تظهريها في رسومك ؟ » .

ـ « لم ، لا أريد... » .

ـ « فكري فيها... » . لم تقل شيئاً لزمن . ثم قالت :

ـ « كم كان لا بد أن نكون خاما ومعوجّي الأدمغة إذ قبلنا هذه الأمور في حياتنا... وكم كان ينبغي أن يكون الكبار فاسدين سود الافئدة كي يحاولوا أن يطعموا أولادهم روحية الكذب وتغطية القذارات في الحياة » .

ومرة أخرى التفتت ونظرت اليّ . كان وجهها أمامي مستقيماً . كانت عيناها الصفراوان المائلتان الى الزيتوني تلمعان في سنا الصبح . كانت تبدو وكأنها تتحدث لأول مرة في هذه الدنيا مع إنسان .

لفتّ انتباهها الى عنوان منزل فرخ ديوان لقا ، وقلت :

ـ « لا تتجاوزه . أين بيتهم ؟ » . فنظرت ، وقالت :

ـ « ذلك الباب الحديد الأخضر » . ففرملت أمام الباب . وقلت :

ـ « قبل أن ننزل من السيارة أريد أن أشكرك ـ فقد كنت مضيئة ومنيرة في هذه السفرة . مهما كانت نتيجة مغامرة العقيد وشركاه هذه ، فانني أرغب في أن نرى أحدنا الآخر مرة أخرى . إنك فتاة عديمة النظير » . فقالت :

ـ « لا . أنا التي ينبغي أن أشكرك » . ثم أضافت :« إن التحدث اليك والكون جنبك مسكّن » . فقلت :

ـ « يجب أن نتكلم مع أحدنا الآخر مرة أخرى ، وأن نكون معاً مجدداً » . فقالت :

ـ « أرجو ذلك » .

نظرت الى عينيها .

قلت :

ـ « ثمة نقطة واحدة أخرى ـ قبل أن ندخل . لم لم يذهب ديوان لقا في ربيع تلك السنة الى بستان كرج وراء فرخ ؟ كان يكفي أن يذهب ثانية واحدة الى كرج ، عند سياوش . كان سياوش سيعقد له على فرخ عن طيب خاطر ؟! » .

ألقت ژيلا وفا نظرة أخرى عليّ ـ بما معناه أنني ارتكبت غلطاً آخر لا محل له . وقالت :

- «أفليس عندك خبر أنهم كانوا قد أخذوا ديوان لقا تلك السنة ؟» .

- «أخذوه ؟...» . فقالت :

- «كانوا أخذوا ديوان لقا في ربيع تلك السنة مدة ثلاثة أشهر أو أربعة . كان يظنهم سيعدمونه أخيراً ؟» .

- «كانوا اعتقلوه ؟» .

- «نعم» .

- «بأي جرم ؟» .

- «لا أدري . ولكن لم تكن للأمر علاقة بقضية فرخ وسياوش . سمعت أن توقيف ديوان لقا كان متعلقاً باغتيال العميد أفشار طوس مدير شرطة عهد مصدق ، في ذلك الوقت... أخذوا عدداً من ضباط الشرطة ، وطبيعي أنهم تركوا الجميع فيما بعد . كان ديوان لقا سجيناً أربعة شهر[١٢٤]» . فقلت :

- «نفس تلك الأشهر الأربعة التي ذهبت فيها فرخ الى كرج وعقد سياوش عليها فيها ؟» . فقالت :

- «لم تكن فرخ تدري متى يخرج ديوان لقا من السجن . وكان بابي ومامي أيضاً ، كالعادة ، في طلاق ودعوى طلاق . كانت فرخ حاملاً . كانت تحتاج الى ملجأ» .

- «هكذا إذن ؟» . فخفضت رأسها :

- «هكذا إذن» .

- «نذهب ؟» .

- «نذهب» . وخرجنا من السيارة .

على الرصيف كان كناس يكنس الأرض على عجل وبلا دقة ، ويدفع الأوساخ الى ساقية ماء الشارع .

ـ ٢٠ ـ

كانت الساعة الثامنة والنصف عندما دققنا جرس حديقة منزل فرخ ديوان لقا . كان منزلاً كبيراً من ثلاثة طوابق ، جليلاً ، أكثر أناقة بكثير من البيوت التي حوله . يبدو أن فرخ خانم كانت صاحية ، فقد جاءت هي وفتحت الباب ـ لا شك بعد أن رأتنا من وراء النافذة . نظرت اليّ أولاً ثم الى اختها نظرة هند آكلة الأكباد ، بحقد ، كما لو كانت ژيلا قد أسلمتها في هذه الدنيا الى مقاتلي قبيلة عمر بن الخطاب . سلمت ژيلا ، فجاملت فرخ بتقطيب وبرود أن : تفضلا . نقلت ژيلا فورا لأختها نبأ انتحار خسرو ، وأنه لا يزال في المستشفى . وقالت إنها تلفنت بنفسها عدة مرات من المستشفى إلا أن سماعة تلفون فرخ كانت مرفوعة . حدقتُ الى فرخ . كانت حالتها تتغير على التوالي من الحقد البارد الى الدهشة ، من الدهشة الى اليأس ، ومن اليأس الى الخوف . كان وجهها صباح اليوم منتفخاً ذليلاً ، بلا مسحوق وصباغ . لم يكن ثمة غير أحمر شفاه كثيف على شفتيها ، كان يبدو على أرضية وجهها فاقدة اللون مثل دم اندلق من فمها الى الخارج . وكانت تنبعث منها رائحة عطر ورائحة تبغ وينستون ورائحة دعوى ومرافعة .

في غرفة المعيشة الأنيقة ، جلسنا نحن الثلاثة على أطراف الأرائك يقابل أحدنا الآخر . كان الأثاث المنجّد بجلد أحمر اللون ، وسجاجيد أصفهان ونائين ، والنجف البلورية ، تضفي على الغرفة طابعا مبهرجاً . كما كان في الغرفة الكثير من اللوحات المستنسخة عن لوحات أوربية شهيرة ، والأوراد الصناعية . قالت ژيلا :

ـ «يا فرخ ، اقترح السيد آريان ـ خال ثريا خانم ـ أن نأتي

فنأخذك الى المستشفى عند خسرو» .

فقالت فرخ :

ـ «وا ، كنت أنا سأذهب...» ، ونظرت الى اختها الصغرى كمن ينظر الى جنين أخرس مشلول يفتح فمه . وبقيت أنا صامتاً ، فيما استأنفت ژيلا :

ـ ... «لكي تشرحي لخسرو كل شيء ، كي يتضح الأمر ، فيرتاح ، المسكين» . فقالت فرخ مقطبة :

ـ «أي شيء أشـــرحــه له ؟» . لم تكن تنظر الى أيّ منا نحن الاثنين ، كانت تنظر الى الفراغ فيما بيننا . كان هواء الغرفة جافا ، وكما لو أن بليون حنظلة من الشوك والأعصاب تتلوى في الهواء . فقالت فرخ :

ـ «أول الصبح عند الفجر انكببتما على رأسي مثل شمر[١٢٥] المفتش ، لماذا ؟ أصلا ما الخبر ؟» . إن سنوات كونها زوجة لضابط شرطة قد أحسنت ملء روحها بالقوة . تنحنحت ، وقلت :

ـ «سيدتي ، هذا الشمر المفتش ، جاء صباح اليوم بوصفه صديقاً ونسيباً الى هنا . تعالي لنجلس ، نفكر ، ونكون منطقيين قليلاً . لقد رمى خسرو بنفسه مرة الى الموت . وقد كان من حسن حظنا أنه نجى حالياً ، ولكن اللّه يعلم ما الذي سيفعله في المرة الثانية» . فقالت :

ـ «بابا ، ما تقصيري أنا المسكينة ؟ عساني مت!» . لم تكن تلقي هذا السؤال عليّ ، وإنما على زاوية الغرفة ، بغيظ ونفاد صبر مصطنعين . قلت :

ـ «إن الوحيد الذي يمكنه أن يساعده اليوم هو أنت» . فقالت :

ـ «ماذا أفعل له ؟ عندما يقول خسرو هذا الكلام السخيف عني ، عندما يقول هذا الكلام عن أبيه ، أفأقوم وأضعه على الرف وأقف

أمامه ، يدي على صدري[١٢٦] ، وأقول له اركلني على رأسي ؟ أقف وأروّح عنه ؟» . فقلت :

ـ «أي كلام يقول عنك ؟» .

فلزمت الصمت . كانت تعرف أنني أشاكسها وأريد أن أستل منها الكلام .

في الممر كان الراديو مفتوحاً ، وفي «برنامج الطفل الصباحي» تذاع أغنيات ، بأصوات الأطفال ، مع أوركسترا مائعة ، عن الأم العزيزة الحنون التي يستقر مفتاح الجنة تحت قدميها... قلت :

ـ «أن تشرّفي بالقدوم معنا الى المستشفى ، فترين خسرو ، وتحدثينه» . فقالت فرخ :

ـ «أأتي... أواه! أفعندي خوف وفزع من طفلي ؟» .

ـ «لا» .

ـ «أفلا تتظاهران بهذا ؟» .

نظرت في عينيها . حاولت أن أفهم طراز تفكيرها ومخططات سلوكها . لم يكن ذلك يسيراً . قلت :

ـ «تعالي إجلسي قربه ، خذي يديه ، وقولي كلمة واحدة فقط : «متأسفة» . إن لدى خسرو من الرجولة والطهر ما يجعله يغفر كل شيء . أقسم على ذلك» .

ردت على نظراتي الذاهلة . بقيت ساكتة مدة . أحسست أنها بدأت ترى الطريق . أو تسمع «حق وصدق» عشق سياوشهم . وخفضت عينيها ، ثم قالت :

ـ «ليس ثمة شيء أقوله لأي شخص» . فقلت :

ـ «بل هناك ، هنالك الكثير من الأشياء... أنت نفسك تعرفين» .

فالقت عليّ نظرةً من قلبُه مضطرب ، وقالت :

ـ « لا أبداً » .

ـ « من أجل خسرو » . فقالت :

ـ « على أية حال ، إنني مصابة بصداع حالياً . لا أستطيع الآن ـ كما أن معدتي فيها مغص » .

ـ « أنت وحدك من يمكنها مساعدته ، وتعيدي الحياة العادية للكل » .

ـ « أواه! ما شأني » .

ـ « وهذا هو الطريق الوحيد ـ طريق الحق والبساطة . إذا ما سمع خسرو الحقيقة من فمك ، مهما كانت ـ وأنا متأكد انك لست مذنبة ، وعلى أية حال فمهما يكن من أمر ـ مهما يكن ، سيكون هو حاميك . أما إذا فهم من الآخرين ، فستكونين في مقابله... تعالي ، أرجوك » ، وقالت ژيلا :

ـ « إنه يقول الحق ، يا فرخ . إصغي اليه » .

لزمت فرخ الصمت مدة . وكررت كلمتي الحق والبساطة بغيظ في تمتمة . ثم قالت :

ـ « لأصنعن اليوم أوسامد آقا يملأ أباه المحروق غبطة . سأعد له بليّة تحطمه شر تحطيم . ليفتح ذاك العباس الحمار عينيه! » .

ما زالت تتمرغ وسط مستنقع الماضي الأسود . فقلت :

ـ « اتركي أوسامد آقا وشأنه » . فقالت :

ـ « أتركه ؟ إن لم أحرق أبا أبيه المحروق... أتركه ؟ » . فسألتها ژيلا :

ـ « ماذا تريدين أن تفعلي ؟ » .

ـ «لا شيء... انتظري فقط!» .

ـ «فرخ!...» . فقالت فرخ :

ـ «الآن وابن الكلب ذاك يتصور أنه بتمثيله وبالغمز واللمز ينشر الفضائح ، فسأنشر أنا أيضاً عن وجوده القذر المؤذي فضائح تملأه غبطة . لما رأى الأوضاع مضطربة ليلتين أو ثلاثاً فتح فمه . يتحدى . يصطاد في الماء العكر . صح المثل : عندما يعلو الماء تبدأ الضفدعة بالغناء! أهالوا على رأسه التراب ، سأعلمه اليوم غناءً يختنق بعده اختناق الموت» . فقالت ژيلا :

ـ «آه! لماذا تغتاظين وتنفعلين لهذا الحد ؟» .

ـ «سأحرق أباه!» .

ـ «لا تفعلي أي شيء يا فرخ . دعيه . تعالي نذهب عند خسرو» .

ـ «انتظري . سأحرق أباه وأمه السليطة البذيئة معاً» .

على خوان ملابس واطيء كانت ثمة أضابير وأوراق وبعض النوافل مركومة . أمامنا ، راحت فرخ تبحث بين الأوراق والنوافل القديمة عن شيء . وقالت ژيلا :

ـ «يا فرخ ، لا تقومي بعمل مجنون ـ في يوم كهذا» . فقالت فرخ :

ـ «لأحرقن أبا المحروق... ليفتح عباس عينيه ويسمع هذا الكلام... فسيضرب على خطم أوسامد آقا ضرباً يجعله يتشقلب الى بروجن ، كي لا يمارس ألاعيب الماضي على أحد» . فسألتها :

ـ «أية ألاعيب مارس في الماضي ؟» .

ـ «البليّات التي أنزلها في لخبطة تلك الليلة على رؤوسنا جميعاً . لا

أريد أن أقول الآن » .

- « عن مرض سياوش - ليلة السابع والعشرين من مرداد ؟ إذ جلب دواءاً مغايراً فصار سبباً لتلف سياوش ؟ » . فنظرت اليّ فرخ متلصصة ، وقالت :

- « وبعد ذلك ، هل أوضح لك الباقي أيضاً ؟ عما فعل ؟ » .

- « قال أيضاً أشياء عن إخفاء جسد سياوش » .

- « ماذا قال ؟ كل ما قال فقد أكل خراءً . البحر لا يتنجس بخطم الكلب . أصلا كله من تقصير عباس الثور ذاك إذ أفسح المجال لبعر الماعز هذا . ليهيلوا التراب على رأس كل من أكل مخ حمار » .

- « أنا واثق أنك تعرفين أفضل » .

سحبت فرخ نحوي آهة طويلة مليئة بالغيظ ، ظنّت أنني اعرّض بها . قالت :

- « يا سيدي ، أنت تعرف التنويهات فلم لا تغفو[١٢٧] ؟ لماذا إذن انكببت عليّ صباحاً منذ أول الصبح تسألني أنا المسكينة أسئلة معقدة ؟ إن العمل الذي قام به ابن الكلب ذاك ليلة عرس هذين الطفلين يتعلق بثلاث وعشرين سنة قبل اليوم ، والألاعيب والحيل التي جعلها ابن المحروق ذاك تنطلي على ديوان لقا تلك الليلة لم تكن تتعلق بتلك الليلة أيضاً ، وإنما تتعلق بثلاثين سنة قبل ذلك ، حينما كان عباس وأوسامد آقا في بروجن .كل شيء منشؤه هناك . منذ ذلك الوقت عندما احتفظت أمهما القحبة بعباس المدلل وألقت بمحمد الأبله في الأزقة . إن بذرة الحقد والانتقام نشأت من تلك الأيام في قلب ابن المحروق ذاك » .

- « أية لعبة لعب أوسامد آقا تلك الليلة في بستان كرج ؟ » .

- « أية لعبة لعب ؟ » .

- « تفضلي قولي » .

ـ «ليبق هذا الآن ، حتى يقوم العقيد من مكانه» .

ـ « إن تفضلت فستنتهي القصة . البعير يموت والحاج يرتاح » .

ـ لع! إذهب فسلهم هم ، فأنت جيد في إلقاء الأسئلة » ، وأشعلت سيجارة جديدة . كانت مستقرة على وضع يجعلها تريد أن تمزق الغرفة .

صار الكلام معها عديم المعنى ، ولا فائدة ترجى منه ، غير أن يّموه الحقيقة أكثر . نهضت . ونهضت ژيلا أيضاً بفعل الغريزة . بقيت فرخ جالسة في نفس المكان ، مقطبة . قلت :

ـ « إذن فليس عندك كلام آخر » . قالت :

ـ «لع! في أمان الله» . قلت لژيلا :

ـ « أتريدين أن أوصلك الى البيت ؟ » . فنظرت الى أختها . كانت فرخ تجلس باردة صامتة . فقالت ژيلا :

ـ « لا أدري . ربما أبقى هنا ثم أذهب فيما بعد » . مهما كان فقد كانت اختها ، وأنا رجل غريب . وقالت فرخ :

ـ « حسناً ، سأوصلك أنا » .

ـ « قالت مامي إنها ستذهب صباحاً الى المستشفى لرؤية خسرو... بعد أن تكون ژاله تناولت إفطارها وذهبت للإدارة» .

التفتت فرخ نحو النافذة ، وقالت :

ـ « لأدمّرن أبا ابن المحروق دماراً يلتذ به» . ورفعت حقيبة يدها التي كانت حتى الآن على المنضدة ووضعتها على ركبتيها وبقيت ممسكة بها . كانت تبدو وكأنها تتهيأ للنهوض ، وستصرخ . وتضغط زر ماكنة تدمير الدنيا . قالت ژيلا :

ـ « فرخ ، ما فائدة ذلك ؟ » . فقالت فرخ :

ـ « ليفتح عباس في المستشفى عينيه» . فقلت :

ـ «في أمان الله» :

رن صوت جرس باب الحديقة في الممشى ، مرتين . فقالت فرخ :

ـ «لا بد أن هذه فاطمة» .

ولكن ژيلا كأنما أحست شيئاً ، فنظرت من النافذة ، وقالت :

ـ «لا ، إنهما سيدان وإمرأة . أحد السيدين ضابط» .

فالتفتُ ونظرت الى فرخ ، التي اهتزت ، وقالت :

ـ «من ؟» . فقالت ژيلا :

ـ «لا أدري» ، ثم قالت : «السيدة ترتدي السواد» .

قفزت فرخ بلهوجة من مكانها ، على نحو جعل الحقيبة تسقط من يدها على السجادة . اقتربت من النافذة ونظرت . وقالت :

ـ «الرائد كمالي ، مع زوجته . والدكتور خانلري . أصدقاء عباس...» .

تراخت الكلمة الأخيرة في حلقها ، ورأيت أن السيجارة ترتعش في يدها . قالت ببساطة :

ـ «مات عباس! تلفوني لا يعمل ، فاضطروا للمجيء بأنفسهم» . أخرجت الكلمات مثل أصوات إيقاع معدني من فمها ، ثم قالت فقط :

ـ «الويل لي! الويل له! بموته هذا!» ، وركضت نحو باب الحديقة ، مثل شحاذ مشلول يحاول اللحاق ركضاً بقافلة مضت منذ سنوات . وذهبت ژيلا وراءها .

بقيت بضع ثوان واقفاً وسط غرفة جلوس العقيد والسيدة ديوان لقا . كان هواء الغرفة لا يزال يابساً وخالياً . وكانت رائحة الماضي ، ورائحة العاقبة المجهولة ، تلتف بين الأثاث والسجاجيد والنجف العصرية . وكانت حقيبة يد فرخ ، عديمة الصاحب ، ملقاة على جانب .

رفعتها عن السجادة النائينية ، ذات الأرضية الخضراء ، ووضعتها على المنضدة . كانت الحقيبة مفتوحة ، وقد نتأت ورقة مطوية قديمة من بين محتويات الحقيبة الى الخارج . لا بد أنها الورقة التي بحثت عنها فرخ صباحاً قبل قدومنا في آخر جرار الخوان فأخرجتها . سحبتُ الورقة الى الخارج . فتحتها . ألقيت عليها نظرة . كان نص الورقة فيما يبدو ـ بخطه الرديء وحبره عديم اللون ـ شهادة أو خطاب اعتراف بخط وتوقيع محمد كوه گرد ـ بتاريخ ليلة ٢٧ مرداد سنة ١٣٣٢ .

سمعت وقع أقدامهم في الصالة فحشرت الورقة في جيبي . دخلت فرخ والأصدقاء . رجلان وإمرأة ، بوجوه يعلوها الغم . تم التعارف .

كنت رأيت الرائد كمالي ، بوجهه الصغير الذي يشبه وجه ثعلب ، قبل بضع ساعات في مستشفى پرند . وكان الدكتور خانلري أصلع سميناً طويلاً ، له شارب صغير مستطيل ، وبطن مرتخية ، يرتدي سترة وبنطالاً قهوائيين مخططين بالأحمر ، يبكي ـ لتنافره ـ على جسده . وكانت السيدة التي برفقتهما زوجة الرائد كمالي . كانت السيدة كمالي شيئاً لا يقل نحافة إلا عن شاحنة خلط الإسمنت ، تشبه حتى في لباسها الأسود وغطاء رأسها الأسود جبلا من الرز والسمن الكرمانشاهي[١٢٨] . ولكن هؤلاء الأشخاص الثلاثة كانوا حقاً نذير موت العقيد عباس ديوان لقا . جاؤوا ، جلسوا عابسين ورسميين ، قدموا التعازي ، وبتعاطف وتعاون وغيرة أبدوا استعدادهم للخدمة .

بعد بضع دقائق مرت في حديث التأسف والتعزية والموت ، سألت الرائد كمالي :

ـ «متى انتهى حضرة العقيد ؟» . فقال :

ـ «يرحمه الله آخر الليل ، ليلة أمس ، ينتهي . كنا هناك في خدمته حتى السابعة أو السابعة والنصف . إنا لله وإنا اليه راجعون» .

ـ «في حدود الساعة التاسعة أو العاشرة ؟» .

ـ «نعم ، لا بد . تقول الممرضة إنها عندما دخلت رأت أن العقيد قد توفي . كانت الأنابيب وإبر الحقن مفتوحة ملقاة ، ولكن العقيد توفي براحة» .

ـ «في مستشفى رازي ذاك نفسه ؟» .

ـ «نعم» . فسألته عرضاً :

ـ «ألم يكن خسرو هناك ؟» .

لم يرتح الرائد من طريقة سؤالي . قال :

ـ «ربما كان ابن السيد هناك ، وربما لم يكن . ولكنني لا أظن لانتحار خسرو علاقة ، بأي وجه من الوجوه ، بوفاة حضرة العقيد . فقد أسلم روحه الى بارئها بشكل طبيعي ، وذهب الى لقاء الحق . كلنا راحلون . حاول المستشفى ـ بعد الإطلاع على وفاة حضرة العقيد ، حوالي منتصف الليل ـ أن يتلفن لمنزل السيدة ، ولكن التلفون كان مشغولاً ، فأبلغوا الجنرال الذي قام بدوره بإعلام العبد لله . ومما يبعث على التأسف أن هذين الحادثين المؤلمين الى هذا الحد وقعا في ليلة واحدة . ولهذا السبب قررنا أنا والعيال أن نحضر بمعية السيد الدكتور ونبلغ الخبر حضورياً للسيدة الماجدة ، ونقدم فروض الوفاء والصداقة والمشاركة» .

كانت فرخ تبكي الآن . سحبت من علبة الكلينكس منديلا ورقياً وراحت تمسح دموعها ومخاطها . إن موت الزوج ، الذي كانت تتمناه ، قد حل اليوم خارج النوبة والانتظار ، ولا أذكر أن الموت ينتخب وقتاً مناسباً للوقوع قط . في هذا الصباح المضطرب ، الذي عاد فيه العقيد عباس ديوان لقا الى لقاء بارئه ، كانت زوجته فرخ ترتعش كالصفصاف حيرة ، ففتحت فمها كما لو كانت تريد أن تقول : ما الذي سيحل بي من ويل الآن ، إلا أنها سألت :

ـ «ماذا أرتدي ؟» .

خلال فترة عشر دقائق أُتخذت القرارات بشأن تشييع جنازة العقيد عباس ديوان لقا في بهشت زهراء ، ومجلس الرجال في مسجد (إمام زمان) ، ومجلس تعزية النساء في المنزل ، وإعلانات الوفاء والتعازي في (كيهان)[١٢٩] و(إطلاعات)[١٣٠] و(آيندگان)[١٣١]... وبعد وقت قصير رن الجرس مرة أخرى وجاء آخرون ممن لا أعرف . لم يكن ثمة ما يمكن لغريب فضولي أن يفعله الآن . ولهذا نهضت وودعت . كنت أنتظر أن تبقى ژيلا عند أختها ، ولكنها نهضت هي الأخرى وسمحت لي بأن أوصلها الى البيت كي تلبس شيئاً أسود .

لا بد من تنفيذ برنامج الموت وبرنامج الحياة . لا بد من تنفيذهما دائماً .

- ٢١ -

خرجت وژيلا من بيت العقيد . في فضاء صباح شارع زرتشت ، الخالي تقريباً من السيارات ، لم يكن أحد يبالي ما إذا كان العقيد عباس ديوان لقا قد توفي ليلة أمس أو ذهب الى حفل ختان حفيده . ركبنا الپيكان .

كان واضحاً أن ژيلا منكسرة ومنطوية على نفسها . كانت عيناها قد احمرتا بالدمع الذي يجف في مكانه . وضعت يدي على كم معطفها المطري الجميل ، وقلت :

- « متأسف... » .

- « لا... مم ؟ » .

- « من أنني جئت بك الى هنا » . لم تجبني ، كما لو أنني كنت ارتكبت خطأ حقاً . فقلت :

- « كان تقصيري» .

ولكنني ، على أية حال ، قبل أن أشغّل السيارة أخرجت الورقة المطوية من جيبي وقرأتها :

«استشهاد

بهذا يقر ويذعن ويشهد الموقع أدناه ، محمد كوه گرد من أهالي بروجن ، أمام اللّه والرسول وكل من ينبغي أن يعلم ، أنني ليلة السابع والعشرين من شهر مرداد سنة ألف وثلاثمائة واثنتين شمسية ، في البستان السكني لسياٰوش إيمان في كرج ، سممّت المشار اليه بحمله على تناول دواء مغلوط فقتلته ، ودفنت جسده في أراضي نفس المحل . أثناء كتابة هذه السطور ، أنا متمتع بسلامة الفكر وسلامة الجسم ، ولم يعرضني أحد لضغط روحي أو أي نوع من الضغط ، ولم أتعرض لتطميع أو لتهديد . إنني لا أدون هذا الأمر إلا من أجل الاستغفار لروحي وطلب العفو من ربي فقط .

ليلة ٢٧ مرداد ١٣٣٢ كرج

إنا للّه وإنا اليه راجعون » .

الاسم ، اللقب ، رقم دفتر النفوس ، الإمضاء .

كان نص الورقة وأسلوبها إداريين ورسميين ، ولكن مثيراً للريبة ، كما لو أنه كتب على أثر تهديد وتطميع... لابد أنه تهديد ديوان لقا ، أو تطميع فرخ ، أو كلاهما .

لم يطاوعني قلبي أن أُري الورقة لژيلا . فرفعت رأسي وحدقت في السماء الزرقاء . فسألت :

ـ «ما هذه الورقة ؟ » . قلت :

ـ «مذكرة» .

ـ «أخذتها من هناك ؟ » .

ـ « سأوضح لك كل شيء فيما بعد » . ووضعت الورقة في جيبي ، وتحركنا . أشاحت بوجهها عني ، وراحت تنظر من زجاج السيارة الى الخارج . قلت :

ـ « عندما كنا في الطريق الى هنا قلتِ بأن خسرو قال يوما أن ثمة نقطة سرطانية تحت جلد عائلته... أتذكرين ؟ » . فلزمت الصمت .

ـ « ألم يوضح خسرو قط أية نقطة سرطانية ؟ » .

ـ « لم » .

ـ « عم كنتما تتحدثان ؟ » .

ـ « لا أذكر » . فقلت :

ـ « هل سبق أن رأيت بستان كرج هذا ؟ أذهبت قط الى هناك كي تريه ؟ » .

ـ « بستان كرج ؟ » .

ـ « نعم . جنة إرم » .

ـ « لا » .

ـ « أتعرفين من يملكه الآن ؟ كيف وضعه ؟ » .

ـ « سمعت أنه صار الآن معملاً » . فسحبت نفساً عميقاً :

ـ « في المكان الذي قتل فيه سياوش لا بد أن ثمة أنابيب وفرناً وتجهيزات معمل تطاول السماء الآن... » . كانت لا تزال تنظر من زجاجة السيارة الى الخارج . كنا في توقف أحد رؤوس تقاطعات البولوار ، ومن اليمين واليسار كانت عيون السواقين والناس تستقر ذاهلة على وجهينا . كانت ژيلا تبدو متعبة وطافحة من كل شيء . قلت :

ـ « ألا تريدين أن نذكر سياوش بعد ؟ » . فقالت :

- «لنترك الموتى وشأنهم» . فقلت :

- «أنا لا أفكر بالموتى . إنني أفكر بالأحياء . إن سياوش حي . في وجود خسرو . ما لم يتضح موت سياوش وما لم تتضح الحقيقة - لا الواقع - فإن خسرو لن يكف . والآن ، أنا نفسي لا أنصرف» . فسألت :

- «أفلم يتضح ؟ إن ابن التعيسة هذا قد مات أيضاً...» . فقلت :

- «على وشك أن يتضح» . قالت :

- «لقد نشأنا جميعاً عمراً كاملاً في كذب وجهل وتعتيم على الحقائق...» . كانت تبدو وكأنها تكلم نفسها . فقلت :

- «الى أن أوضح كلام مجنون كل شيء» .

- «مجنون ؟» .

- «شهروز» . فقالت :

- «لا ، لم يكن شهروز» . فقلت :

- «إذن ، فقد جاء غريب وجلب معه مصباحاً ذا فتيلة» . فلفتت وجهها نحوي ، إلا أنها لم تضحك .

ظننتها تريد أن تقول : إنك لست غريباً ، أو تريد أن تلمس يدي ، أو تقول شيئاً ينسجم والروحية التي كانت لها إزائي الى ما قبل نصف ساعة . ولكنها أشاحت برأسها . ثم قالت :

- «أحياناً يأتي مجنون فيضيء شمعة حتى لا يبقى ألف عاقل في الظلام بلهى يئنّون» . فقلت :

- «تتكلمين جميلاً» . فقالت :

- «أريد من صميم قلبي أن أموت جميلاً» .

إنها تنظر اليّ مرة أخرى الآن . ومرة أخرى تبعث نظراتها فيّ الدهشة . إن وجودها الذي كان حتى الأمس طفولة ملآى بالهموم قد كبر صباح اليوم فجأة قربي . صارت إمرأة غامضة عصبية . أو إن هذه دورة تمر فيها دائماً . قلت :

ـ « إنك تحبيين أباك وأمك . وهذا بحد ذاته شيء ما... فخفضت رأسها ، ثم راحت تنظر للخارج مرة أخرى . فقلت :

ـ « أمك إمرأة طيبة . كما كتب سياوش الطاهر تحت صورته » . لم تلتفت . اندلقنا من البولوار الى (كريم خان) . وقلت :

ـ « وأبوك طيب أيضاً . بهلولُ طاهر الطينة » . فقالت :

ـ « لقد فهمتَ معاناة سياوش ـ فما هي ؟ » . فقلت :

ـ « معاناة سياوش هي معاناتكم ؟ » .

مضينا في صمت مدة . هبطت من كريم خان الى (إيرانشهر) ، ثم نحو الأسفل باتجاه بهار . كنا نقترب من بيتهم .

ـ « ما رأيك ؟ » .

ـ « بشأن ماذا ؟ » .

ـ « بشأن ما نفعل ؟ » . فسألت :

ـ « ماذا تريد أن تفعل ؟ » .

ـ « الآن ـ أم بشكل عام ؟ » . فنظرت اليّ وقالت :

ـ « الآن » . فقلت :

ـ « أذهب الى الرفيق الشفيق أوسامد آقا ـ فما زال ثمة ستار أخير . عندي معه كلام » .

ـ « أي كلام ؟ » .

- «للعبة بقية» ..

- «أية لعبة ؟» .

- «مهما كانت ، أليس كذلك ؟» .

لم تجبني . كما أنها انجذبت اليّ ببساطة راحت تنمحي الآن ببساطة . لم أفهم لماذا . لا بد أن ذلك لا يريد سبباً . مثل الجزر ومدّه . كنا بلغنا أمام بيتهم . آخر الرحلة . قالت :

- «ألا تريد أن تشرّف بالدخول ؟» .

- «لم لا . ليس سيئاً أن أسلم على لي لي خانم» .

فتحت ژيلا الباب الخارجي بمفتاحها . كان يأتي من الصالة الصغيرة صوت موسيقى جاز ومغني إيراني شاب . كانت ژاله وفا تقف ، لابسة سترة حمام ، من قماش المناشف ، قصيرة جداً وصندلاً أنيقاً فاخراً ، أمام مرآة الصالة الجدارية عند منضدة المكواة تكوي بسرعة تنورة سوداء ذات كسرات . كانت أظافر قدميها تحمل صباغاً أرجوانياً ، وقد تضمخ وجهها بالعرق . ولكنها كانت راضية لا علم عندها بشيء . رفعت رأسها . ردت على السلام . ثم قالت :

- «يا ژيلا ، ألم تري ريل[١٣٢] ماكس فاكتور[١٣٣] خاصتي ؟» .
فقالت ژيلا :

- «لا» .

- «واه! ففي أي قبر إذن ؟» . ثم نظرت اليّ وقالت بلا اهتمام :

- «تفضل» .

وسألت ژيلا :

- «ژاله ، أين مامي ؟» .

ـ «ذهبت الى المستشفى عند خسرو» .

ـ «عند خسرو ؟» .

ـ «تدري...» ، لا بد أنها تقصد موت العقيد .

ـ «أية أخبار ، أية أخبار» .

ـ «ذهبت مامي عند خسرو . قالت إنها ستذهب من هناك الى بيت فرخ» .

نظرت ژيلا الي . قلت لها بإشارة من يدي أنه لا يهم . في تلك الثانية كانت تبدو أصغر وأكثر انمحاءاً . وقد ضاعت في ظل فعاليات أختها الأكبر ، النسوية ، وتحركها وجازها وفخرها ، أختها التي كانت تواصل كي التنورة السوداء ذات الكسرات تحت منديل أبيض . (لا بد أن خبر وفاة العقيد قد بلغ ژاله) . كانت تنبعث من الغرفة الآن رائحة خوانات محلات كي الملابس . كانت ژاله بوجهها الأبيض المزيَّن ، وشعرها الملفوف بالبكرات ، وبدنها النحيل ، مثل بنت ملكة حوريات الأساطير ، جاؤوا بها فقيدوها بالسلاسل أمام المرآة ومنضدة المكواة .

ودعت ژيلا . خرجت فأغلقت الباب .

ـ ٢٢ ـ

قبل العودة الى حي شهرآرا وملاقاة أوسامد آقا ، تلفنت للمستشفى ـ مرة أخرى من التلفون الخصوصي لمحل صداقت لدلالية الأملاك عند استدارة شارع بهار . تذكرني المسيو صداقت ، وكان جالساً تحت صورة حضرة علي عليه السلام بمعطفه المطري ولفاعة رقبته وقبعته الأوربية ووردة عنقه وشاربه الدقيق الطويل إياها جميعاً ، فنهض نصف واقف ، وابتسم عارضاً إخلاصه ، لا بد أن ورقة الخمسة تومانات الشاهنشاهية ، التي قدمتها له صباح اليوم في لعبة التقدير ، قد فعلت

فعلها . مضت دقيقتان أو ثلاث حتى أوصلتْ فرنگيس نفسها الى التلفون . أخبر أحدنا الآخر بالمستجدات . كان خسرو لا يزال فاقد الوعي ، فأوصيت أختي أن يبقوه ، بأية قيمة وعلى أي نحو ، في المستشفى حتى أعود . أوصيت ألا يتركوا خسرو يخرج وحده ، أو يُرخَّص له بالخروج من قبل أمه أو أي شخص آخر ، أبدا .كما أبلغت فرنگيس بخبر وفاة العقيد . طلبت أن يبقوا في كل الأحوال في مكانهم . وسأقدم الإيضاح فيما بعد .

قطعت بضعة الشوارع فيما بين بهار وحي آرا في مدة ساعتين ونصف ـ الشبيهة بالمعجزات ـ لأنني لم أصادف أكثر من سبعة ازدحامات وانسدادات طريق أو ثمانية ، وذلك لأنني التففت وتسللت بين الشوارع واجتزت الأزقة الفرعية .

رأيت أوسامد آقا ـ من رأس زقاقه المهمل المفتوح ـ وقد فتح باب منزله على مصراعيه كي يخرج فولكس واگنه . كان يمهد القمامة أمام باب بيته بالرفس . كانت النظارة سوداء غير مناسبة لوجهه تتعارك مع شاربه ولحيته الأبيضين . تقدمت ، وأبقيت محرك السيارة يشتغل ، وخرجت أنا ، وبعد السلام والتحية أجبرت أوسامد آقا أن يأتي معي ، كي نتكلم فيما بيننا . حاول الإعتذار والتعلل . فقلت بإحكام إننا سنجلس نصف ساعة فقط في مقهى ما ، فنشرب شيئاً ، ونتكلم . وإن ثمة ورقة أيضاً أريد أن أريه إياها . وجدني مشحوناً تماماً ، كما لم يكن في اقتراحي ضرر . لم يأخذ موضوع الورقة على محمل الجد كثيراً ، وقال : على عيني . ترك فولكسه ، وأغلق الباب ، وصعد الپيكان . استدرت . سأل :

ـ « كيف حال جناب العقيد ؟ » .

التفت فنظرت اليه . يعني أنه لم يكن مطلعاً على خبر وفاة العقيد . وتركت أنا أيضاً الموضوع طي الكتمان . قلت :

ـ «لم لا تسأل كيف حال خسرو ؟ » . فهز رأسه قليلاً قليلاً .

قلت :

ـ «أتدري أية رزايا جلبتم على رأس هذا الفتى المسكين بعمل أول أمسكم ذاك ؟» . فأنكر ، وقال :

ـ «أيُ بابا ، يا عـــزيزي المهندس . لو كـــان عندنا حظ في الحياة...» . فقلت :

ـ «أذري» .

ـ «واللّه بعلي ملك الرجال ، إن كل خطوة مددناها ، وكل ورقة قلبناها ، كانت سوء حظ على سوء حظ» . فقلت :

ـ «لم يكن قصدي مجرد لخبطة حفل عرس خسرو ، يا أوسامد آقا . لقد قطع خسرو ليلة أمس عروق كلتا يديه ، أراد أن يقتل نفسه . إن بقاءه حياً لمعجزة . كان من حسن حظه أننا لحقنا به على عجل ، وكنت أنت أيضاً حسن الحظ ، وإلا لبقي دمه على كفك» . فقال متلعثماً :

ـ «بُعد البلاء إنشاء اللّه» .

ـ «ليس عندك غير هذا تقوله ؟» .

ـ «ماذا نفعل واللّه» . وأخرج سيجارة فعمرها .

ـ «ما الأخبار الجديدة إذن ؟» .

ـ «حتى السجاير جعلوها صغيرة ومغشوشة في هذه البلاد» ، وراح يطلق اللعنات والسباب المقذع بلا هدف في الفضاء . فقاطعته وقلت :

ـ «يا أوسامد آقا ، أتعرف مكانا هنا ، مطعماً أو دكة ، يمكننا أن نجلس فيه . إن رجلي تخور ، وحياتك الغالية» . فقال على الفور :

ـ «هنا بالضبط ، أدنى قليلاً من وسط (تاج) ثمة مطعم

(هاوايي) ، وهو ليس رديئاً . شرّف بالهبوط مستقيماً...» .

كانت الملة محتشدة في الشارع المزدحم مخرَّب الاسفلت المليء بالطين والوحل في أواسطه ، منصرفة الى أعمالها الصباحية . شاغلت أوسامد آقا بهذر يتعلق بآبادان وشركة النفط وزواج ابنة اختي من خسرو حتى بلغنا مطعم هاوايي حديث البناء ـ زعماً . كان مزبلة ، تشمل مبيعات أغذية ومشروبات ، وفي زاوية منه مائدة وبضعة مقاعد ، بلا مساند ، خفيضة . كان خادم يغسل الأرضية بين المائدة والمقاعد . جلسنا في زاوية خلف الزجاج ، كما لو كنا انكببنا في زاوية على الرصيف . قلت :

ـ « ماذا تتناول ، يا أوسامد آقا ؟ أي شيء ؟ على حساب العبد للّه ، أرجوك» . حك أوسامد آقا ، والمسبحة في يده ، مؤخر عنقه ، وقال :

ـ «وسگي ـ مع لبن وخيار» . ولفظ وسگي ، على وزن مِشْكي ، وبالگاف . قلت لصاحب المحل السمين القصير ، أحمر اللون أبيضه ، الذي كان يجلس وراء صندوق النقد الكهربائي ، أن يتلطف ويجلب زجاجة جوني واكر مع الصودا والفستق ، وكمية كبيرة من اللبن والخيار الى المائدة . تفحصني شبه الرجل ، ولكنه على أية حال نهض ، وترك قلمه وسط دفتره ، وأخرج من صندوق المرايا الغائر في الجدار زجاجة جوني واكر سوداء الرقعة .

جلبها بخفة مهرب وأراني إياها وبدأ بالإيضاح أن في محله قيمة الكأس من الويسكي أحمر الرقعة تسعة تومانات والزجاجة مائة وخمسون تومانا ، وذي الرقعة السوداء هذا ، مقفل الرأس ، بمائة وستين . طمأنته ألاّ بأس . طلبت منه أن يترك الزجاجة ويتلطف بجلب الفستق واللبن والخيار . فقال أوسامد آقا :

ـ «وخبز...» . لم يكن يريد أن يهمل أكبر جذابيات المائدة .

أطاع صاحب المقهى بتواضع . فتح رأس الزجاجة ، لفافة ومهرا وغير ذلك ، بدقة . أقام الزجاجة وسط المائدة . وقال لصبيه أن يجلب بقية التجهيزات .

قلت :

- «يا أوسامد آقا ، تحدث عن نفسك وعن الماضي ، على مهل» .
فقال :

- «آي ، القديم مضى ، لن يعود الماضي بعد . كانت أيام ، كنا نجيء فيها الى رأس جسر تجريش ، حيث تقوم دكة ، فنعطي تسعة هزارات[١٣٤] ونأخذ نصفاً[١٣٥] - يعني كنا نعطي تسعة قرانات[١٣٦] ونشوف الخير بخمسة سيرات[١٣٧]... وكنا نعطي قرانا واحداً عن اللوبياء[١٣٨]... تسكر فيكلفك تومانا واحداً . والآن يقول مائة وستين توماناً من أجل زجاجة ، أي لك الموت يا أمريكا!...» ، لما تورّد لهجته بعد . قلت :

- «لا تحزن ، يا أوسامد آقا . أكمل ما كنت فيه» .

- «ماذا ؟» .

- «إنك كنت قد جئت طهران حديثاً ؟...» .

- «ها .كنا جئنا حديثاً الى طهران . المرحوم السيد كان قد اشترى لتوه بستان نياوران . وقد جَلبَنا نحن أيضاً مع وسائل بيته وأثاثه من شيراز الى طهران . في تلك السنة كان سن سياوش عشر سنوات أو اثنتي عشرة . وكان أمير في التاسعة...» . فقلت :

- «أريد من صميم القلب أن تتحدث عن الماضي الأقدم ، يا أوسامد آقا . أدِرْ ماكنة الزمان أبعد في الماضي... تحدث عن طفولتك» .
فقال :

- «لم يكن لطفولتي ، بتجميع الروث والبعر في قرى سهول

بروجن ، أي صفاء . كان فيها ألم ونكبة ، بعليّ ملك الرجال » .

وصل الفستق والخبز والصودا واللبن والخيار أيضاً . لم يكن أوسامد آقا قد طلب صودا . فقال : نحن أنفسنا عندنا رأس واحد له ألف « سودا »[١٣٩] . سلمت يداك . ورفع الفنجان متعجلاً وسكبه في قعر حلقه . وكانت مزته مجرد لقمة خبز مع اللبن والخيار . قطب وقال :

ـ « أيْ يا سيدي . ليحترق أبي . أتستحق طفولتي الحديث ؟ » .

ـ « قل ، إن فيها صفاءً » .

كان نور الشمسِ منيرةِ العالم يشع من ثنيات ستائر مطعم هاوايي العمودية بشهر آرا على وجه أوسامد آقا . كان وجهه المغضن الأسود ، بلحيته وشاربه الأبيضين خفيفي الشعر ، مشعاً على نحو حسن اليوم ، وكنت أرى في وجهه ظلال أبطال الشاهنامة وأكابر سهول إيران وقروييها ، يتسابقون فيما بينهم . حدقت الى عينيه الصغيرتين الضيقتين تحت النظارة السوداء ورحت أفكر في الاستشهاد المكتوب بخطه والذي كان نائماً في جيبي الآن وهو لا يدري به . قلت :

ـ « يا أوسامد آقا ، أنا أيضاً من أبناء جنوب المدينة ، من طبقة أوحال هذه البلاد نفسها... أنا أيضاً بدأت من الصفر ـ ولهذا فنحن كلانا من نفس القماش ، وقد صرنا الآن ابني عائلة واحدة أيضاً . لذا تعال ، الآن ونحن جالسان ، كما تقول ، نلهف شَوَي شَوَي ونهذر فيما بيننا ، واشرح لي قضية خسرو وسياوش » . فقال :

ـ « شوي شوي اصطلاح أهل شيراز ، أما نحن أهل بروجن فنقول (نلهف الشراب بطيئاً بطيئاً) . كمان صغير وضرطة غراب أصغر » . فقلت :

ـ « بارك اللّه! » . قال :

ـ « أما نحن ، أعرض على جنابك ، فقد بدأنا الحياة من قعر الحفرة

ـ ولو أنه من قلة الأدب ـ من النجاسة » .

ـ « روحك أرفع من ذلك » .

ـ « واللّه بحياتي » . فقلت :

ـ « اسمع يا أوسامد آقا ، أريد اليوم أن نجلس هنا ، أنا وأنت ، مثل رجلين وحيدين في هذه الدنيا ، نبتهج ، فأسمع قصة ماضيك وماضي الآخرين ، لكي أنهض بعد ذلك فأذهب عند خسرو ـ خسرو نفسه فقط ، وحياتك وروح ثريا ، خسرو نفسه فقط ـ فأشرح له كل شيء ، أنوّره... فأريح بال الجميع . وبعدئذ أيضاً أعود الى عملي بآبادان » .

ـ « حبيت ، كم أنت رجل » .

ـ « قبول ؟ » .

ـ « العبد اللّه خادمك المطيع » .

ـ « بل سيد . ابق رجلاً » .

شرب مرة أخرى . قدمت اللبن والخيار أمامه ، واعتنيت بنفسي أيضاً قليلاً . غمزت له مشيراً أن تفضل . فقال أوسامد آقا :

ـ « أعرض على جنابك أن أبي كان في أوائل عهد رضا شاه في ريف جنوبي بروجن بأطراف فارس خبّازاً . خبازاً مدمناً على الـ (شيره)(١٤٠) . وأمي شابة ، ومن أبي امتلأت سأماً » .

عادت لهجته ، بسكره المبكر . كان حكواتياً ذاتياً من بطن أمه ، ويروي قصته بصيغة المضارع البسيط كما لو أنها وقعت اليوم بالذات ، أو أنها تقع حالياً ، أو ستقع غداً :

ـ « يحترق أبي إذ يسقط ، في سن الثلاثين ، مستقيماً الى التنور فيعطيك عمره . في ذلك الزمان كانوا في الريف يبنون تنور الخبز داخل

الأرض ، وأبي ـ كما عرضت لحضرتك ـ خباز شيري ، وذات يوم على هذا الشكل وهو جالس القرفصاء عند التنور يخبز ، يغفو ، ينهار تراب التنور من تحته فيذهب أبي على رأسه وسط اللهب . كانت الأم تجلب ، من قعر حفرة ، روثاً كوقود للتنور . تأتي الأم بوقار لترى ما جرى ، والى أن تصل يكون أبي ، بهيكله الضخم المنفوخ ، قد وقع في التنور فعلق فيه وراح رأسه في اللهب والرماد الحار . احترق وصار فحماً... الخلاصة : يتلف . ثم نبقى في هذه الدنيا ـ أنا اليتيم مع أم بنت سبع عشرة أو ثماني عشرة سنة . في محيط الريف والعمران الملخبط عديم الحساب ذاك ، محرومين من كل شيء . ثم تنهض الأم فتأتي الى بروجن وتبيع أثاثها كي تذهب الى شيراز . ثمة هذا الميرزا تقي حائك الگليم . الذي عنده شعبة في آخر السوق . يرى الميرزا الأم فيعلقها . والأم لا تستاء هي الأخرى . يقول لها الميرزا تقي الكافر : يجب أن تتخلصي من جِرْوِك... لا أصدع رأسك ، ليسلم بدنك ، يحيكون گليم حظنا أسود في تلك السنة نفسها ويسلموننا إياه ، بأيدينا . ترمي بنا الأم ثماني سنوات أو تسعاً من حفرة الى أخرى . في البدء بقينا عدة أصباح في المنزل بوصفنا أهلاً . وعدة أصباح أيضاً عند خالي ، الذي كان حكواتي قهوة الحاج رضا . ثم ـ ولو أن هذا من سوء الأدب ـ تخفينا الأم مدة في قعر مرحاض بستان الميرزا تقي حائك الگليم . أحدثُ صوتا فتصفعني الأم صفعة تجعل البرق يتطاير من ثقوبي السبعة . يأخذون (زال)[١٤١] الى أعلى قمة (قاف) فيخفونه عن طائر العنقاء ، ونحن في قعر مرحاض منزل زوج أمنا . كما أسمونا أيضاً : ممد الجني... طيب ، من كثرة ما بقيت ـ من يوم أن جئت من بطن أمي الى هذه الدنيا المخبولة ـ في تلك المباول والمراحيض والسراديب ، صرنا مختلين » .

يحتاج المرء الى أمور فوق اللغة والكلام والرموز كي يفهم كلام أوسامد آقا الآن . ولكنه كان لذيذاً ، والمرء يفهم ، حتى أنا .

رفع أوسامد آقا كوه گرد فنجانه فابتلعه ، مع اللبن والخيار . كان الخيار لا يزال تحت أسنانه إذ قال :

ـ «عندما تلقح الأم بعباس من الميرزا ، فبقية القصة معلومة» .

ـ «أية معلومة ؟» .

ـ «لا تقل عباس ، بل قل تحفة عديمة النظير» .

ـ «آها...» .

ـ «وكم هي رخوة متخلفة هذه التحفة . ولكن كأنه جاء إثر سبع بنات عمياوات... أي عزيز مدلل! أي درة فريدة! ما... شا... ء الله . أخرج أثناء الليل من المرحاض ، فأتفرج من وراء زجاج النافذة . يضع الميرزا والأم عباساً ، كما لو أنه تحفة فريدة بالضبط ، بالتناوب ، على ركبتيهما ويناغيانه بلسان الأطفال . يهدهدانه . يضع الميرزا لعباس سكاكر على موقد الطبخ... الخلاصة ، تقلعنا الأم بعد ذلك من بروجن أيضاً» .

صب لنفسه قدحاً آخر . إن لقصته ، سواء أكانت حقاً أم كذباً ، جذوراً وعقداً حلوة ـ بالنسبة لإنسان في وطننا . والآن صرت أفهم لماذا كان سياوش يحبه . قلت :

ـ «تحدث عن شيراز ، يا أوسامد آقا» . فقال أوسامد آقا :

ـ «كنت قد أنهيت الإجباري[١٤٢] للتو عندما صممت على الذهاب الى شيراز . من زقاق لزقاق ومن باب الى آخر مستجدياً» .

ـ «فتصل بيت الدكتور إيمان ؟» .

ـ «السيد ، يرحمه الله ، يجدنا وراء باب بيته ، يأمر فينقلوننا الى زاوية البستان . يعطوننا صحن رز وقيمه[١٤٣] . الخلاصة : نبقى هناك في بيت السيد للعمل . وفي آخر السنة يفتح لنا السيد الطريق الى

بيته . يرتب أوضاعنا... » .

- « الدكتور إيمان ؟ » .

- « آها » .

- « حسناً » .

- « في ذلك الوقت كان عند الدكتور والخانوم من الأطفال سياوش وأمير فقط ، اللذان كانا صغيرين » .

- « ولي لي خانم بالطبع هناك ؟ » . أنا أيضاً التصقت بصيغة المضارع البسيط . أترك خليط الحاضر والماضي يستقر جيداً على سكره .

يرفع أوسامد آقا رأسه نحو النافذة والشمس :

- « نعم ، لي لي أيضاً هناك » . وعيناه الدقيقتان تخرجان دخاناً .

- « لي لي أخت سياوش غير الشقيقة ؟ » .

- « آها » .

- « كم عمرها ؟ » .

- « لي لي في تلك السنة عمرها اثنتا عشرة أو ثلاثة عشرة سنة » .

- « وأنت كم عمرك ؟ » .

- « نحن أيضاً عمرنا اثنتان ثلاث أربع وعشرون » .

إمّا تركته ولي لي مع بعض ، فقد القت بسمةٌ مريرة ظلالَها على غضون وجهه . ولكنه لم يستأ . بقي مدة ساكتاً .

- « زواج لي لي وأحمد وفا في شيراز ؟ » .

- « نعم - عرسهما في شيراز . لا تنظر الى أحمد وفا اليوم إذ هو يشبه مربى قشور النارنج . في ذلك الوقت كان أحمد وفا جاذب نساء بقدر ما تريد . وكانت عنده علاقات أيضاً . كان عنده عمل ومرتب في

مالية شيراز . كان عنده دخل . كان عنده اسم ومقام . طيب ، هذا أيضاً كان ابن أخ الدكتور نفسه غير الشقيق ، لا ؟ وردة عنق وربطة عنق ، ميرزا[١٤٤] على أربعة وعشرين قيراطاً . أبهة وفخر وتظاهر . مع أن الدكتور لم يكن على علم بكل لعب قمار أحمد وشربه الخمرة ، إلا أنه كان يحبه . الخلاصة : يوافق السيد على زواجهما . وفي آخر تسعة أشهر وتسعة أيام تخفق فرخ محلقة في حياتيهما » .

رفع قدحه ، سكب المشروب في قعر حلقه ، كما لو أن مجيء فرخ كان بداية خلق الكون الأليمة المسببة لمصائب الكون والمكان . نظرت الى عينيه وراء النظارة السوداء . كان ثمة شيء يحترق هناك ، أو أنه احترق منذ سنوات . مرة أخرى ملأ قدحه . » .

- « ثم ماذا ؟... » .

- « ها... تلك السنة نفسها التي ينقل فيها السيد فيأتي الى المركز - الى وزارة الداخلية ، يجلب أسباب معيشته وكل شيء الى طهران » .

- « وماذا عن أحمد ولي لي خانم ؟ » .

- « لا ، أحمد ولي لي بعد عدة سنوات ، إذ وضع أحمد كل شيء على الزجاجة والقمار والمرأة ، وصار وضعه خراباً ، يأتيان الى طهران » . فقلت :

- « يا أوسامد آقا ، قلت ليلة أمس أن أحمد وفا ولي لي خانم جاءا الى طهران فذهبا الى منزل أخيك عباس ديوان لقا حيث استأجرا الغرفتين فوق بيته . أكانت هذه صدفة من صدف القدر أم أنك كنت تعرف ديوان لقا تلك الأيام بطهران ؟ » .

ترك مسبحته على المائدة ، وشبك أصابعه ، وطقطقها . ثم أخذ المسبحة ، وقال :

- « صدفة من صدف القدر ، يا جناب المهندس . صدفة من صدف

القدر اللعينة . مع أن العبد للّه أساعد في وقوعها . تلك السنة ـ سنة سبع وعشرين أو ست وعشرين ـ عباس والأم الآن في طهران . أنا على تماس بهما أحياناً ، فمهما يكن هي أمي . جاءوا الى طهران . الميرزا ميت . عباس أخذ شهادة إعدادية . درس في كلية ضباطه ، واشترى مع الأم كوخاً بالأقساط يعيشان فيه . عندما يأتي أحمد ولي لي خانوم الى طهران ، فالعبد للّه نفسي أخدم في بيت نياوران ، منزل الدكتور السناتور ، الذي كان الآن نائباً في المجلس . وعندما سمعت أن أحمداً ولي لي يبحثان عن مكان ، الخلاصة : نبذل همة كي ينزلا في بيت عباس ـ كي يقيما على نحو مؤقت شهراً أو شهرين . وها قد مضت ثلاثون سنة » . مرة أخرى صب لنفسه .

ـ « ولا بد أنك كنت تراهما بانتظام » .

ـ « إي ، كنت أراهما » .

ـ « وكم عمر فرخ ذلك الوقت » .

ـ « عشرة ، اثنتا عشرة » .

ـ « وكم عمرك ؟ » .

ـ « ثمان وثلاثون ، تسع وثلاثون » . مرة أخرى ركضت حالة مرارة الى وجهه . تناول شرابه وشرب . وكان بياض عينيه يحمرّ سكراً . مكتئبون نحن من شرارة الغرام والانتقام . كنت قد حركته من ماضيه ، من حافة تنور ريف بروجن ، ونقلته الى شيراز ، أريته لي لي ، ثم أتيت به الى طهران ، أوصلته حتى بيت عباس ديوان لقا ، وها قد سحبت فرخ الى روحه والى عينيه الجائعتين . أواخر العشرينيات[١٤٥] ، لي لي وفرخ ، منزل شارع بهار ، مال وملك عباس ، وكل الأمور التي لم يمتلكها أوسامد آقا قط ، والتي خسرها ، كانت هناك في ذلك البيت... حياة . قلت :

ـ « يا أوسامد آقا ، بصرف النظر عن هذا كله ، نحن الآن صديقان

وحتى قريبان . أرجوك أن تعطيني العنوان البريْدي لبيتك . لكي يكون عندي العنوان الصحيح إن أردت أن أرسل شيئاً من آبادان » .

أراد أن يتهرب بالمجاملات إلا أنني سحبت أحد المناديل الورقية التي كانت على المائدة ، من كأس الملامين ، وقدمته له .

أخذ قلم الحبر ، وكتب اسمه وعنوانه في طهران على الورقة . كان خطه شائهاً ولكن مقروءاً . أخذت الورقة وطويتها ووضعتهاقرب الاستشهاد في جيبي . وقلت :

ـ « يا أوسامد آقا ، اسمع . في سنة ١٣٣٠ ، كانت فرخ وعائلتها في منزل عباس ديوان لقا وأهله . وأنت في منزل الدكتور . عباس يهوى فرخ . يريد أن يتزوج فرخ ، فيعارض أحمد وفا . ولكن لا شأن لنا الآن بهذه الأحداث . شأننا مع العام التالي . في العام التالي تطفر فرخ فجأة فتذهب الى كرج ، عند سياوش خان . أتذكر تلك الأيام » .

خفض أوسامد آقا رأسه . وفتح مسبحته التي كان لفّها حول إبهامه ، وراح يديرها بعصبية داخل يده . قال :

ـ « أيام أن كان سياوش خان هناك في الخربة ، نعم . كنت أخدمه بروحي » .

ـ « أكنت تراهما بانتظام ؟ تساعدهما ؟ » .

ـ « خدمة لسياوش ، آها » .

ـ « في تلك الأيام ، أكان غيرك من بيت الدكتور السناتور يذهب عند سياوش أيضاً ؟ » .

ـ « لا... فقط في أحيان نادرة أخوه أمير ، ولكن ليس كثيراً » .

ـ « كيف كان يصله المال ؟ » .

ـ « عندما كان سياوش وحيداً مع نفسه لم يطلب حتى فلساً أسود

واحداً من ديّار من خلق الناس هؤلاء » .

ـ « وماذا بعد أن ذهبت فرخ عنده ؟ » . فهز رأسه وقال :

ـ « بعد أن فرضت فرخ نفسها عليه ، شرع سياوش في الاقتراض وكتابة التعهدات . لا شيء من السيد والخانم . أما عباس فكان في السجن تلك الأيام . ولكن ، على كل حال ، كان يصلهما المال . ثمة أوسطى كريم » .

ـ « أعرف ، كان يأخذ من مسعودي » . نظر اليّ مندهشاً من كيفية حفظي للدرس . وقال :

ـ « آها ـ كان يقترض من شخص باسم مسعودي » .

ـ « كم ؟ » .

ـ « لا أدري بأبي الفضل » . لأول مرة كان يكذب .

ـ « تقريباً كم ؟ » . فقال باضطراب :

ـ « لا اطلاع عندي » . كانت عنده حساسية رديئة حول موضوع المال ومقدار المال .قلت :

ـ « أكنت واسطة ؟ » . فقال :

ـ « العبد للّه ، بأبي الفضل ، إن كانت روحي تعرف شيئاً عن المال وعن اتفاقاتهم » . فقلت :

ـ « لا تعاود تدوير إسطوانة روحي لا تعلم بأبي الفضل ، التي بدأت تدويرها ليلة أمس... » .

اتضحت لي الآن بعض رموز مفاهيم لسان أوسامد آقا . فكلما أقسم بعلي ملك الرجال كان ، بلا وعي ، يقول الحق . وكلما أقسم بلفظة « أبي الفضل » فالكذب في ذهنه بلا استثناء وبلا وعي . وكان علي ملك الرجال مساوٍ في ذهنه لرستم الأسطورة أو أكبر رجل يمكن أن

يوجد في الدنيا . قال :

ـ «العبد لله وسمت ظاهر كفي ألا أفتح شفتي ، ما دمت حياً ، عن معاملاتهما واتفاقاتهما تلك ، بعلي ملك الرجال» .

احتضنت إحدى ركبتي ورحت أنظر اليه . ثم ألقيت نظرة نحو صاحب المقهى ، لأرى إن كان عنده تلفون أم لا . كان ثمة تلفون ذو صندوق ، جنب صندوق النقد الكهربائي . فقلت لأتلفن للدكتور راسخ لأرى إن كان قد اتصل بقاسم مسعودي كما طلبت منه أم لا .

كان قدح أوسامد آقا مليئاً فقلت :

ـ «يا محمد آقا اشرب أنت ، وأنا سأتلفن عن إذنك» . نهضت وأنا اتفحص جيوبي . لم تكن عندي فكة . خلق أوسامد آقا ، بنشاط ومهارة من جيب صداره ، قطعة خمسة ريالات ونهض نصف واقف فقدمها بكلتا يديه . أخذت المسكوكة وجئت نحو التلفون . إن المال الذي نأخذه من الناس يكون له أحياناً لون ورائحة صاحب المال . نظرت الى مسكوكة أوسامد آقا في يدي... كانت المسكوكة تبعث رائحة قرع بروجن الحلواني . حتى كانت تتمعج في يدي . على أية حال ، جئت بها فوضعتها في صندوق تلفون مقهى هاوايي . أخذت رقم راسخ عن بطاقته الشخصية التي أعطانيها أمس . كان تلفون منزله وعيادته في طهران الجديدة واحداً . تم الاتصال . كان راسخ قد وفا بوعده واتصل بمسعودي . قال إن مسعودي أيد موضوع صك السبعة الآلاف تومان من الدكتور إيمان . كانت أحد عشر صكاً بلا رصيد من سياوش إيمان ـ كل منها مصحوب بمذكرة بخط سياوش ـ ومجموع مبلغها ثلاثة آلاف وخمسمائة فقط ، ولكن الدكتور أعطى ضعف المبلغ ، صكاً بمبلغ سبعة آلاف تومان ، لمسعودي . وكانت جميع الصكوك (باستثناء الصك الأول الذي كان لصالح سياوش نفسه) لصالح محمد كوه گرد . وكان تظهير وإمضاء محمد كوه گرد وراء باقي الصكوك العشرة كلها . كان مسعودي قد أخذ كل صكوك ومذكرات سياوش وأعطاها معاً ، وبحضور

محمد كوه گرد ، للدكتور إيمان . وقد مزقها الدكتور إيمان ، في الموقع ، بيديه وألقاها في نفاضة السجاير .

تشكرت من راسخ . كان قد سمع بانتحار خسرو الناقص ، وقال إنه كان عائداً لتوه الآنْ من ملاقاة خسرو وثريا في مستشفى پرند . تواد عنا ووضعت السماعة .

نظرت من بعيد الى أوسامد آقا . كان يجلس ثملاً منتعشاً وراء زجاجة الجوني واكر نصف المملوءة . كان يسبح . أخرجت من جيبي ورقة استشهاده وقطعة الورق التي كتب عليها عنوانه ، وقارنتهما . لم تكن ثمة حاجة الى إخصائي خطوط .

عدت الى المائدة .

ـ ٢٣ ـ

ـ «أوسامد آقا ، أوسامد آقا ، اسمع يا أخ» ، قلت هذا وجلست جنبه عند المائدة الصغيرة .

ـ «كان الإتفاق أن نجلس كالرجال فنستمتع ، ونستعرض كل الحقائق» . فقال :

ـ «العبد للّه عرضت في خدمتك الحقيقة عينها ، يا سيدي المهندس . بأرواح الدكتور وتربته...» . فقطعت كلامه :

ـ «اسمع... يا أوسامد آقا ، إنك لا تسمع كلمة الواقع أو الحقيقة على نحو مطابق لمعنى الكلمة ، أو أنك تسمع شيئاً آخر تريده أنت . لقد ذهبت أنا الآن فتكلمت بذلك التلفون مع أشخاص هم مراجع مهمة ورسمية في هذه البلاد . لقد رجوتهم فحققوا . لقد أخذ أبو القاسم مسعودي صكوك سياوش فقدمها للدكتور إيمان ، بعد موت سياوش ، في حضورك . ثلاثة آلاف وخمسمائة تومان عن أحد عشر صكاً .

يأخذ الدكتور إيمان الصكوك ، ثم يعطي صكاً شخصياً بمبلغ سبعة آلاف تومان عن صكوك سياوش لمسعودي . ثم يأخذ كل صكوك سياوش ، التي تحمل جميعاً تظهيرك ، فيمزقها بيديه ويلقيها في نفاضة السجاير ويضع عود ثقاب تحتها أيضاً » .

كان أوسامد آقا قد وضع الآن طرف جبهته المحروق المغضن على قبضة إحدى يديه ، فوق عمود ذراعه ، على المائدة ، وراح يهز رأسه . كانت لعينيه ، وراء النظارة السوداء ،حالة حيرة معتمة . ظننته كان يبكي . ولكن لم يكن ثمة بكاء . أو على الأقل لم تكن ثمة دموع . قلت :

ـ « يا أوسامد آقا ، لأول مرة ولآخر مرة ، أريد استيضاح هذه المسألة . تعال وساعد كي يكون ذلك معيناً لك . إن لم تتعاون ـ ولم تبين الحقيقة كاملة وخالية من الزوائد ـ فإنني ساعرف الموضوع . بأية طريقة ، أخيراً . أفليس الأفضل أن يكون ذلك عن طريقك ، ولمنفعتك . ولكنه سيتضح أخيراً ، ولكن ، قبل أن تتضح الحقيقة عن طرق أخرى ، ستضيع حياة أناس آخرين كثيرين هباءً ، صدقني . ستراق دماء أخرى ، صدقني . وأولها ربما حياة ودم خسرو . ثم الباقين . ويمكن أن يتورط عدد مع القانون . ويمكن أن يقع عدد في السجن . أنت نفسك عندك الآن حياة بسيطة . وقد دبرت لنفسك بيتاً . أمورك دارجة . ولكن نقطة السرطان هذه موجودة . والآن وقت العمل . إصح ، يا سيد كوه گرد . أوضح لي ـ شخصياً ـ ما وقع تلك الليلة » .

رفع سمّه وطفحه . نظرت اليه . أكل لبنه وخياره أيضاً . ثم نظر الي . وقال :

ـ « واللّه بكل الأولياء والأنبياء إن كان لي في ذلك الحدث تقصير » . فقلت :

ـ « ها قد عدت لتدوير الأسطوانة الأولى . إننا اليوم لا نريد استخراج المقصر ، أو نقوم بالحكم . اليوم لا أريد إلا أن يعرف خسرو

أصل الواقعة فقط . خسرو نفسه فقط . لم لا تفهم ؟ هذا فقط! خسرو فقط! » . ووضعت يدي على يده العجوز والمحروقة . فقال :

- « إن فعلت لي معروفاً فكأنك بالضبط قد اشتريت عبداً وأعتقته في سبيل اللّه » .

- « أي معروف ؟ » .

- « أن تُجري مواجهة بين العقيد وفرخ خانم والعبد للّه... » .

كان لا بد من هزّة أخرى كي تحطمه تماماً . قلت :

- « لم تعد هذه المواجهة ممكنة بعد في هذه الدنيا ، يا سيد محمد كوه گرد . فالعقيد عباس ديوان لقا توفي ليلة أمس في مستشفى رازي » .

بهت في عينيّ . إنني أتذكر الألعاب النارية التي كانت تقام قديماً في ميدان توپخانه ، وها أنا أرى الآن مثلها بالضبط في عيني أوسامد آقا السكرانتين . انعقد لسانه .

اكتفى بهز رأسه . سكب آخر عقدتي الأصبع الموجودتين في الزجاجة لنفسه في كأس كبيرة ، كما لو كان ينتظر هاتين العقدتين طوال عمره . وقال :

- « لا ، كذب » . كان رد فعل طبيعته أن يقول لا أولاً في مقابل كل شيء في هذه الدنيا ، ألا يصدقه . فقلت :

- « صحيح . جاء الرائد كمالي والدكتور خانلري صباح اليوم الى بيت فرخ . أطلعاها ، وأخذاها الى تشييع الجنازة . كنت هناك . العقيد عباس لقا مات . انهض تلفن لمستشفى رازي ، اسأل... » .

- « عباس مات ؟ » .

- « مات » .

ـ «يا للأسف! يا للأسف!» . وضرب على ظاهر يده .

ـ «يا للأسف ؟» .

ـ آسف لأنه رحل ولم ينل جزاء أعماله» .

ـ «كي يصير ماذا ؟» .

ـ «كي يثقب خسرو ، الحمل الطاهر ، صدر قاتل سياوش بخنجر مسقيّ ، ويفصل رأسه عن جسده القذر» .

ـ «قاتل سياوش ؟» . فخفض رأسه الى أدنى . قلت :

ـ «على أية حال يا أوسامد آقا ، فالعقيد مات» .

ـ «قل : وحياة ثريا خانم!» . فقلت

ـ «انهض تلفن لمستشفي رازي . نعم مات . فينيش! إنتهى . انتهت تلك الحياة . يمكنك الآن أن تتكلم . تمت اللعبة . وأنت أيضاً في أمان . ولكنك ينبغي أن تقضي حياتك على نحو آخر» .

رفع الكأس وشرب متمطقاً . في صحة! وبفعل الغريزة أيضاً أكل خبزاً ولبناً وخياراً . ومسح شفتيه وما حول فمه بظاهر يده . نظر من زجاج المقهى الى الشمس . بقي ينظر مدة طويلة . استقر في عينيه لأول مرة ظل هدوء ـ لا بد لأول مرة بعد أن سقط أبوه في التنور بريف بروجن . يبدو أنه ما تزال ثمة علة في قعر عينيه السكرانتين . فأخرجت الاستشهاد من جيبي وأريته إياه .

ـ «هذا عندي» ، وأمسكت الورقة أمام عينيه كي يراها . نظر اليها . كانت حدقتا عينيه ـ عمليا ـ تقفزان الى الخارج . ونظر اليّ فاغر الفم ،مذهولاً ، وكان دماغه العاطل عن العمل يسعى ليفهم كيف حصلت عليها . ولكن السكر لم يمكنه . وكانت هذه آخر ضربة .

ـ «أجبراك ؟» .

ـ « آها ، بعلي » .

ـ « متى أجبراك على كتابتها يا سيد محمد ؟ » .

فلزم الصمت . أشعل لنفسه سيجارة . ملأ كلتا رئتيه ، وعندما أتيحت له الفرصة زفر ببطء الى الخارج . ثم قال ببساطة :

ـ « تلك الليلة عينها » .

ـ « أية ليلة ؟ » .

ـ « تلك الليلة التي جلبني فيها عباس من كرج الى طهران... » . كان صوته مثل حشرجة اختناق . كان ينظر نحو زجاج النافذة ، كما لو أنه كان يحدث الناس الذين على الرصيف ، أو يحدث الدنيا .

ـ « لماذا ؟ » . فقال :

ـ « إن الخلاف الوحيد الذي فعلته ، أنا الثور ، في هذه الدنيا ، أنني طمرت تلك الليلة جسد ذلك الشاب البائس ـ الذي أتمنى أن يمطر اللّه النور على تربته ـ هذا فقط وفقط .

لتنكسر يداي ، لتحترق روح أبي في نار جهنم ، إن كنت أكذب . لأحترق أنا نفسي غداً يوم القيامة في نار الجحيم إن كنت أكذب . فقط هذا . بعليّ هذا فقط . أنا فقط وفقط طمرت جثة ذلك البائس . قالا إنهما يريدان أن يشعلا النار في جثته بآخر البستان . لم يكن أصاب رأسه شيء لكنهما صبا عليه النفط فأحرقاه . وألقياه في المرحاض » .

– « كانا قطعا رأسه ؟ »

ـ « آها... » .

– « ماذا ؟ ماذا ؟ أبطأ – اشرح مما قبل ذلك ، يا أوسامد آقا . منذ المغرب » .

فسحب نفساً عميقاً ، وغشيت عينيه كآبة . قال :

- « كان عباس هناك عند الغروب . كانا قد قطعا رأس سياوش ، رأحرقاه ، وألقيا به في المرحاض » .

- « قطعا رأسه وأحرقا رأسه ورمياه في المرحاض ؟ » .

- « آها... » .

- « لا يصدّق » . أنا نفسي بدأ رأسي يؤلمني . صداع سيء ما .

- « آها... » ، وضرب ظاهر يده بشدة : « (قطع عن السرو الفضي رأسه فسال الى الطست منه دمه)[١٤٦] » .

- « يا أوسامد آقا ، رأس سياوش إيمان ؟ » ، ظننته راح يخلط أو أنه وقع في خطأ .

- « آها... » .

- « حسناً ، واصل روايتك... » .

من هنا فلاحقاً كان وحده ـ كما لو أنه يحدث نفسه .

- « أردت الحقيقة ، يا سيدي المهندس . كانت الحقيقة على هذه الشاكلة . كانت فرخ وعباس يريدان أن يأخذا الطفل من سياوش ويحتفظا به » .

- « خسرو ؟ » .

- « ها . وسياوش يقول لا . بعد أن أطلق سراح عباس من التوقيف ، وجنّ تماماً بفرخ ، أراد هو وفرخ أن يأخذا الطفل من سياوش ويحتفظا به عندهما . كان سياوش الطاهر ـ جعل اللّه الملائكة تبكي على قبره ـ مستعداً لأن يطلق فرخ ، لأن فرخ عملياً لم تكن إمرأة سياوش ولو لألف سنة . ولكن لا خسرو ـ لا يعطيه . يريد أن يحتفظ بخسرو ، أظنه كان يخاف أن يعطيهما الطفل . كان يخاف ، ألم تكن نطفة الطفل قد انعقدت خارج العقد والشرعية ؟ كان يخشى أن يلحقا

بالطفل ضرراً وأذى . لم يكن يريد أن يعطي الطفل...» .

- «لا يصدَّق...» .

- «آها...» .

- «كيف ؟» .

- «عند الغروب يذهب ديوان لقا الى هناك . المدينة مزدحمة مضطربة في كل مكان . آخر ليلة السابع والعشرين من مرداد اثنتين وثلاثين كانت الدنيا تصير كن فيكون ، وفي أزقة البازار المضطرب ينطمر حتى الكلب المسعور . يصفّي عباس تلك الليلة - مثل گرسيوز اللعين - حسابه مع سياوش الطاهر . سياوش في السرداب ، عند خمّ الشراب ، يشتغل . وفرخ أيضاً هناك . وخسرو في حضنها . كانا في دعوى وعراك مع سياوش منذ عدة أيام . يجدد عباس الدعوى والمرافعة... وأخيراً ينفد صبره فيرمي سياوش بالـ (پارابلّوم)[١٤٧] ، ويقضي عليه ، يطرحه . أمام عيني فرخ وطفلها... كان ثمة مكان طلقتين في صدر وبطن جثة سياوش . أنا رأيت بعيني هاتين اللتين عسيتهما عميتا» . ووجه أوسامد آقا سبابتيه أمام عينيه من وراء النظارة السوداء .كما لو كان يشهد لي على انعكاس ذلك بعد ثلاث وعشرين سنة» . فقلت :

- «وكيف جرى قطع الرأس ؟» . فقال :

- «ها» . ورفع كأسه وصبه في فمه . ثم لبن وخيار وخبز . قال :

- «آي ي ي . من عنده خبر عن قعر قلبنا نحن القوم عديمي المبدأ ، يا سيدي المهندس! هنا الويل للمظلوم . عندما يقع شخص ، يصير ذليلاً ، ويحترق أبوا أبيه فما الذي لا نعمله به!... تسأل لماذا يقطعان رأسه ؟ أولاً من الحقد والبخل . وثانياً كانا يريدان أن يجعلا جسده قطعة قطعة فيحرقا كل قطعة منه مرة ويدفنونها كي لا يفهم أحد . فهذا سياوش ابن الدكتور السناتور إيمان ، ليس رأس بنجر!» .

- «وكيف ظهرت أنت في هذا الجو ؟» .

- «جف هذا القلم ، لتنكسر ساقاي لأنني أروح مغرب ذلك اليوم الى كرج لأوصل المال والكتب لسياوش البائس . عندما أصل ، الليل ظلام . كان عباس هناك منذ أول الليل ، وقد فعل فعْلته . عاد أمامي فذهب الى المدينة كي يمر بمركز الشرطة ويعود . أرى فرخ مثل الصعادات النارية تتلوى مضطربة . ولكن لا يخطر على بالي ما الذي يمكن أن يكونا فعلاه . وفرخ نفسها مثل رقية الساحر ، تضرب بجمعها مرة على رأس الطفل ، ومرة على رأس حظها وإقبالها ، تتعلل بمرض سياوش كي لا تدعني أدخل لأراه . وأنا عديم العقل الخام أسود الحظ ما أدراني أي شر أوقعاه به ، أي شر أوقعاه بالجميع . أقول : فرخ خانم لنأخذ دواءاً للطفل ، أقول : اذا لا سمح الله ، لا سمح الله ، لتخرس ألسنتي السبعة ، اذا أصاب سياوش خان سوء فبم تجيبين الدكتور ومنور السلطنة ؟ ثم تحدق فرخ في عيني وتتصور أنني فهمت أو شممت شيئاً مريباً . الخلاصة : تبقيني في البستان . تقول : لا تذهب ، تقول : ابق حتى يأتي عباس ، تقول : ابق أنت يا أوسامد آقا ، أرسل كلثوم كچل الى رأس الجسر لتجلب دواء القيء والاستفراغ... الخلاصة : بقينا نحن حتى عاد عباس بسيارته الجيپ» .

- «ثم ماذا جرى ؟» .

- «ها . أيها السيد الذي هو أنت ، يعود عباس وعيناه مثل كأسي دم بالضبط . تأخذه فرخ الى الغرفة الخلفية . يتهامسان هناك ربع ساعة . ثم يخرج عباس ، عليّ أنا المنكوب . يخرج مسدسه ، يأخذه بيدهُ . يتقدم الى حافة الحوض ، تحت عريشة العنب . يقف أمامي . يا عليّ ملك الرجال ، أكبر أبطال الدنيا ، أية ليلة! يضع عباس السلاح على صدري . يقول : اسمع يا محمد . لقد وقع حادث سيء... يقول : يا محمد ، نتيجة لتصادف القضاء والقدر ، وليس من جانب فرخ خانوم ، توفي ،سياوش خان . يقول : إن سياوش خان شرب دواءاً مغلوطاً

فتوفي . جثته في الغرفة الخلفية . يقول : إنه بسبب وضعه ووضع فرخ ، وبعلة لخبطة وضع المدينة ، لا يستطيعان الليلة إعلان موت سياوش خان على الملأ . لا بد من دفن جسده الليلة . إن ساعدتُ على دفنه فسيعطيني العقيد وفرخ عشرة آلاف تومان . وإلا فإن عباس سيفرغ إطلاقة في الفور بيافوخي . الخلاصة يقول ويقول ويقول . إن لم تساعد فسأفعل ما أفعل بك ، وإذا ساعدت نوفر لك الخبز ، نهيء لك الماء ، نهيء لك النقل ، لا أصدع رأسك ـ حتى نصير بالمجان شريكا في أعمال إدبارهما » .

ـ « فتدفن جثة سياوش » .

ـ « ها » .

ـ « أين ؟ » .

ـ « في آخر البستان » .

ـ « الذي صار الآن معملاً ؟ »

ـ « ها . أنا وعباس نجلب الجثة من الغرفة الخلفية الى أعلى . كانا قد لفّا الجثة في جوال . ياشاه چراغ[١٤٨] ، مما أوقعوه بسياوش الطاهر! نجلب الجثة بقطع الأنفاس الى آخر البستان . ثم يذهب عباس فيقفل باب الساحة من الداخل . يضع المفتاح في جيبه . ثم يأمر أن اتفرغ للعمل . ويعود هو للغرفة كي يسري عن فرخ ـ أو لإيقاع البلايا على رأس فرخ . ونقع بالمسحاة على روح التراب والوحل . ليحترق أبي ، أبكي وأحفر قبر سياوش . كم هو غير دائم وغير معقول! ما كان سياوش وما صار ؟! ما فعلا به ؟! ما فعلت به ؟! أصب العرق ساعة . أبكي ، أحفر بالمسحاة . أنظر الى السماء . أخيراً القبر جاهز . أرفع الجثة وحدي فأضعها في التراب . ذاك البطل الطاهر الذي تساوي الشعرة المتفسخة منه ألف واحد منا ، أضعه في القبر ، وأنظر اليه . أدعو له . أستغفر للجميع . وأخيراً أسحب الجوال ، إي بمصيبة الحسين بن علي ،

أرى رأسه قد قطعاه . سياوش لا رأس على جسده» .

ـ «وفي تمام هذه المدة كان ديوان لقا وفرخ في الغرفة ؟» . فقال أوسامد آقا :

ـ «الكلب القذر أشرف من بعض الناس» .

ـ «أين كانت كلثوم سلطان ؟» .

ـ «كانت هذه قد ذهبت للصيدلية عند رأس الجسر ، لتجلب دواء القيء والإستفراغ المزعوم لسياوش» .

ـ «متى عادت ؟» .

ـ «بعد ساعة أو اثنتين» .

ـ «وكيف تفقد لسانها ؟» .

ـ «لا أدري والله ، قسماً بعلي ملك الرجال . لا بد أنهما يظنان صباحاً أن تكون كلثوم كچل قد شمت رائحة مريبة ، .يخافان . أفلم ينقلب ورق الحكومة في اليوم التالي ؟» .

كان أوسامد آقا الآن مثل الأطفال الذين ماتت أمهم يبكي . ويستقر الدمع في غضون وجهه وفي شاربه الأبيض . أخرج منديلاً ذا مربعات ومسح دموعه . كان الناس يمرون وراء الزجاج على الرصيف ، ويلتفتون أحياناً فيحدقون إلينا .

ـ «أتشرب مزيداً ؟» . كان الجوني واكر قد نفد .

ـ «لا ، مرسي ، يا عزيزي المهندس . رأسي يدور . ولكن قلبي خفّ . صدري خفيف الجناح» .

ـ «ماذا بعد ؟» .

ـ «تلك الليلة ، آخر الليل ، بعد أن انتهى كل شيء ، وعادت كلثوم كچل مع ستة أقراص قيء واستفراغ تافهة ، خرج عباس من غرفة

فرخ وفرخ أيضاً وراءه مثل ظل بوم . جاءا فوقفا على السلم ، حدّقا إليّ بتركيز وأنا أغسل يدي ووجهي عند حافة الحوض ، وأتكلم مع كلثوم كچل . لا بد أنهما ظنّا أنني قلت شيئاً لكلثوم كچل . ولهذا جلبني النقيب آخر الليل الى المدينة ، فأخذني الى زاوية غرفته في قسم الشرطة ، وأخذ مني هذه الورقة » .

اتكأت على الجدار . تركت رأسي على حافة الجدار . نظرت الى أوسامد آقا . كان سكران تماماً . وحراً . وصدره ـ حسب قوله ـ خفيف . أراد أن يدير أسطوانة الأرض التي وعداه بها ، وعن أعمال فرخ من أجل أخذ الأرض من قبضته ، فقلت له أن ينصرف عن ذلك ، ألا يتعب نفسه أكثر . فذاك ماض انقضى . فسأل :

ـ « يا سيدي المهندس ، ترحم على العبد للّه بهذه الورقة . لقد كانت هذه الورقة طوال سنوات السويداء آكلة قلبي » . فقلت :

ـ « حسناً ، ولكن ليس الآن . ولن أعطيها لا للشرطة ولا للدرك . نحن التعساء قانون ومحكمة وقضاء أنفسنا » . فقال :

ـ « العبد للّه خادم أي رجل حر » . ثم قال :

ـ « يا مهندس ، لقد احمرت عيناك » . فقلت :

ـ « لا شيء » . كان رأسي قد أصيب بصداع لا يوصف . وقلت :

ـ « انظر يا أوسامد آقا . تعال أعد كل هذا الذي قلته لي على مسامع خسرو أيضاً . ثم أحرق أنا نفسي الورقة هناك أمام عينيك» .

ـ « نعم ، على عيني » .

ـ « سلمت عينك . أنقوم ؟ » . فقال :

ـ أجيء الآن ؟ » . فقلت :

ـ « الآن لا . عندما يفيق خسرو . لا نحتاج لذلك الآن . ولكن

الورقة عندي» .

تنهد . كانت شهيته قد ولّت . بقي جالساً وأرجع رأسه المتعب الى ظهر الكرسي . نفخ خده النحيل ثم أفرغ صدره بزفرة طويلة مصوتة في سماء المقهى . ثم نهضنا .

وكانت هذه قصة سياوش إيمان .

ـ ٢٤ ـ

وباقي الأمر بسيط .

الوقت ، إذ أعود من حي آرا الى المستشفى عند خسرو والجماعة ، عصر . رأسي الآن كله وجع ، ودوار .

في مستشفى پرند ، في الغرفة الخصوصية بالطابق الأول ، يتمدد خسرو . ثريا قرب سريره تتكيء على الجدار وتراقب . ذهبت فرنگيس للبيت كي تبدل ملابسها . وفي زاوية الغرفة الأخرى ، ثمة اثنان أو ثلاثة من أصحاب خسرو ، بلا عمل ، لا يزال خسرو تحت البنج ، وكان وجهه ، تحت تأثير حقنة ما ، يبدو وكأنه في ظل الموت .

أجلس مع ثريا والأصدقاء . نتكلم بضع دقائق عن وضع خسرو . كان الأطباء قد عاينوا خسرو ، وأجروا له تحليلات أخرى . يبدو أن خطر الموت قد زال . لا أذكر شيئاً مما عرفت عن سياوش . كما أن وفاة وتشييع جنازة ديوان لقا قد أبقى عائلة خسرو بعيداً . لم تبتعد ثريا نفسها عن سرير خسرو ثانية واحدة . والآن وقد جئت أنا ، تذهب زمناً الى دورة المياه ، تنشط نفسها وتعود . وبعد مدة تعود فرنگيس أيضاً من البيت . يرسلانني ـ حتماً بسبب شكلي الهزيل وعينيّ الشبيهتين بقدحي دم بالضبط ـ بإصرار الى البيت كي أستحم وأستريح زمناً . أقول إن من الأفضل أن أتصل لأرى متى يتم تشييع جنازة العقيد ،

فمن الأفضل أن يكون أحدنا هناك . فتقول فرنكيس إن تشييع الجنازة غداً .

أنظر في المرآة . يا للمظهر! يا للّحيْة غير المحلوقة وهاتين العينين ، ما أليقني بالتشييع والدفن . بعد التوديع ، أجيء من المستشفى الى البيت .

الشقة كلها خالية وباردة . غياب ثريا وفرنكيس ـ وژيلا ـ يصرخ في الفضاء ، والقصة التي رواها لي أوسامد قبل ساعة لا تزال في ثنايا ذهني مثل الآكلة تأكل وتنحت .

أملأ الحوض أولاً . وفي أثناء الوقت الذي يستغرقه امتلاء الحوض بالماء آخذ قرصيْ آسبرين فأبتلعهما بمعونة كأس من شيء أنفع من ماء ثلاجة فرنكيس . أشعل سيجارة جديدة . وأجلب راديو ترانزيستور أيضاً فأفتحه على محطة تبث موسيقى . أتعرى وأقفز ـ ناطاً برجلي السالمة ـ وسط الماء الدافيء . أترك ساقي المجبّرة مثل عضو احتياطي على حافة الحوض . أتمدد ، وأسند رأسي الى وراء . أغمض عيني ، وأترك أعصابي وعضلاتي . أريد أن أفرغ رأسي من التفكير بسياوش إيمان . أحاول أن أتصور وراء جفني جسد ژيلا الدقيق وعينيها الصفراوين . يمكن ، ولا يمكن أيضاً . عندما يكون ممكناً فهو جيد . وبسمتها جيدة أيضاً . أتصور أنه ربما يمكن أن يتجذر بيننا ذات يوم شيء ما مما يدوم . هي أيضاً عطشى ، ومضطربة . وصوت الموسيقى الحزينة جيد أيضاً . في صوت الأداة المرير حالة هي الأخرى جيدة أيضاً . ولكن آكلة الذهن لا فكاك منها : التفكير بسياوش إيمان والتفكير بعشية ٢٨ مرداد اثنتين وثلاثين ، والحوادث التي جرت تلك الليلة . ماذا كان يفعل كل واحد من أفراد عائلة إيمان تلك الليلة ؟ ما كانت تفعل عوائل وفا وديوان لقا وكوه گرد ؟... ما كانت تفعل عائلةآريان ؟ أنا نفسي أين كنت تلك الليلة وماذا كنت أفعل ؟ أين كانت ژيلا تلك الليلة وما كانت تفعل ؟ ماذا يفعل الناس الآن في

الخارج ـ مما ينبغي أن يدفع الجيل التالي جزيته وفديته ؟ لا تفكر بهذر ، يا جلال . استمع الى حميرا[١٤٩] . عشْ الموجود . أنت عارٍ ووحيد وسط حوض الماء . برأس مليء بالألم . بساق مجبرة . ووراءك شارع . وثمة أناس فيهم مرارة وحركة . مرة أخرى بدأ المطر . إن الناس يضطربون في حياتهم وزمانهم ومكانهم . مثل عشية ٢٨ مرداد سنة اثنتين وثلاثين . الآن ينقلون جنازة عباس ديوان لقا ـ الذي مات بحقد أخيه ـ الى الثلاجة . وفي مكان ما ينام خسرو إيمان ـ ديوان لقا ، في الدم والغيبوبة . وفي مكان ما ينتعش أوسامد آقا ـ سكران الرأس ـ بشرارة الجوني واكر والانتقام . وفي مكان ما تنشغل فرخ ديوان لقا بارتداء ملابسها وتزيين نفسها . وفي مكان ما أيضاً لا بد أن ژاله وفا تستحم ، أو تصبغ شعرها .

تثقل أجفاني . أنا في عشية ٢٨ مرداد اثنتين وثلاثين ، بطهران . في ظلمة الليل تضطرب الشاحنات وسيارات الجيپ . قوات الأمن تنتقل الى هذه الناحية وتلك الناحية . تضرب هذا ، تقتل ذاك ، تعتقل آخر . الناس يضطربون في زمانهم ومكانهم وحياتهم . أرى النقيب ديوان لقا في مكان ما يأتي بسيارة الجيپ الى كرج . يطفيء المحرك أمام مبنى البستان ، ويسحب الكابح اليدوي . يأتي عند فرخ . وبتحريك من المرأة التي تحتضن طفلها يقتل سياوش البريء .

أنا في زمان الحكيم أبي القاسم فردوسي ، أو في قرون أقدم... أرى سياوش ابن كيكاوس ملك الكيانيين في إيران وهو يضطرب في زمانه ومكانه وحياته . أرى سودابه امرأة كيكاوس الجديدة وعيناها تتابعان سياوش . يوقع كلامها وحقدها الشاه في الاشتباه . يطلب الشاه من سياوش ـ لإثبات براءته ـ أن يعبر النار . أرى سياوش يخرج من النار منتصراً ، ولكنه يغادر ـ متمرداً ـ بيت وحياة أبيه ويذهب الى أرض توران عند أفراسياب ، ويتزوج ابنته فرنگيس ، ولكنه سرعان ما يقتل بتحريك من گرسيوز ، أخي العروس . ونتيجة هذا الزواج هو كيخسرو .

وفي ذلك المكان الذي يراق فيه دم سياوش على الأرض تنمو شجرة . من دم في إيران تطلع دائماً شجرة من دم .

أنا في بروجن ، في سـرّة إيران الأبدية . الناس يضطربون في زمانهم ومكانهم وحياتهم . الجو لطيف ، والنهار جميل ، والناس يقضون حياتهم العادية ـ يعني ينطحون رأس أحدهم الآخر ، يقتلون أبطالهم ويُوْدعون اطفالَهم الأرضَ . وكون المرء إيرانياً أمر بسيط : الولد على سوء مع أبيه ، الأب على سوء مع ابنه ، البنت على سوء مع أمها ، الأم على سوء مع ابنتها ، المرأة على سوء مع زوجها ، الزوج على سوء مع زوجته ، الأم على سوء مع طفلها ، الطفل على سوء مع أمه ، الأخت على سوء مع أختها ، الأخ على سوء مع أخيه ، المعشوق على سوء بعاشقه ، العاشق على سوء بمعشوقه ، القريب على سوء بقريبه ، الصديق على سوء بصديقه ، الشعب على سوء بحكومته..... وثمة لحظات ثورة أيضاً : يتحد الأب مع الإبن ضد الأم ، والأم مع البنت ضد الأب ، تتحد الزوجة والزوج ضد الطفل ، تتحد الأم والطفل ضد الأب ، يتحد الطفل والطفل ضد الأب والأم ، تتحد الأخت مع الأخت ضد الأخت ، يتحد الأخ مع الأخ ضد الأخ ، يتحد المعشوق والعاشق ضد العائلة ، تتحد العائلة والعائلة ضد البطل ، يتحد الملك والشعب ضد الدين ، يتحد الدين والشعب ضد الملك... المجتمع الإيراني بسيط .

أنا في طهران في أرديبهشت ٥٥ . كلنا متعفنون فوق الأرض . مثل دود الأرض السمين الممتلىء بالضبط ، نتلوى جميعاً فوق الطين . كلنا ممتلئون بالـ (چلو كباب)[١٥٠] والنبق وماء اللبن والخبز والبصل والشاي والبطيخ والحلوى والكاكي[١٥١] والزلوبيا[١٥٢] والبامية[١٥٣] والفستق وحب البطيخ والقيمة والرز والخضروات والفجل والكرنب الساقي والـ (شله زرد)[١٥٤] والرمان ، ونتلوى بين أحدنا الآخر بأفواه قذرة مليئة بالكذب والتظاهر والزعل والشيطنة والتفاهة .

يبقى خسرو في المستشفى ثلاثة أيام . عندما يفيق ، هو بين

ذراعي ثريا وجنبي وجنب فرنگيس ، ومحاط بالهدوء . أو أنه ساكت محتمل . وفي مغرب يوم الأحد ، الذي نجلبه فيه الى البيت ، أتوجه الى آبادان .

لسنا مضطرين أن نقول له شيئاً ، لأنه يبدو وكأنه يعرف كل شيء . على أية حال ، فالعقيد مات ، وفرخ خانم مكسورة الفؤاد في حداد وانزواء . وأسامد آقا متوار . وبقية عائلتي إيمان ووفا على زعل معنا . والآن ، في إحدى اللحظات التي أكون فيها مع خسرو بمفردنا أريه استشهاد أوسامد آقا كوه گرد العتيد ، ثم أحرقه وأذريه رماداً . أظنه كان يعرف ـ على نحو ما ـ بنفسه هذه الأمور ، وأن حادثة ليلة عرسه والأربع والعشرين ساعة العاصفة التي تلتها لم تفعل غير تثبيت كل شيء في فكره .

أثناء الليلتين اللتين قضاهما خسرو في المستشفى لم يأت أحد قط من عائلتي وفا وإيمان لعيادة خسرو وثريا ، حتى ژيلا . أريد من صميم القلب أن أراها ، مثل ذلك اليوم صباحاً . ولكن لا يتيسر ذلك . ولهذا فهي الآن أيضاً خاطرة ، ووسم من مخطط كلي : أحبك الى يوم أن أزعل عليك . ولكن خسرو لا . خسرو يحب ويبقى على عشقه ، وعنده الآن عروس شابة وحسناء كثريا ينسى الى جانبها همومه الحالية .

توصلني فرنگيس نفسها الى المطار . عند التوديع أقبل شفتيها الباسمتين . تم الاتفاق على أن تأتي العروس والعريس ـ بعد يومين أو ثلاثة ، عندما يصير خسرو قادراً على السفر ـ اليّ في آبادان .

الطيران رقم ٧٠٧ هادىء هذه المرة . تجلب المضيفة جعة باردة . عندما أنظر من النافذة البيضوية ، أخلف ورائي صحارى إيران القديمة ، وأفكر في أنني بعد ساعة سأعود الى زاوية العشق رقم ٢٦٧ بريم ، الى مطرود ، الى طائريَّ البحريين فأجد ذلك لذيذاً . لم تهدأ آكلة سياوش المتمرد في ذهني بعد ، أظن في لحظة عبورنا سماء بروجن ، أحس أنه ليس مهماً من قتل سياوش إيمان بقدر ما هو مهم ما قتل سياوش إيمان .

على أية حال .

انتهى . في أفق سماء الخليج أرى نتفاً من الغيم الأحمر تحيط بقوس شمس المغيب الذهبية فأجدها مرحّبة .

أصل البيت في أول الليل . يأتي مطرود ، يرحب أحدنا بالآخر ونتبادل الأخبار ، بعد الحمام والعشاء وبساطه ومشاهدة فيلم في نادي (گلستان) ، أصمم على قضاء الليل وحيداً . لا يزال ثمة ظل من الآكلة في دماغي وأعرف أنه سيبقى هناك أمداً .

وفي آخر الليل أيضاً ، في سرير النوم ، أقرأ آخر صفحات كتاب الغريب وحياة مورسو ـ الذي لم يبق منه غير بضع صفحات .

مورسو هو الآخر وضعه في النهاية خراب . فليس ثمة ماري كاردونا ولا بلاج الجزائر العاصمة . بعد أن رُمي به في السجن بتهمة القتل ، وجرت محاكمته ، يصير طريد الجميع . في أثناء المحاكمة كلها ، وبعد طي كل النزاعات مع المدعي العام والمحلفين وقسيس السجن ، لا يتغير وضع مورسو ـ يبقى ذلك الموجود المتمرد غير العادي المختلف عن الآخرين الغريب عن الجميع . ولهذا يعدمونه .

أطوي الكتاب ، أطفيء المصباح ، وأنام وحدي ، أريد من صميم قلبي أن أرى ژيلا وفا المنيرة ووجهها الأبيض في شمس ربيع الجادة القديمة ، في النوم . لكنني أحلم بنفسي مع سياوش وخسرو ومورسو وأسامد آقا ، أتلوى وسط نهر كرج الذي لا أول له ولا آخر .

عند الفجر ، والظلام لا يزال مخيماً ، يوقظني من النوم صوت طائري البحر . مرة أخرى وحدي ، وطائراي مكسورا الساقين الجائعين يجلسان خارج النافذة . يصفع الهواء غصون الزهور فيجعلها تضرب المشبك الحديد .

يسعدني التفكير في أن ثريا وخسرو سيأتيان عمّا قريب .

الهوامش

(١) الثلث الأخير من أبريل/ نيسان

(٢) الهجرية الشمسية = ١٩٧٦ ميلادية

(٣) عربياً ، عبادان ، مركز محافظة خوزستان ، جنوب غربي إيران .

(٤) مدينة في الإقليم نفسه ، كانت تدعى «المحمّرة» سابقاً .

(٥) طائر من فصيلة مالك الحزين .

(٦) اسم منطقة بطهران ، يقع فيها المطار الدولي .

(٧) شركة الخطوط الجوية الوطنية الإيرانية (تبدل اسمها الآن الى : شركة الخطوط الجوية للجمهورية الإسلامية الإيرانية) ، ولكن بقي اسمها المختصر كالسابق ، خاصة وإنه اسمُ لطائر تعتقد الأساطير الإيرانية أنه طائر السعادة .

(٨) من مناطق شمالي طهران ، الأرستقراطية .

(٩و١٠) من مناطق جنوبي طهران ، الفقيرة ، الأصيلة .

(١١) مختصر ، وصيغة تدليل ، «فرنكيس» .

(١٢) في حفلات العرس التقليدي الإيرانية يجلس العروسان في غرفة العرس داخل مقصورة محاطة من كل أو بعض أطرافها بالنور ، تكون أرضيتها أعلى من بقية الغرفة .

(١٣) خضراوات مفرومة تخلط بالبيض وتقلى .

(١٤) مخفف واسم تحبيب ؛ ثريا .

(١٥) لوازم حفل العرس .

(١٦) مطرب يغني وهو مصبوغ الوجه تنكراً ، يقف أمام حوض ماء ساحة المنزل ، بين ممثلين يؤدون أدوارهم مصبوغي الوجوه بالأسود .

(١٧) مصابيح يضغط الهواء فوق نفطها فيكون نورها ساطعاً أبيض .

(٢٨) نوع من البخور على شكل حبيبات تحدث صوتاً عندما تحترق .
(١٩) إله (ثانوي) في الاساطير اليونانية جلب النار من السماء للإنسان فحكم عليه الإله زيوس (جوبيتر) بما ترويه ثريا .
(٢٠) أخوپروميثيوس .
(٢١) إيران الجديدة ، حزب أسسه الشاه وكان سكرتيره العام هويدا ، رئيس وزرائه .
(٢٢) مغنية إيرانية من المستوى الشعبي لقيت شهرة واسعة تلك الأيام . والمقصود أن أحدهم وضع شريطاً لها في الجهاز ليستمع الى الغناء بدلاً من الأخبار .
(٢٣) في التاريخ الأسطوري ، كان سياوش وليّ عهد إيران ، عشقته زوجة أبيه ففر الى توران (تركيا) ولكن أخا الملك التوراني حرض الملك عليه هناك فقتله ، ومع حرص البلاط على ألايمس دمه الأرض ، إلاأن قطرات منه وصلت الأرض فأنبتت شجرة دم التنين ، التي تولد راتينج أحمر ، والتي تسمى في الفارسية : دم سياوش .
(٢٤) قضاء شمالي غربي طهران ، يبعد نحو أربعين كيلومتراً عنها .
(٢٥) من معاني هذا الاسم : الباسم ، البشوش .
(٢٦) الممثلة الانكليزية ، فالنجمة الاميركية .
(٢٧) المراد أن أحدهما ابن الزوج الثاني لأم الآخر من أب غيره .
(٢٨) حوض وسط الحمامات العمومية ، يغتسل فيه الجميع .
(٢٩) ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ .
(٣٠) = الثلث الثاني من آب ١٩٥٣ .
(٣١) جهاز تعشيق التروس ، الـ « كلاچ » .
(٣٢) لقب يُستخدم أساساً لمخاطبة الاقطاعيين والملاكين الزراعيين ، انتقل الى المدن لمخاطبة أصحاب العقارات ، ويخاطب به غيرهم تجاوزاً . « أرباب حسن » أبو جلال وفرنگيس .
(٣٣) سيارة يتم تجميعها ، وتصنيع بعض أجزائها ، في إيران .
(٣٤) هي زاوية تفصل بين الشارع ورصيف المشاة ، مخصصة أساساً لدفع الجليد المتراكم شتاء وتصريفه ، أو تصريف المطر .
(٣٥) لفظة تفيد التصديق في الفارسية ، أو تُشعر بإدراك شيء أو التعرف عليه .
(٣٦) = محمد ، بشيء من الاحتقار هنا .
(٣٧) قاتل الامام الحسين ، بالسهم ، وقاتل بعض أطفاله .
(٣٨) البوم الأعمى . كما انه اسم قصة طويلة لأبرز كتاب القصة الإيرانيين : صادق هدايت ، الذي مات منتحراً بباريس سنة ١٩٥١ . بطلها هو البوم الأعمى كما يستنتج القارىء من القصة دون أن يذكر الكاتب ذلك نصاً .
(٣٩) محرف ـ مخفف : أوستا = أوسطى .
(٤٠) مخفف : أوستا + محمد .
(٤١) = زرادشت .
(٤٢) يلفظ الزاي الثلاثي ما بين الجيم والشين .
(٤٣) قبل سنة ١٩٤١ حين عزل عن العرش لصالح ابنه محمد رضا .
(٤٤) سلسلة معارض للمواد الاستهلاكية ، ذات فروع ، كانت موجودة في العهد الملكي .

(٤٥) مركز محافظة فارس ، جنوبي إيران .
(٤٦) وحدة نقد إيرانية قديمة ، ألغاها رضا پهلوي ، لا يزال اسمها يطلق على العملة من فئة عشرة ريالات .
(٤٧) ١٩٥٢ ميلادية .
(٤٨) أواخر آذار/مارس ١٩٥٢ .
(٤٩) منطقة أرستقراطية في شمال طهران .
(٥٠) = ليلة ٢٠/ ٢١ آذار/ مارس .
(٥١) القرعاء .
(٥٢) مدينة في خراسان ، مشهورة بماء وردها .
(٥٣) اشد اربعين يوماً حرارة من أيام الصيف تبدأ منذ الانقلاب الصيفي .
(٥٤) التاسع والعشرين من آب/ أغسطس .
(٥٥) مطر نيسان/ أبريل - مايس/ آيار (مايو) .
(٥٦) صحفي وشاعر شاب ، قتله رضا خان في مقدمات تحضيره لتسلم السلطة الكاملة في إيران .
(٥٧) خط شائع ، تركيب من خطي «النسخ» و«التعليق - الرقعة» .
(٥٨) بالنسبة للمكان الذي هما فيه ، كان ينبغي للكاتب أن يقول ، أقرب من جسر تاج .
(٥٩) أمرأة عزيز مصر التي عشقت النبي يوسف ، ويضرب المثل في التمزق الروحي بكبدها .
(٦٠) = الصدق .
(٦١) شتيمة عامة لا تعني شيئاً محدداً . وتستعمل أحياناً للمزاح ، وفي أحيان أخرى للتعبير عن الإعجاب ، وحتى المحبة ، كما هي هنا .
(٦٢) اسم عدد من رسّامي المينياتور في إيران ، لعل المقصود هنا حسين بهزاد ، الذي عاش في هذا القرن .
(٦٣) امتحان مسابقة يعد لخريجي الدراسة الإعدادية الراغبين في مواصلة الدراسة بالجامعة .
(٦٤) النبي زرادشت .
(٦٥) = ١٩٥٣
(٦٦) = الافستا ، كتاب الزرادشتية المقدس .
(٦٧) = ١٨ آب/ أغسطس ١٩٥٣ .
(٦٨ و ٦٩) اسمان لكتابين من الأوستا .
(٧٠) ابنة خسرو پرويز ، من ملوك الساسانيين ، صارت ملكة بعد أبيها وأختها الأكبر (پوران دخت) .
(٧١) طبق من البطاطا والبصل والسفرجل واللحم والجزر .
(٧٢) = عشرين تومانا .
(٧٣) قرع (يقطين) أحمر اللون تقريباً يستخدم خصوصاً لصنع الحلوى والمربيات ، كبير الحجم .
(٧٤) الشادر هو العباءة التقليدية ، والخاص بالصلاة منه يكون أبيض ، أو فاتح اللون ، مورداً .
(٧٥) التلفظ الطهراني لـ(شمران) ، مخفف (شميرانات) ، الضاحية الرئيسة في شمالي طهران .
(٧٦) التلفظ الطهراني لـ(نياوران) ،أكثر نواحي شميرانات وجاهة .
(٧٧) = الأوسطى كريم = الله .
(٧٨) صحن مرقد الإمام الرضا في مدينة مشهد ، محافظة خراسان .

(٧٩) تطعيم على الخشب ، كالفسيفساء .

(٨٠) أحد ملوك الطوائف الإيرانية ، أسس السلالة الزندية التي حكمت أيران ما بين ١٧٥٠ و١٧٩٤ . لُرِيّ ، كانت عاصمته شيراز . اتخذ لنفسه لقب (وكيل الرعايا) .

(٨١) اسم تجاري لدجاج مجمد كان يستورد الى إيران .

(٨٢) = بسيارته من نوع (فولكس واگن) .

(٨٣) رسم فطري ، كان يرسم أساساً على جدران المقاهي ، ويرسم على الجنفاص احياناً .

(٨٤) نوع من الخبز يخبز في فرن أرضيته من حصى .

(٨٥) نوع من ماء الصودا .

(٨٦) لقب يُطلَق عموماً على المتصوفين ، وعلى رجال الدين السنّة . وكان يلقب به الشاعر العرفاني جلال الدين الرومي .

(٨٧) هنا تلاعب لفظي ، فقد قسم القائل كلمة پروفسور الى مقطعين أولهما (پرُو) فحرّفه الى (پُر) بمعنى مملوء ، ولذلك فهو يريد أن يقول إن عمه كان مليئاً بالـ(سور) (ولا معنى لها) ، بينما كان أبوه خالياً منه . إنها مقابلة الإمتلاء بالخلو .

(٨٨) تعبير يريد به الرافضُ لطعام أو شراب شكر الداعي .

(٨٩) التعبير الاعتيادى للكناية عن الخيبة بالفارسية هو « عاد ويداه أطول من رجليه » .

(٩٠) لعبة بخمس حصيّات ترمى في الهواء يسعى اللاعب لتناول أكبر عدد منها قبل أن تسقط الى الأرض .

(٩١) أبو خذ نصّر .

(٩٢) العباس ، أخي الإمام الحسين لأبيه .

(٩٣) لازمة في القسم الإيراني بالنبي .

(٩٤) تسمى سويسرا في الفارسية : سويس ، بضم الأول وكسر الثاني .

(٩٥) كناية عن إبداء الاحترام .

(٩٦) زوجة متعة : زوجة مؤقتة لا تتمع بأية حقوق غير أجر معين ، ولا يورث أبناؤها .

(٩٧) نوع بسيط من البسط ، صغير المساحة ، عديم الزئبر ، بسيط النقوش .

(٩٨) ٢١ حزيران/ يونيه (والمقصود من سنة ١٩٥٢) .

(٩٩) رئيس وزراء إيراني سابق ، تولى رئاسة الوزارة بعد وزارة مصدق الأولى ، لكنه اضطر للاستقالة نتيجة الرفض الشعبي الذي أدى الى تهديد آية الله الكاشاني – رئيس مجلس الشورى والزعيم الروحي – في ٣٠ تير ١٣٣١ بإعلان الجهاد .

(١٠٠) حوض الماء العمومي في الحمامات العمومية .

(١٠١) اسم محلة قديمة في جنوب طهران ، أي في مناطقها الفقيرة ، وبالتالي : القذرة .

(١٠٢) إشارة الى بيت شعر لحافظ شيرازي ، والمقصود : الجميع .

(١٠٣) نبات شوكي سام .

(١٠٤) من قصص الحب الجليلة التي نظمها الشاعر نظامي گنجوي شعراً ، وصار ينقلها الحكواتية .

(١٠٥) اشارة الى مثل فارسي يقول : غربلوا الطحين وعلقوا الغربال ، يعني علقوه جانباً أو ركنوه ، كناية عن إتمام العمل .

(١٠٦) من شاهنامة الفردوسي .

(١٠٧) من شاهنامة الفردوسي أيضاً .

(١٠٨) سلسلة جبال تمتد شمال طهران . الألف واللام جزء من اسمها .

(١٠٩) ايران .

(١١٠) إله الخير عند الزرداشتية .

(١١١) = ١٩٧٥ الميلادية . والسنة الشاهنشاهية تقويم لفق للعهد البهلوي في زمن ملكه الأول . اضطر پهلوي الثاني الى إلغائه مع تصاعد الثورة .

(١١٢) لحم مفروم ، نصف مطبوخ ، يُعبأ في مصران غليظ أو أسطوانة پلاستيكية .

(١١٣) اسم منتج ، كان شهيراً ، للمواد الغذائية المصنعة من اللحم ومتفرعاته .

(١١٤) توسعا : السورة .

(١١٥) توسعا : الآية .

(١١٦) مختصر : أهورا مزدا .

(١١٧) من لوازم جهاز العرس ، وحفلته .

(١١٨) زوجة جلال آريان ، الراوي ، في رواية سابقة لإسماعيل فصيح .

(١١٩) الحمام (العمومي خاصة) .

(١٢٠) البستان ، أو مزرعة الورد . والتعبير كله كناية عن الصداقة والحميمية .

(١٢١) إله الشر عند الزرادشتية ، إبليس .

(١٢٢) نحو الفي دولار .

(١٢٣) يقطين ، أو قرع ، كبير الحجم برتقالي اللون ، يستعمل أساساً لصنع الحلوى .

(١٢٤) دبرت الرجعية ، بواسطة أياديها في شرطة ذلك العهد ، اختطاف ثم قتل مدير الشرطة ، لأنه كان مخلصاً لوظيفته مواليا لرئيس الحكومة ، ولأنها كانت تريد إظهار الحكومة عاجزة عن تأمين الأمن الداخلي . وقد أطلق سراح كل المعتقلين ـ رغم ثبوت الجريمة عليهم ـ بعد الإطاحة بالدكتور مصدق .

(١٢٥) قاتل الإمام الحسين .

(١٢٦) علامة الاستعداد للخدمة .

(١٢٧) مثل فارسي ، دلالته واضحة : إذا كنت تعرف كل شيء فلم لا تحل المشكلة ؟

(١٢٨) سمن حيواني مشهور بجودته ونقاء لونه وطيب رائحته .

(١٢٩ و ١٣٠) صحيفتان مسائيتان ، لا تزالان موجودتين .

(١٣١) جريدة صباحية ، لم يعد لها وجود . الثلاثة كانت من أكثر الصحف انتشاراً .

(١٣٢) صباغ أهداب .

(١٣٣) علامة تجارية شهيرة لمواد التجميل .

(١٣٤ و ١٣٥) هزار وقران ، وحدتا عملة ألغيتا وحل محلهما الـ « ريال » الذي هو بنفس قيمتهما ، ولكن اسميهما لا يزالان يطلقان عليه .

(١٣٦) يقصد نصف زجاجة .

(١٣٧) سير (على وزن فيل) وحدة وزن تساوي (١٥) مثقالاً = ٦٧ غراماً تقريباً ، وتساوي الخمسة منه أكثر من

ربع زجاجة عرق قليلاً .

(١٢٨) يقصد صحن اللوبياء ، التي تستعمل المسلوقة منها «مزّة» للشرب .

(١٣٩) هنا تلاعب لفظي : فحرف الصاد يلفظ في الفارسية سيناً ، وهكذا تكون (صودا) و (سودا) سواء في اللفظ . و (سودا) تعني : مشغلة .

(١٤٠) فضلات الأفيون المحترقة في وسيلة التدخين ، تعاد تهيئتها وتدخن مرة أخرى . يستعملها من لا يعود الأفيون نفسه ينفعه ، أو من لا طاقة له على نفقات الأفيون .

(١٤١) ابو رستم ، البطل الرئيس في الشاهنامة . تقول الاسطورة إن أباه أمر بقتله ولكن مأموريه أشفقوا على الطفل فتركوه في الصحراء حتى جاءت العنقاء وأخذته الى جبل قاف ، حيث تقيم ، وأنشأته .

(١٤٢) فترة الخدمة العسكرية الإلزامية .

(١٤٣) طبخة إيرانية قوامها اللحم والبطاطا والحمص المشطور .

(١٤٤) ميرزا في الأصل مخفف : ميرزاده = ابن الأمير ، لقب كان يطلق على امراء الدرجة الخفيضة . ثم صار يطلق على المتعلمين المتفرنجين ، يعادل تقريباً : أفندي .

(١٤٥) أواخر أربعينيات التقويم الميلادي .

(١٤٦) من الشاهنامة ، من المقطع المتعلق بمقتل سياوش الأسطورة .

(١٤٧) مسدس اوتوماتيكي قديم ، يتسع لأربع عشرة إطلاقة .

(١٤٨) لقب السيد أحمد ، ابن الإمام موسى الكاظم وأخي الإمام علي بن موسى ، المدفون بشيراز .

(١٤٩) اسم مغنية ايرانية .

(١٥٠) كباب مع الرز .

(١٥١) فاكهة تشبه الطماطم شكلاً والتمر طعماً .

(١٥٢ و ١٥٣) نوعان من الحلوى .

(١٥٤) حلوى من الرز والسكر المطبوخين ، تصبغ بالزعفران فتصفر لذا تسمى «زرد = صفراء» .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومي للترجمة

١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضري
٥ – ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكي
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودي	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسي والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفي
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوي
١٨ – الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولي / بدوي عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجي	ت : ماجدة العناني
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد علي الناصري
٢٣ – تجلي الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوي	مولانا جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشري الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة في التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجي / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣ – التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينيابيستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ - السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ - نقد استجابة القارئ	چين . ب . تومبكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ - صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ - چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ - العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ - شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١ - الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ - مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ - مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ - طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ - نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨ - الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ - الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ - وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ - محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ - الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ - مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ - هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ - تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ - مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ - السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ - قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ - أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع	چيرار چينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ - الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامثى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧ - صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩ - حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : ليس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ - الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيتل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ - التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ - فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ - مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيفلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - پارسيفال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ - قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ – شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفاناسيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليقمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ – العنف والنبوءة — و . ب . ييتس — ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – چان كوكتو على شاشة السينما — رينيه چيلسون — ت : فتحى العشرى
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام — هانز إبندورفر — ت : دسوقى سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم — توماس تومسن — ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل — ميخائيل أنوود — ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة — بُزُرْج علوى — ت : علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب — ألفين كرنان — ت : بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة — پول دى مان — ت : سعيد الغانمى
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس — كونفوشيوس — ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ – الكلام رأسمال — الحاج أبو بكر إمام — ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ – سياحتنامه إبراهيم بيك — زين العابدين المراغى — ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم — بيتر أبراهامز — ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو–أمريكى — مجموعة من النقاد — ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤ — إسماعيل فصيح — ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة — فالنتين راسبوتين — ت : أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق — شمس العلماء شبلى النعمانى — ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ – الاتصال الجماهيرى — إدوين إمرى وآخرون — ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية — يعقوب لانداوى — ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية — جيرمى سيبروك — ت : فخرى لبيب
٢٠١ – الجانب الدينى للفلسفة — جوزايا رويس — ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤ — رينيه ويليك — ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية — ألطاف حسين حالى — ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم — زالمان شازار — ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات — لويجى لوقا كافاللى – سفورزا — ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علمًا جديدًا — جيمس جلايك — ت : على يوسف على
٢٠٧ – ليل إفريقى — رامون خوتاسندير — ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى — دان أوريان — ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح — مجموعة من المؤلفين — ت : أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائى — سنائى الغزنوى — ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فردينان دوسوسير — جوناثان كلر — ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان — مرزبان بن رستم بن شروين — ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر — ريمون فلاور — ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع — أنتونى جيدنز — ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢ — زين العابدين المراغى — ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم — مجموعة من المؤلفين — ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – مسرحيتان طليعيتان — صمويل بيكيت — ت : نادية البنهاوى
٢١٨ – رايولا — خوليو كورتازان — ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ – بقايا اليوم — كازو ايشجورو — ت : طلعت الشايب
٢٢٠ – الهيولية فى الكون — بارى باركر — ت : علي يوسف علي
٢٢١ – شعرية كفافى — جريجورى جوزدانيس — ت : رفعت سلام
٢٢٢ – فرانز كافكا — رونالد جراى — ت : نسيم مجلى
٢٢٣ – العلم فى مجتمع حر — بول فيرابنر — ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ – دمار يوغسلافيا — برانكا ماجاس — ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ – حكاية غريق — جابرييل جارثيا ماركث — ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى — ديفيد هربت لورانس — ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ – المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر — موسى ماريديا ديف بوركى — ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن — جانيت وولف — ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد — نورمان كيمان — ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر — فرانسواز جاكوب — ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ – الدراديل — خايمى سالوم بيدال — ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ – مابعد المعلومات — توم ستينر — ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ – فكرة الاضمحلال — أرثر هيرمان — ت : طلعت الشايب
٢٣٤ – الإسلام فى السودان — ج. سبنسر تريمنجهام — ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ – ديوان شمس تبريزى ج١ — جلال الدين الرومى — ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ – الولاية — ميشيل تود — ت : أحمد الطيب
٢٣٧ – مصر أرض الوادى — روبين فيدين — ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ – العولمة والتحرير — الانكتاد — ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ – العربى فى الأدب الإسرائيلى — جيلارافر – رابوخ — ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار — كامى حافظ — ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ – فى انتظار البرابرة — ك. م كويتز — ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض — وليام إمبسون — ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١ — ليفى بروفنسال — ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ – الغليان — لاورا إسكيبيل — ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ – نساء مقاتلات — إليزابيتا أديس — ت : توفيق على منصور
٢٤٦ – قصص مختارة — جابرييل جرثيا ماركث — ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر — وولتر أرمبرست — ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ – حقول عدن الخضراء — أنطونيو جالا — ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ – لغة التمزق — دراجو شتامبوك — ت : رفعت سلام
٢٥٠ – علم اجتماع العلوم — دومنيك فينك — ت : ماجدة أباظة
٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢ — جوردون مارشال — ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية — مارجو بدران — ت : على بدران
٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية — ل. أ. سيمينوڤا — ت : حسن بيومى
٢٥٤ – الفلسفة — ديف روبنسون وجودى جروفز — ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ – أفلاطون — ديف روبنسون وجودى جروفز — ت : إمام عبد الفتاح إمام

العنوان	المؤلف	المترجم
٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلي رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمني	نخبة	ت : ڤاروچان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٣	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهري
٢٦١ – رحلة في فكر زكي نجيب محمود	زكي نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	چون جريبين	ت : علي يوسف علي
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلي	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكي
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزي ج٢	جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبري محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبري محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سي . باترسون	ت : شوقي جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية في مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوي
٢٧٤ – السيدة بربارا	رومولو جاليجوس	ت : محمود علي مكي
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمساني
٢٧٧ – الچينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزي
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندي الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوي	ت : جلال الحفناوي
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان رولفو	ت : علي البمبي
٢٨٤ – هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامي	حسن نظامي	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – رحلة إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغي	ت : محمود سلامة علاوي
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمي	أنتوني كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائي	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطي
٢٨٩ – ديوان منجوهري الدامغاني	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم الترجمة واللغة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسباني في القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسباني في القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربي	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بــوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس	ريــوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطي للتاريخ	چان – فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ – الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ – علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ – الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت : جمال الجزيرى
٣١٠ – يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ – روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ – أمثال فلسطينية	خابير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ – الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعى
٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت :كاميليا صبحى
٣١٦ – محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ – بلا غد	شير لايموفا – زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ – صور دريدا	جايترى اسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ – لمعة السراج فى حضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ – التأريخ الغربى للفن الحديث	دبليوجين كلينباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ – فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ – اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ – عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ – المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ – يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

٣٣٠ – كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت : سامي صلاح
٣٣١ – عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت : سامية دياب
٣٣٢ – القصة القصيرة فى اسبانيا	نخبة	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٣٣ – الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٣٣٤ – لقطات من المستقبل	آرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمى
٣٣٥ – عصر الشك	ناتالى ساروت	ت : فتحى العشرى
٣٣٦ – متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٣٣٧ – فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٣٨ – قصص قصيرة من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٣	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ – اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخرى لبيب
٣٤١ – قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمى
٣٤٢ – سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٤٣ – العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٣٤٤ – الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٣٤٥ – الركض خلف الزمن	بونه تداشى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ – سحر مصر	رشاد رشدى	ت : جمال الجزيرى
٣٤٧ – الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الحلو
٣٤٨ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ١	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٤٩ – دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدرون وآخرين	ت : أحمد عمر شاهين
٣٥٠ – بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت : عطية شحاتة
٣٥١ – مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٥٢ – قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت : نعيم عطية
٣٥٣ – الفن الإسلامى فى الأندلس (هندسية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٤ – الفن الإسلامى فى الأندلس (نباتية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٥ – التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٥٦ – الميراث المر	بول سالم	ت : بدر الرفاعى
٣٥٧ – متون هيرميس	نصوص قديمة	ت : عمر الفاروق عمر
٣٥٨ – أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت : مصطفى حجازى السيد
٣٥٩ – محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت : حبيب الشارونى
٣٦٠ – أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت : ليلى الشربينى
٣٦١ – التصحر : التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت : عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢ – تلميذ باينبرج	هاينرش شبورال	ت : سيد أحمد فتح الله
٣٦٣ – حركات التحرر الأفريقى	ريتشارد جيبسون	ت : صبرى محمد حسن
٣٦٤ – حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت : نجلاء أبو عجاج
٣٦٥ – سأم باريس	شارل بودلير	ت : محمد أحمد حمد
٣٦٦ – نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت : مصطفى محمود محمد

٣٦٧ – القلم الجرىء	نخبة	ت : البراق عبد الهادى رضا
٣٦٨ – المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت : عابد خزندار
٣٦٩ – المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت : فوزية العشماوى
٣٧٠ – الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت : فاطمة عبد الله محمود
٣٧١ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ٢	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٧٢ – عاش الشباب	وانغ مينغ	ت : وحيد السعيد عبد الحميد
٣٧٣ – كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٧٤ – اليوم السادس	أندريه شديد	ت : حمادة إبراهيم
٣٧٥ – الخلود	ميلان كونديرا	ت : خالد أبو اليزيد
٣٧٦ – الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت : إدوار الخراط
٣٧٧ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٤	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٧٨ – المسافر	محمد إقبال	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٧٩ – ملك فى الحديقة	سنيل باث	ت : جمال عبد الرحمن
٣٨٠ – حديث عن الخسارة	جونتر جراس	ت : شيرين عبد السلام
٣٨١ – أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت : رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢ – تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت : أحمد محمد نادى
٣٨٣ – هدية الحجاز	محمد إقبال	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٨٤ – القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت : إيزابيل كمال
٣٨٥ – مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٨٦ – دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ت : ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧ – أغنيات وسوناتات	چون دن	ت : بهاء چاهين
٣٨٨ – مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٨٩ – من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٩٠ – الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	ت : عثمان مصطفى عثمان
٣٩١ – الحافلة الليلكية	مايف بينشى	ت : منى الدروبى
٣٩٢ – مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانخا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٣٩٣ – فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	ت : نخبة
٣٩٤ – القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	ت : هاشم أحمد محمد
٣٩٥ – آلام سياوش	إسماعيل فصيح	ت : سليم حمدان

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٤٨٠٨ / ٢٠٠٢





درد سياوش

يغلب على أعمال إسماعيل فصيح الطابع الموباسانى ؛ حيث يدخل المسرح شخص ما (هو دائمًا الشخص نفسه : جلال آريان) بطريقة ما : مدعوًا ، من قبَل أخته غالبًا ، ومن قبل غيرها أحيانًا ، أو بالمصادفة ليعالج مشكلة وقعت قبل مجيئه .

إن « آلام سياوش » تعد من كتابات مرحلته الأولى ، تمثل موقفه الفكرى آنذاك خير تمثيل ، وفيها - كما سيلاحظ القارئ - محاولة لربط الشأن الخاص ، الفردى ، بالقضية العامة ، الاجتماعية والسياسية ، وكلاهما حدث فى الماضى، وتقع فى خلفيتها أحداث الشاهنامة لتضفى جوًا مأساويًا على الحدث الدرامى ، ولتذكرنا بأن لا نكتفى بقراءة ظاهر النص . وإذا كان الكاتب يعيد بناء حادثة خاصة وقعت قبل أكثر من عشرين عامًا من زمن القصّ ؛ لأن شخصًا له مصلحة فيها يقوم بتحرياته لكشف أسرارها - فإنه يفعل ذلك مع الحادث العام الذى وقعت الحادثة الخاصة معه ، أو فى أثنائه ، وهو إسقاط حكومة ال... مصدق ؛ لأن الكاتب أراد - فيما يرى الكاتب - أن يُسقط ... على سياوش ، فأوحى لنا بالطبيعة السوداء للعملية التى أدت ... كما فى الجريمة التى أدت إلى قتل سياوش .



غلاف: إيناس حسنى
لوحة: شاهنامة باسنق